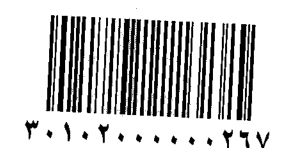
بسم الله الرحمن الرحيم



المملكة العربية السعودية
جامعة الملك عبدالعزيز
مكة المكرمة
قسم الدراسات العليا التاريخية

دراسات نقدية لبعض آراء فيليب حتي و كارل بروكلمان في التاريخ الاسلامي



رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

من الطالب: عبدالكريم علي عبدالكريم باز
إشراف الدكتور: ابراهيم علي شعوط

العام الدراسي ٩٨/١٣٩٩هـ

" بسم الله الرحمن الرحيم "

(أ)

شكر وتقديــر

هي كلمة حق ألزمني قولها ،ما لمسته من الوالد الاستاذ الدكتــــور ابراهيم علي شعــوط ..

فقد لمست فيه كل معنى للأبوة الحقة ، وذلك لبذله المستمر ، وعطائــه الخير منقطع مما وهبه الله من سعة العلم الذي استطاع به أن يسبر غور ما كتب عــن التاريخ الاسلامي ، فنفى شوائبه وأخرج منه ما شوه حقيقته .

فكان في ذلك نبراسي الذي أضاء لي الطريق فيما قمت به من عمل ، وذلــك لما بذله لي من وقته الثمين في الجامعة ، في منزله ،وفي المسجد الحرام .

فأسأل الله العلي القدير أن يجزيه خير الجزاء ،وأن يضاعف له الاجـــر في الدنيا والآخرة لما بذله من اظهار التاريخ الاسلامي على حقيقته ،ولما بذلــه من العطاء الواسع في شد أزري ومساعدتي طوال فترة اشرافه على رسالتي ..

كما أنه لايفوتني وأنا في هذا الموقف ،أن اعترف بالجميل لأهله ، فأرفــع يد الضراعة الى العلي القدير ،بأن يمن بواسع رحمته على الاستاذ الكريم الدكتــور محمد كمال عبد العظيم الدسوقي ، وأن يسكنه فسيح جناته ،وأن يجعله مع عبــاده الصالحين ، وذلك لما بذله هو أيضا من عظيم الجهد في ارشادي .. ومساعدتــي وأنا في بداية الطريق ، فأوضح لي الكثير مما كان يخفى على في بداية البحث ، وحثه لي على مواصلة الســير ، فبذل في ذلك من وقته الثمين من أجلي ما جعلني أكن لــه كل تقدير واحترام لذكراه .

والله أسأل أن يوفقنا جميعا ويسدد خطانا انه نعم المولى ونعم النصير .. ؛

المقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله باعث النبيين بدين الحق ،

والصلاة والسلام على من جعل الله رسالته خاتمة لرسالات السماء عامـــة لجميع خلقه ، شاملة لكل أوامره ونواهيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وبعد .

فهذه مقدمة مبسطة لموضوع رسالتى المقدمة لنيل درجة الماجستير والـــتى أحاول بها أن أبدأ فى طرق أول باب من أبواب التحصيل العلمى وأنا فى بدايـــة الطريق ،وموضوعها هو :

دراسة نقدية لبعـــض
آراء فيليب حتى وكارل بروكلمان فى التاريخ الاسلامـى

والذى دعانى لاختيار هذا الموضوع هو انتشار هذه الآراء التى وقـــف الاستشراق من ورائها فى مظهرين ، كما قال فضيلة الشيخ الغزالى : أولهمـــا أن الاستشراق كهانة جديدة تلبس مسوح العلم والرهبانية فى البحث وهى أبعـــد ما تكون عن بيئة العلم والتجرد ، وجمهرة المستشرقين مستأجرون لأهانة الاســلا م وتشويه محاسنه والافتراء عليه .

والآخر هو أن جما غفيرا من المثقفين فى بلادنا بوأ هؤلاء القوم مكانـــة

هم د ونها بيقين ،ووقعوا فى شباكهم ففسدت عقائدهم وشلهم فلامحيص من اماطة اللثام عن وجوههم وابرازهم على حقائقهم العارية .(١)

ومن المؤسف ، ان بعض هذه التهم والريب قد نسجت بمنوال محكم من لدن صنعة مهرة ،قد تخصصوا فى ذلك ،فاظهروها للعامة وكأنها حقائق ثابتة اقتنع بها البعض ،والبعض الاخر ـ الاحسن ثقافة ـ وقف فى حيرة من امرهم مما جعل الشك يتسرب فى بعض الاحيان ،الى الاسلام وجوهره ،حتى بدا يخبو بريقه فى نفوس الذين بهرتهم حضارة اوربا واشتد اعجابهم بافكار المستشرقين .

فوجدت أنه لزاما على أن أسعى محاولا الكشف عن بعض هذه التهم واظهار زيفها والتى حاول المغرضون الصاقها بالاسلام .

وليكون فى المكتبة العربية وأمام القارىء وخاصة الشباب المسلم مصدر موثوق به مدعم بالادلة العقلية والنقلية ،يكشف زيف هؤلاء الدساسين ويرد كيدهم فى نحورهم بعد ما يتضح الحق ويبدو ضياؤه أمام عيون الشباب المسلم ،فلم يغتر بما يقرأ من كتبهم أو ينقاد لما يسمع من كلامهم .

ولا احسب نفسى اول من كتب فى هذا المجال بل لقد جعل الله للاسلام أقلاما تسعى لمحو ما التصق به من زيف أمثال العالم أبو بكر بن العربى ، والدكتور ابراهيم شعوط ، والشيخ محمد الغزالى ،والاستاذ أحمد محمد جمال ، فسعوا جاهدين ـ جزاهم الله عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء ـ الى اظهار الحق

(١) الغزالى : محمد ـ دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مزاعم المستشرقين القاهرة (١٣٩٥هـ) .

وكشف زيف المبطلين ، الا أن كتاباتهم كانت شاملة وعامة ، ولم تتركز فى الرد على رأى شخص معين .

أما موضوعى فقد تركز فى الرد على اثنين من هؤلاء فقط هما " فيليب حتى " و " كارل بروكلمان " ولكتابين من كتبهما (تاريخ الشعوب الاسلامية — لبروكلمان) و (تاريخ العرب المطول — لفيليب حتى) ..

وكان موضوع بحثى هو دراسة نقدية لبعض الآراء الموجودة فى هذين الكتابين وللفترة الممتدة من بداية البعثة المحمدية حتى نهاية العصر العباسى الاول ، وكان اختيارى للتصدى لهذين الكتابين ، لما لهما من شهرة ذائعة السيط فى الاوساط العربية والاسلامية ، لان كتابيهما من أكثر كتب التاريخ الحديث انتشارا وشيوعا بين الشباب المسلم ووجودا فى المكتبات وتدريسا فى معظم الجامعات والمعاهد .. فأحببت أن ألفت نظر المسلمين الى خطورة هذين الكتابين وخبث نية صاحبيهما .

ولقد تصديت فى منهج رسالتى لنقد هذه الآراء والرد عليها بأن أذكر الرأى ثم أبدأ الرد عليه بالادلة المختلفة ، منها العقلية ومنها النقلية ، وقد اعتمدت فى تفنيد هذه الاراء على الكتاب والسنة ثم استعنت بالادلة النقلية والعقلية والتى نقلتها لاستدل بها من بعض كتب المستشرقين الذين سجلوا فى كتبهم اعترافاتهم بعبقرية الاسلام ، ورجاله ، كدين شامل متكامل ، اهتم بكل أمور الدين والدنيا ، وبمكارم الاخلاق ، وحث على اتباع والتخلق بأخلاقه والاخذ بالعلوم فى شتى مجالاتها حتى أضحى لمعتنقيه حضارة زاهية جمعت بين الروح

والمادة ، فامتازت عن الحضارات الاخرى بالشمول والبقاء وأعطى المرأة حقها من الحريـة والانصاف ، وأنصف الرقيق والاسير وضرب على يد الظالم والمفسد .

ولقد كان اختيارى للادلة من كتب هؤلاء المستشرقين المنصفين أمثـال: توماس أرنولد ،وجوستاف لوبون ، لأرد كيد المفترين منهم وأبين لهم زيفهم وافتراءهم وحتى تصبح هذه الشهادة منهم على أنفسهم بكذب ادعائهم فيتضح بعد ذلك للمرتاب والمفتون بثقافة الغرب كذب هذه الادعاءات ،فشهادة الخصوم بعضهم على بعض من أقوى الادلة على ثبوت الحقائق التى تعرض لها الخصوم.

لذلك رأيت أنه لزاما على أن أقدم للقارئ شهادات المنصفين من غير المسلمين ، على أن كل الادعاءات التى ذكرها كارل بروكلمان وفيليب حتى لا تتصل بأى سبب من أسباب الحقيقة ولا تقوم على أى نهج علمى .

ولقد كان تقسيمى للموضوع كما يلى :

أولا : ــ المقدمـة .

ــ التمهيد ،وهو عبارة عن لمحة مبسطة عن حركة الاستشراق .

ثانيا : القسم الاول : ويشتمل الرد على بعض الآراء والشبه الموجودة فى كتاب فيليب حتى ــ "تاريخ العرب المطول" ، وهذا القسم مقسم الى ثلاثة فصول :

أ) صورة من الاراء فى عصر النبـوة .

ب) صورة من الاراء فى عصر الراشديـن .

جـ) صورة من الاراء فى عصر بنى امية وبنى العباس .

ثالثا : القسم الثاني : ويشتمل على الشبه والآراء فى كتاب " تاريخ الشعوب الاسلامية " لكارل بروكلمان ، وهو مقسم الى ثلاثة فصول أيضا :

أ) مختارات من الاراء فى عصر النبوة .

ب) صورة من الاراء فى عصر الراشدين .

جـ) نماذج من الاراء فى عصرى الامويين والعباسيين .

رابعا : القسم الثالث: وهو مقسم الى ثلاثة أجزاء أيضا :

أ) مقارنة بين طريقة كل من المؤلفين فى تصوير هذه الشبه والاراء .

ب) واجب رجال التاريخ ازاء هذه الاراء .

جـ) بعض الكتب التى تأثرت بآراء (حتى) و (بروكلمان) .

خامسا عقدت فصلا آخر ذكرت فيه تعريفا مبسطا لبعض أهم المراجع التى أفادتنى فى بحثى .

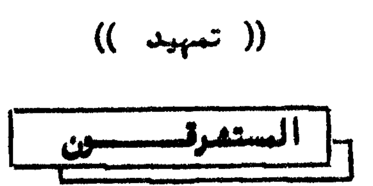
سادسا الخاتمة وهى عبارة عن كلمة مبسطة عن النتائج التى توصلت اليها .

سابعا: الفهرس، فقائمة المراجع والمصادر التى اعتمدت عليها فى بحثى .

—•—

(١)

((تمهيد))



متى بدأت حركة الاستشراق

بدأت حركة الاستشراق منذ العصور الاسلامية الاولى حينما وصل الاسلام الى الاندلس ، وأخذ نوره يضيء ظلام القلوب والعقول ، من هذه البقعة التى كانت غارقة فى الجهل والظلمة والتخلف فلما تفتحت عيون أهل هذه البلاد على هذا الدين وعلى المثل الكريمة التى تمثل دين الاسلام على حقيقته وظهر شموخ الاسلام فيما يدعو اليه فى مجال العلم والعقيدة ، واكتسح كل ما سبقه من حضارات وراع الغرب أن يكون فى منأى عن تلك الصورة المشرقة ، فأخذ يستقى من مناهلها ، وأصبح العرب حملة مشاعل الحضارة من الشرق الى الغرب ، وصاروا أساتذة للاوربيين .

وصارت الجامعات الاسلامية فى أسبانيا تضم الكثير من الطلبة الاوربيين فى أحضان أروقتها ليدرسوا كل ألوان العلم .

ووجد الأوربيون فى حضارة العرب ما يناسب احتياجاتهم ويسد الفراغ الموجود لديهم حيث كان لها من المرونة والواقعية ما يجعلها تتناسب ورغبات الشعوب على اختلاف أجناسها وثقافاتها .

ولم يكتف الاوروبيون بتلقى علومهم فى الجامعات الاسلامية فقد أسسوا عدة جامعات ومعاهد وكراسى لدراسة الحضارة الشرقية فى بلادهم .

وأصبح المسيحيون فى أوربا يستقون من حضارة المسلمين شتى أنواع العلوم

والمعارف والفنون ودفعهم ذلك الى تعلم لغة العرب ليقتبسوا من حضارتهم وعلومهم التى ظهرت فى الشرق الاسلامى فصاروا يحاولون أن يصبغوا ثقافاتهم بالصبغة الشرقية الاسلامية ، ومن هنا عرفوا بالمستشرقين .

ونصل من وراء هذا كله الى أن الاستشراق قد بدأ أول ما بدأ بدراسة العلوم الاسلامية مأخوذا بالنتائج العلمية التى حققها المسلمون ، ولكنه كان استشراقا عفويا لا يضمر أى قصد سوى الاستفادة من حضارة الشرق باعتبارها نموذجا جديدا للحضارات .

واهتمت الدول الاوربية بارسال بعثات علمية الى بلاد الاندلس لدراسة العلوم والفنون والصناعات ، نتيجة ذيوع شهرة الاندلس وحضارتها الاسلامية الزاهرة كما بعث الملك فيليب البافارى الى الخليفة الأموى بالاندلس (هشام الاول — ١٧٢ / ١٨٠ هـ) (١) يسأله السماح له بايفاد هيئة لاستطلاع حالة بلاد الاندلس ودراسة

---

(١) هشام الاول خلف أباه عبد الرحمن الاول ، امه أم ولد تسمى حلل كان أبوه قد عهد اليه بالامارة من بعده وولاه ماردة ، وأعده للحكم ، وكان يأنس فيه الحزم ويثق به .. وقد شبهه المؤرخون بعمر بن عبد العزيز فى عدله واهتمامه بشئون المسلمين ، قرب الفقهاء اليه حتى أصبح لهم نفوذ كبير فى الدولة ، وكان يبعث الثقاة الى الكور يسألون الناس عن سير الولاة ، وكان هشام تقيا صالحا صرف عهده فيما يعود على البلاد بالخير والرفاهية وهو من أهل الخير والصلاح كثير الغزو والجهاد لرفع راية الاسلام فى الاندلس .

(انظر حسن : حسن ابراهيم — تاريخ الاسلام السياسى ج ٢ ص ٢٣٣ — ٢٣٤

نظمها وشرائعها والثقافات المختلفة فيها ليتمكن من نقل هذه الصور الى بلاده .[1]

ثم تلت هذه المرحلة مرحلة أخرى ، هى مرحلة الاستشراق من أجل هدف معين ، وفى هذه المرحلة اتخذ اقبالهم على الاستفادة من الحضارة الشرقية الاسلامية شكلا علميا منظما ، قائما على أسس علمية ثابتة واضحة ، ثم تطور الى نوع من التقنين (التنظيم) فى الدراسات ، فأطلق عليها الدراسات الشرقية وأسست لذلك مدارس خاصة من قبل الحكومات الاوربية وذلك لتحقيق أهدافها الاستعمارية .

والذى يلاحظ أنه منذ نهاية الحروب الصليبية أخذ الاوربيون يتجهون فى دراستهم للتراث الاسلامى اتجاهات مختلفة ، وأضحى الاستشراق يتخذ لعدة اتجاهات خبيثة ، وأصبحت أهدافه موسومة بالميول والاغراض المختلفة .

٥٥

---

(١) مصطفى : عاطف ـ المستشرقون فى الاسلام ـ العدد الثانى من السنة الثانية ص ٢٠٣ .مجلة الدارة .

دوافع الاستشراق

أولا ـ دافع ديني

اننا لا نحتاج الى كبير عناء في البحث للتعرف على الدافع الديني للاستشراق عند الغربيين ، فقد بدأ أول ما بدأ الاستشراق المنظم من الفاتيكان ورواد الاستشراق هم رجال الكنيسة وعلماء اللاهوت وظلوا هم المشرفون على هذه الحركة والمسيرين لها للدفاع عن الكنيسة ولمواجهة الضغوط الشديدة المتزايدة من المفكرين المتمردين على سلطانها ، فحين فتحت الحضارة الاسلامية متنفسا لهم ومهدت لهم الفرصة للتفكير والتخلص من قيود الكنيسة واظهار اعجابهم بالاسلام ، كان هم الكنيسة أن تطعن في الاسلام وتشوه محاسنه ، وتحرف حقائقه لتثبت لجماهيرها التي تخضع لسلطانها أن الاسلام هو الخصم الوحيد للمسيحية ، وهو دين لا يستحق الانتشار ، وان المسلمين قوم همج لصوص ، وسفاكوا دماء ، يحثهم دينهم على الملذات الجسدية . (١)

ثم اشتدت حاجتهم الى هذا الهجوم بعد أن رأوا أن الحضارة الاسلامية قد زعزعت أسس العقيدة الدينية عند المسيحيين ، وأخذت تشككهم في تعاليمهم التي كانوا يتلقونها من رجال الدين عندهم ، فلم يجدوا غير تشديد الهجوم على الاسلام لصرف أنظار الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة . (٢)

---

(١) القاري : عبد العزيز ـ مجلة محاضرات الجامعة الاسلامية / محاضرات موسم ٩٣ / ١٣٩٤هـ ص ٩٧٦ (المستشرقون في الميزان) .

(٢) د . السباعي : مصطفى ـ المستشرقون والاستشراق ـ ص ١٧ الكويت ١٣٨٧هـ

ثانيا ـ دافع استعماري

لما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين ـ وهى حروب دينية فى ظاهرها استعمارية فى حقيقتها ـ لم ييأس الغربيون من العودة الى محاولة احتلال بلاد العرب والمسلمين ،فاتجهوا الى دراسة هذه البلاد فى كل شئونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات وحضارة ولهجات شعوبه ، ثم ازداد نشاطهم فى البحث عن أمجاد الامة العربية وذلك ليتعرفوا على مواطن القوة فيضعفوها والى مواطن الضعف فيغتنموها ، ولما تم للدول الغربية الاستيلاء العسكرى والسيطرة السياسية على بلاد الشرق بدءوا فى تشجيع الاستشراق ، واضعاف المقاومة الروحية والمعنوية فى نفوس المسلمين وبث الوهن والارتباك فى تفكيرهم وذلك عن طريق التشكيك فى فائدة ما فى أيديهم من تراث وما عندهم من عقيدة وقيم انسانية حتى يفقدوا الثقة فى أنفسهم ويتركوا مقاليد أمورهم فى أيدى هؤلاء المستعمرين ويتأثروا بما عندهم من أخلاق وعادات وتقاليد فيتم للمستشرقين ما يريدون من خضوع المسلمين لحضارتهم وثقافتهم خضوعا لاتقوم لهم من بعده قائمة .

٥٥

ثالثا ـ دافع تجاري

ومن الدوافع التى كان لها أثرها فى تنشيط الاستشراق ،رغبة الغرب فى التعامل مع الشرق لترويج بضائعهم والاستيلاء على موارده الطبيعية الخام بأبخس الاثمان لفتح أسواق تجارية لصناعتهم وقتل النشاط الصناعى والتجارى فى الشرق حتى يبقى تحت سيطرتهم متخلفا فيمايضمن لهم مصدرا رخيصا للمواد الخام

فسعوا لايجاد شعور النقص عند المسلمين ، وخلق التخاذل الروحى وحملهم على الرضا والخضوع لتوجيهات الاستعمار الغربى . (١)

٥٥

تحدثنا عن الدوافع التى دفعت رجال أوربا للبحث فى تراث المسلمين واعتبرنا هذه الدوافع بمثابة المقدمات لتخطيط طويل الامد ثم تبين بعد ذلك أن هذه الدوافع والمقدمات كان لها أهداف تقصد اليها تبعا لخطة مرسومة كما أن لها وسائل استحدثوها لاقناع الناس بها .

بعض أهداف الاستشراق

وبعد دراسة أهداف الاستشراق وجدنا أن هناك اتجاهين :

الاتجاه الاول – يرمى الى التشكيك فى الاسلام من كل جوانبه .

الاتجاه الثانى – البحث العلمى الخالص بنية الاستفادة من الجوانب المشرقة فى الاسلام .

٥ ٥ ٥

---

(١) أبو رابية : محمد – جولة مع المستشرقين – ص١٨ – القاهرة ١٣٩٦هـ .

الاتجاه الاول ـ التشكيك في الاسلام من كل جوانبه

(١) **التشكيك في صحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم** : وفي مصدرها الالهي ، فأخذ جمهورهم ينكرون أن يكون محمد نبيا موحى اليه من عند الله جل شأنه ، ويتخبطون في تفسير مظاهر الوحي في نزوله على الرسول ، فمن المستشرقين من يرجع ذلك الى " نوع من الصرع " كان ينتابه صلى الله عليه وسلم ، ومنهم من يعزوه الى مرض نفسي ، ومنهم من يرجعه الى تخيلات كانت تملأ ذهنه صلى الله عليه وسلم وقالوا أن القرآن من وضع محمد ، قد وضعه حسب ظروف البيئة ، وحاجة شعبه ، معتمدا على معلوماته السطحية من الكتب السماوية السابقة له ، وهكذا كانت بحوثهم حول الوحي والقرآن أو الدعوة والعبادات تعتمد دائما على الايهام والتشكيك في أمر النبوة .(١)

وهكذا ، كأن الله لم يرسل نبيا قبله حتى يصعب عليهم تفسير ظاهرة الوحي .

ولما كانت النبوة في نظرهم ثابتة لموسى وعيسى باعتبارهم يهودا ونصارى ووجدوا أنفسهم أمام نبوة محمد صلى الله عليه وسلم التي تعتبر نمطا جديدا لها خصائص بها ومميزاتها من حيث أنها للناس كافة مؤيدة بكتاب مفصل كان انكارهم لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم تعنتا قد ملأ النفوس أكثرهم وبخاصة الرهبان والقساوسة الذين جعلوا من أنفسهم مبشرين في صورة مستشرقين مثل " رايموند " رئيس أسقفية توليد و وحاكم مدينة كاستل سنة ١١٣٠ ـ ١١٥٠ ، و "بيتر " حامل لواء حملة

---

(١) مصطفى : عاطف ـ مجلة الدارة ـ العدد الثاني والثالث من السنة الثانية ص ٢٠٣ (المستشرقون في الاسلام) .

لوم المسيحيين على مهادنة الاسلام ، وكان رأى "بيتر" أن تكون البداية على القرآن ولهذا ترجم القرآن للاتينية [1] ، واعدوا عدتهم لحرب الاسلام بكافة الاسلحة .

وحين يعجزهم فهم ما ورد في القرآن الكريم من حقائق تاريخية عن الامم الماضية مما يستحيل صدوره عن نبى (أمى) مثل محمد صلى الله عليه وسلم ، يزعمون ما زعمه المشركون الجاهليون فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من أنه استمد معلوماته عن أناس كانوا يخبرونه بها .

وقد أشار القرآن الى ذلك بقوله تعالى : ((ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين)) . [2]

وهكذا يتخبطون فى ذلك تخبطا عجيبا ، وحين يعجزهم فهم ما جاء فى القرآن من حقائق علمية لم تعرف ، ولم تكتشف ، الا فى هذا العصر يرجعون ذلك الى ذكاء النبى صلى الله عليه وسلم فيقعون فى تخبط أشد غرابة عن سابقه .

وتبعا لذلك الانكار ، يقولون أن الاسلام ليس دينا من عند الله وانما هو دين ملفق من الاديان الاخرى السابقة له .. وليس لهم فى ذلك سند يؤيده البحث العلمى ، وانما هى ادعاءات تستند على بعض نقاط الالتقاء بين الاسلام وبين الديانة اليهودية والنصرانية .. وحتى اذا كان قد أخذ من الاديان الاخرى على زعمهم فهو دين من عند الله .

---

(١) المصدر السابق

(٢) سورة النحل ـ آية ١٠٣

ونلاحظ أن المستشرقين اليهود أمثال — جولد تسيهر ، وشاخت — هم أشد حرصا على ادعاء استمداد الاسلام من اليهودية وتأثيرها فيه . (١)

وكأن المفروض — فى نظرهم — أن الديانات الالهية تتعارض مبادؤها الاخلاقية وكأن الذى أوحى بدين هو غير الذى أوحى بدين آخر فتعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

(٢) التشكيك فى الحديث النبوى : ولقد عمدوا أيضا الى التشكيك فى الحديث النبوى الذى اعتمد عليه علماؤنا المحققون ، ويتذرع هؤلاء المستشرقون بما دخل على الحديث النبوى من وضع ودس ، متجاهلين تلك الجهود التى بذلت من قبل علماء الحديث لتنقية الحديث الصحيح من غيره ، مستندين الى قواعد بالغة الدقة فى التثبت والتحرى مما لم يعهد عندهم فى دياناتهم ولم يبلغ عشر معشار ما قام به العلماء المسلمون للتأكد من صحة الكتب المقدسة عندهم .. وقد رد علماء المسلمين أحاديث كثيرة نسبت الى رسولهم وهذه الاحاديث المردودة لضعف سندها أو متنها ، تعتبر أقوى من التراث الدينى الرائج بين اليهود والنصارى (٢) والذى حملهم على ركوب متن الشطط فى دعواهم هذه ، ما رأوه فى الحديث النبوى الذى اعتمد علماؤنا من ثروة فكرية وتشريعية مدهشة وهم لا يعتقدون فى نبوة الرسول ، فادعوا أن هذا لا يعقل أن يصدر كله من محمد الأمى بل هو عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الاولى ، فالعقدة عندهم هى عدم تصديقهم بنبوة الرسول ومن هنا ينبعث تخبطهم . (٣)

---

(١) د . السباعى : مصطفى — ص ٢٣ — الاستشراق والمستشرقون .
(٢) الغزالى : محمد — دفاع عن العقيدة والشريعة — ص ٦٣
(٣) د . السباعى : مصطفى — الاستشراق والمستشرقون — ص ٢٤

فأثاروا الشبه حول السنة المطهرة فمن هؤلاء من يقول أن السنة لم تدون الا في منتصف القرن الثالث الهجري ، لذا حصل التزيد والتغيير ظانين لجهلهم أو .. تجاهلهم على الاصح أن الامام البخاري رحمه الله هو أول من دون السنة وسجل أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وقد توفى سنة ٢٥٦ هجرية .

ومنهم من أثار الشبه حول السنة باعتبار أنها تضمنت فضائل عدة من الصحابة وممن وقع الخلاف بينهم كما هو معلوم فهم لخبثهم يرون أن كل أحاديث الفضائل قد وضعها انصارها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومما سلكه أعداء الاسلام في سبيل هدم السنة والتشكيك فيها هو اثارة الشبهات حول أكابر رواتها وحملتها ومدونوها ، كما أثاروا الشبهات حول الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه وهو أكثر الصحابة رواية للحديث ، كما أثاروا الشبهات حول الامام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري الذي دون السنة في عهد عمر بن عبد العزيز بأمر منه .

ومن أمثال هؤلاء المستشرقين اليهودي جولد سيهر ود جالون . (١)

(٣) **التشكيك في قيمة الفقه الاسلامي** : ان ذلك الرصيد الهائل من التشريع الذي لم يجتمع مثله لجميع الامم في جميع العصور ، لقد أسقط في أيديهم حين اطلاعهم على عظمته وهم لا يؤمنون بنبوة الرسول فلم يجدوا بدا من الزعم بأن

---

(١) انظر الصواف : محمد محمود ـ المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام صفحة ١١١ ـ ١١٤ الطبعة الاولى .

هذا الفقه العظيم مستمد من التشريع الرومانى ،أى أنه مستمد منهم هم الغربيين وقد بين علماؤنا الباحثون فيها ضعف هذه الدعوى ثم تبين فيما قرره مؤتمر القانــون المقارن المنعقد فى لاهاى [1] من أن الفقه الاسلامى فقه مستقل بذاته ،وليس مستمدا من أى فقه آخر ، مما أفحم المتعنتين منهم وأقنع المنصفين الذين لا يبغون غــير الحق سبيلا . [2]

(٤) **التشكيك فى قدرة اللغة العربية** : ولم يقف هجومهم عند هــذا الحد وانما ذهبوا فى حملتهم المسعورة الى التشكيك فى قدرة اللغة العربية علـى مسايرة التطور العلمى ليظل العرب عالة على مصطلحاتهم التى تشعرنا بفضلهــم وسلطانهم الادبى على العرب ،وتشكيكهم فى غنى الادب العربى ، واظهاره مجدبا فقيرا ليتجه العرب الى الادب الغربى وذلك هو الاستعمار الفكرى الذى يبغونـه مع الاستعمار العسكرى الذى يرتكبونه . [3]

(٥) **التشكيك فى التراث الحضارى** : ثم ذهبوا بعد ذلك الى تشكيـك المسلمين فى تراثهم الحضارى ،ويدعون أن الحضارة الاسلامية منقولة عن حضارة الرومان ولم يكن العرب والمسلمون الا نقلة لفلسفة تلك الحضارة وآثارها ،ولم يكن لهــم ابداع فكرى ولا ابتكار حضارى ، وبذلك يكونون قد تمكنوا من اضعاف ثقة المسلمين بتراثهــم .

---

(١) (لاهاى) عاصمة المقاطعة الجنوبية بهولندا ، كما تعد العاصمة الحقيقيـة لها ،بها المحكمة الملكية والمجلس التشريعى ومحكمة العدل الدولية الذى أوصى باقامتها مؤتمر عام ١٨٩٩م بلاهاى نفسها (الموسوعة العربية الميسـرة (ص١٥٤٦)

(٢و٣) د ٠ السباعى ـ مصطفى ـ الاستشراف والمستشرقون ـ ص٢٥

(٦) **اضعاف روح الاخاء الاسلامي بين المسلمين** : وذلك عن طريق احياء القوميات التي كانت من قبل الاسلام واثارة النعرات والخلافات بين شعوبهم.

فسعى الاستشراق جاهدا الى اعادة فكرة الشعوبية الى العالم الاسلامي بقصد اضعاف وحدته، وذلك مثل الدعوة البربرية في شمال أفريقيا، والفرعونية في مصر، والفينيقية في ساحل فلسطين ولبنان، والاشورية في العراق .

فاستغل الاستشراق ضعف الدولة العثمانية وبدأت تظهر حركة تركيا الفتاة سنة ١٩٠٨م ، وكانت هذه الحركة هي ثمرة عدة جهود من النشاط الذي قامت به جماعات صغيرة بتأثير الآراء والافكار الغربية . (١)

وسعوا الى تفتيت العالم الاسلامي من بين يد الدولة العثمانية وهناك تقرير رفعه (لورنس) ـ صديق العرب في ذلك الوقت ـ الى الحكومة البريطانية سنة ١٩١٧م يقول فيه " علينا أن ندفع العرب لانتزاع حقوقهم من تركيا بالقوة لاننا بهذا نستطيع أن نقضي على خطر الاسلام بأن نجعله يعلن الحرب على نفسه فنمزقه من الداخل " . (٢)

فسعى الغرب الى تقسيم العالم العربي الاسلامي ، لمناطق منعزلة تحت حمايته وذلك في الاتفاقية الانجليزية الفرنسية الروسية سنة ١٩١٦م التي عرفت باتفاقية " سايكس بيكو " (٣)

---

(١) د . ارنست ـ تركيا الفتاة ص٣٩ بيروت ١٩٦٠م
(٢) جمعة : سعد ـ مجتمع الكراهية ص٨٨ بيروت دار الكتاب العربي
(٣) انطنيوس : جورج ـ يقظة العرب ص٥٧٨ بيروت ١٩٦٩ .

ونرى من ذلك أن الغرب سعى جاهدا الى تقسيم العالم الاسلامى على أساس من القومية ، أى الى عالم عربى وغير عربى ، مما أدى الى قطع الصلات بين المسلمين وأصبحت الصلات قائمة على العنصر القوى مجردة من كل صلة بالاسلام حتى تسهل السيطرة عليها .

وعلى كل حال فقد دأب القائمون على الاستشراق ، الى عقد المؤتمرات العامة لتنظيم نشاطهم منذ عام ١٨٧٣ م ونشر المقالات فى الصحف وتأليف الكتب التى تطفح حقدا وسما على الاسلام ونبيه ، وتوهن القيم الاسلامية وتفتت وحدة الشعوب الاسلامية لتحقيق أهدافهم . (١)

ه ه ه

الاتجاه الثانى - أهداف علمية خالصة بنية الاستفادة من الجوانب المشرقة فى الاسلام

وهذه لا يقصد منها الا البحث والتمحيص ، ودراسة التراث العربى والاسلامى ، دراسة تجلو لهم بعض الحقائق الخافية عنهم ، وهذا الصنف قليل عدده جدا وهم مع اخلاصهم فى البحث والدراسة لا يسلمون من الاخطاء ، والاستنتاجات البعيدة عن الحق ، أما لجهلهم بأساليب اللغة العربية ، وأما لجهلهم بالاجواء الاسلامية التاريخية ، على حقيقتها ، فيتصورونها كما يتصورون مجتمعاتهم ، ناسين الفروق الطبيعية والنفسية والدينية التى تفرق بين البيئة التاريخية التى يدرسونها وبين البيئة الخاصة التى يعيشونها .

(١) الطهطاوى : محمد عزت اسماعيل - الاستشراق والتبشير - ص ٤٣ القاهرة ١٣٩٧هـ .

وهذه الفئة هى أسلم الفئات فى أهدافها ،وأقلها خطرا ،اذ سرعان مـــا يرجعون الى الحق حين يبين لهم ،ومنهم من يعيش بقلبه وفكره فى قلب البيئة الــتي يدرسها فيأتى منطبقا مع الحق والصدق والواقع ولكنهم يلقون عنتا من أصحاب الاهداف الاخرى ، اذ سرعان ما يتهمونهم بالانحراف عن النهج العلمى والانسياق وراء العاطفــة والرغبة فى مجاملة المسلمين والتقرب اليهم ،كما فعلوا مع "توماس أرنولد " حين أنصف المسلمين فى كتابه " الدعوة الى الاسلام " وهذا يعتبر من أدق وأوثــق مراجع المستشرقين فى تاريخ التسامح الدينى فى الاسلام ،يطعن فيه المستشرقــون المتعصبون وخاصة المبشرين منهم بأن مؤلفه كان مندفعا بعاطفة قوية من الحــب والعطف على المسلمين مع أنه لم يذكر فيه حادثة الا أرجعها الى مصدرها .(١)

ومن هؤلاء أيضا من يؤدى به البحث الخالص لوجه الحق الى اعتنــاق الاسلام والدفاع عنه مثل المستشرق الفرنسى " دينيه " الذى عاش فى الجزائــر فأعجب بالاسلام وأعلن اسلامه وتسمى باسم " ناصر الدين دينيه " وكتب كتابــا اسمــه " أشعة خاصة بنور الاسلام " بين فيه تحامل قومه على الاسلام ورسوله .(٢)

---

(١) د .السباعى : مصطفى ــ الاستشراق والمستشرقون ص٢٧ ، الطهطــاوى : محمد عزت اسماعيل ــ التبشير والاستشراق ص٤٠ ،القارى : الشيخ عبد العزيز محاضرات الجامعة الاسلامية لموسم عام ٩٣ / ٩٤ ص٢٧٧ (المستشرقــون فى الميزان)

(٢) د .السباعى : مصطفى ــ الاستشراف والمستشرقون ص ٢٧

وسائل المستشرقين لتحقيق أهدافهم

وأما الوسائل فهى :

١ ـ تأليف الكتب فى موضوعات مختلفة عن الاسلام واتجاهاته وعن رسوله صلى الله عليه وسلم وفى معظمها كثير من التحريف المتعمد والقاء التهم بلا سند ، أو نقل نصوص بعد بترها لتشويه بعض وقائع التاريخ .

٢ ـ اصدار المجلات الخاصة ببحوثهم حول الاسلام وبلاده وشعوبه لغرض تمكين الاستعمار فى هذه البلاد .

٣ ـ الارساليات التبشيرية الى العالم الاسلامى لمزاولة الاعمال الانسانية فى الظاهر كالمستشفيات والمدارس والجمعيات الخيرية ،والملاجئ ودور الحضانة مثل جمعيات الشبان المسيحية وأشباهها .

٤ ـ القاء المحاضرات فى الجامعات والجمعيات العلمية التى تكشف عن آرائهم فى الاسلام .

٥ ـ مقالات فى الصحف المحلية عندهم ، والصحف التى استطاعوا شراءها فى البلاد الاسلامية ،وقد أعلن المبشرون عنها (١).

٦ ـ عقد المؤتمرات لاحكام خططهم وطرح بحوث عامة فى ظاهرها وهى فى الحقيقة دعاية ضد الاسلام حتى وقتنا الحاضر . (٢)

---

(١) د . خالدى : مصطفى ، فروخ : عمر ـ التبشير والاستعمار ص ٢١٣ بيروت ٩٠هـ

(٢) د . السباعى : مصطفى ـ المستشرقون والاستشراق ـ ص ٢٨

٧ ـ دخول طائفة من المستشرقين في الدين الاسلامي ظاهرا ليبشروا بالمسيحية في ظل الشعار الاسلامي .[1]

٥٥

موازين البحث عند المستشرقين

يعتمد معظم المستشرقون في تحرير أبحاثهم عن القضايا الاسلامية على ميزان غريب بالغ الغرابة في ميدان البحث العلمي ، فمن المعروف أن العالم المخلص يتجرد من كل هوى وميل شخصي عندما يريد البحث ـ العلمي ـ في أي موضوع فيتابع النصوص والمراجع الموثوق بها ، حتى يصل الى الحقيقة العلمية المطلوبة .

ولكن اغلب هؤلاء المستشرقين كانوا على نقيض من ذلك ، فهم يضعون في أذهانهم فكرة معينة ، ويبدأون في تصيد الادلة لاثباتها ، وحين يبحثون عن هذه الادلة لا تهمهم صحتها بمقدار ما يهمهم امكان الاستفادة منها لدعم آرائهم الشخصية . وكثيرا ما يستنبطون الامر الكلي من حادثة جزئية ، أو أنهم يدخلون بشخصياتهم ، وآرائهم وأهوائهم الخاصة فيفسرون الحوادث ويناقشون النصوص ، ويحللون القضايا والشخصيات الاسلامية[2] على ضوء وجهة نظرهم ويطلون من

---

(١) د . أ . ج . اربري ـ المستشرقون البريطانيون ـ ص ١٠ لندن ١٩٤٦م طف

(٢) د . السباعي : مصطفى ـ المستشرقون والاستشراق ـ ص ٤٥ ، مصطفى : ع مجلة الدارة ـ العدد الثالث والرابع من سنة ١٣٩٦هـ ص ٢٠٧ .

نافذتهم الخاصة فيلقون ظلالا معينة تغير معالم الصورة الاصلية .

ومن هنا يضربون فى متاهات أملاها عليهم الهوى والغرض رغم ما توفر لهم من الامكانيات العلمية بالحصول على المخطوطات الثمينة من تراث الاسلام التى كان من شأنها أن تهديهم الى الفكرة السليمة عن الاسلام والمسلمين . (١)

٥٥

الخدمات التي قدمها الاستشراق للبحث العلمي

ذكرنا فيما سبق أن هناك طائفة من المستشرقين اتجهت الى البحث العلمى الخالص بنية الاستفادة من الجوانب المشرقة للاسلام ، ولا يفوتنا هنا أن نقول كلمة حق ننصف بها الذين أنصفوا الاسلام ودافعوا عنه ، فقد اهتم كثير من المستشرقون بتاريخنا الحضارى ، الذى يعتبرونه ركنا وأصلا فى دراسة أحوال المسلمين من جميع جوانبها ، ويرجع اليهم الفضل فى ابراز المقومات الكبرى والمعالم الرئيسية للحضارة الاسلامية .

وكذلك أبرز بعضهم أثر الاسلام فى حضارات الامم الاخرى ، وكيف تأثرت بحضارته كما أوضحوا بذلك أثر الحضارة الاسلامية فى حضارة أوربا ، وبذلك ترتب

---

(١) القارى : عبدالعزيز- محاضرات الجامعة الاسلامية ص ٢٧٧ .

على هذه الدراسة كشف حقيقة الاسلام وحضارته للجميع ، وأنه لم يكن مجرد ثقافة روحية لم تنحصر حضارته فى ميدان معين ،ولم تكن الحضارة الاسلامية تراث جنس واحد وأمة واحدة ، فقد أنشأ الاسلام حضارة واسعة ثمينة فيها الروح والمادة ، فيها المعرفة والعمل ، فيها الادب والعلم ، حضارة اتسع صدرها لكل نافع من ذخائر الحضارات السابقة لها ، واستطاعت بعد ذلك أن تخرجه للعالم مطبوعا بطابعها الانسانى .

وقد اعترف المستشرقون المنصفون بذلك ،وقد أخرجوا عديدا من البحوث فى هذا المجال .(١)

كما ظهر بذلك أثر الفكر الاسلامى لدى بعض الفلاسفة الغربيين مثل (ديكارت) واحتلت دراسة الفلسفة الاسلامية مكانها فى الجامعات الاوربية وانتشر فى أوربا كثير من الاثار الاسلامية ،وبعض من روائع الادب الشرقى بين شعوب أوربا .

وكان من نتيجة اهتمام الاستشراق بحضارتنا وتراثنا أن نشر كثير من المخطوطات الشرقية وذلك بعد تحقيقها من قبلهم ،والحق ان كثيرا من المراجع التى تعتمد عليها اليوم دراستنا العربية ، يرجع الفضل فى ظهورها أو تيسير الانتفاع منها الى أولئك المستشرقين .(٢)

فقد اهتموا وكرسوا كل جهودهم لاستيعاب المصادر وجمع المعلومات بشكل

---

(١) مجلة الدارة ـ العدد الثانى والثالث من السنة الثانية ـ ص٢٠٧ (المستشرقون والاستشقراق)

(٢) د .هاشم: زكريا ـ المستشرقون والاسلام ص١٦٨ ـ القاهرة ١٣٨٥هـ .

واسع وربما ساعدهم على ذلك اهتمامهم بالاختصاص الدقيق بحيث يقضي أحدهم فترة طويلة من عمره في بحث واحد يتفرغ له ، وكذلك من ضمن خدماتهم التي قدموها للبحث العلمي التنسيق والترتيب في منهج البحث والتأليف والاحصاء والفهرسة وعنايتهم بذلك عناية كبيرة ،وكان ذلك شيئا جديدا على الدارسين المسلمين في الفترة التي ظهرت فيها دراسات المستشرقين الى عالم القراء ، وتنبهت الاوساط العلمية والدارسون في العالم الاسلامي الى هذا المنهج المنسق الذى ظهر في دراسات المستشرقين فاستفادوا منه في بحوثهم ودراساتهم .(١)

ەە

مدارس الاستشراق

لقد اهتم الغرب بانشاء مدارس خاصة لتخريج جماعات منهم يجيدون اللغات الشرقية ،ويدرسون شتى علوم الشرق ومهيئون لتحمل المسئوليات التي ستلقى على عاتقهم تجاه الشرق وأهله ،وليكونوا عملاء للاستعمار في بلاد الاسلام ،الاستعمار بشتى أساليبه وليكونوا أداة تقوض صرح البناء الاسلامي من جميع جوانبه الدينية والثقافية والاجتماعية ، وذلك باتصالهم بالمسلمين فيوهمونهم بأنهم على معرفة تامة بأحوال الشرق وعلومه وعقائده ولغاته وهذا ما دأب عليه الاستشراق لتوهين قوى المسلمين وايهامهم في كل مناسبة بأنهم ضعفاء ومتخاذلون في شتى الميادين .

---

(١) القارى : عبدالعزيز ـ محاضرات الجامعة الاسلامية ـ الموسم الثقافي ٩٣/ ٩٤ (المستشرقون في الميزان)

وسأذكر بعض هذه المدارس على سبيل المثال لا الحصر :

أولا — مدارس في داخل العالم الاسلامي :

١ — الجامعة الامريكية في استانبول

٢ — الجامعة الامريكية في بيروت

٣ — الجامعة الامريكية في القاهرة

٤ — معهد غوتا الالماني في القاهرة

٥ — الكلية الفرنسية في لاهور

ثانيا — مدارس للاستشراق في العالم الغربي :

١ — لقد أسس البابا سلفستر الثاني مدرستين عربيتين لتدريس اللغة العربية والحضارة الشرقية ، وكانت الاولى في روما — في مقر بابويته — والثانية في راميس وطنه ، ثم أضاف بعد ذلك مدرسة ثالثة وهي مدرسة شارتر . (١)

٢ — ولما صار الاستشراق مغذيا لروح التبشير بدأ بانشاء عدة مدارس لهذا الغرض منذ القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، ثم انشأت مدرسة الجمعية المقدسة لنشر الايمان وأنشأها غريقوريوس الخامس عشر سنة ١٦٢٢ . (٢)

٣ — كما أنشأ مدارس خاصة للاغراض السياسية مثل :

١) المدرسة العربية ومعهد " بريل " في مدينة ليون بهولندا .

٢) مدرسة اكسفورد في انجلترا .

---

(١) المليباري : محمد عبد الله — مجلة المؤتمر الاول للادباء السعوديين ص٦ ١٨٩ (المستشرقون والدراسات الاسلامية)

(٢) المصدر السابق ص ١٩٠١

٣) مدرسة القناصل الامبراطورية الملكية في النمسا مهمتها تعليم السلك الدبلوماسي اللغة العربية .

٤) وفي باريس أنشأت مدرسة على هذا الغرار باسم المدرسة الخصوصية للغات الشرقية الحية سنة ١٧٩٥م . [١]

٥) وأنشأت بريطانيا معهد الدراسات الشرقية في لندن سنة ١٩١٧م ، وكان نتيجة ارتفاع الصيحات المطالبة بتأسيس معهد شرقي في بريطانيا تكون مهمته اعداد وتخريج رجال ونساء يستطيعون أن يخدموا وطنهم في الشرق ، إما في السلك السياسي أو التجاري أو في دوائر الحكومة وراء البحار أو في ميادين الثقافة .

وقد تشجعت الحكومة البريطانية نتيجة ضغط الحروب الاولى عندما وجدت نفسها في حاجة الى الذين يهتمون باللغات الشرقية وذلك بالرغم من مصالح بريطانيا الكثيرة المتزايدة الممتدة من المحيط الاطلسي الى بحر الصين ، فعهدت الحكومة البريطانية الى اللورد (برى) بانشاء معهد على هذا الغرار . [٢]

وهناك بعض الكراسي خاصة للدراسات الشرقية في داخل أروقة الجامعات الاوروبية مثل :

١ ــ كرسي للدراسات الشرقية ، بجامعة سانت اندريز [٣] سنة ١٩٦٨م .

٢ ــ كرسي للدراسات الاسلامية بجامعة كمبردج وبها كرسي آخر تأسس عام ١٩٣٢ ، تعهد توماس آدافر رئيس بلدية لندن بتمويله .

٣ ــ مركز الشرق الاوسط للدراسات العربية في لندن أسس عام ١٩٦٠م . [٤]

---

(١) المصدر السابق ص ١٩٠٢

(٢) القارى : عبد العزيز ــ محاضرات الجامعة الاسلامية الموسم الثقافي ٩٣ / ٩٤ ص ٢٨٥ (المستشرقون في الميزان)

(٣) سانت اندريز جامعة في مدينة لاباس في بوليفيا اسست عام ١٨٣٠ . ــ الموسوعة العربية الميسرة ص ٩٤٩

(٤) محاضرات الجامعة الاسلامية ــ ص ٢٨٥

التعريف بفيليب حتي وكارل بروكلمان

وما دمنا فى مجال الحديث عن المستشرقين ، رأيت لزاما على أن أورد ترجمة مبسطة ومختصرة عن كل من المؤلفين الذين هما مجال بحثى " فيليب حتى " و " كارل بروكلمان " ٠٠ وأقول مختصرة لعدم وجود المراجع الكافية لترجمة هاتين الشخصيتين وذلك لكونهما معاصرين لم يكتب شىء عن حياتهما باستفاضة كاملة ٠

أولا ـ فيليب حتى

هو الدكتور فيليب حتى ، المولود فى عام ١٨٨٦م لبنانى الاصل ، أمريكى الجنسية ، تخرج من الجامعة الامريكية فى بيروت عام ١٩٠٨م ونال الدكتوراه من جامعة كولومبيا عام ١٩١٥ ٠ (١)

من هاتين المؤسستين التعليميتين يتضح لنا اتجاه " حتى " الثقافى ، فلو نظرنا الى الجامعة الامريكية وهدف انشائها داخل الوطن العربى نرى أن الجامعة الامريكية فى أصلها هى الكلية البروتستانتية السورية التى أسست عام ١٨٦٦ بجهود الدكتور دانيل بليس عضو البعثة التبشيرية الامريكية فى سوريا ، الذى جمع الاموال من أمريكا وانجلترا ، ثم تحولت فى سنة ١٩٢٠م الى الجامعة الامريكية فى بيروت ٠ (٢)

فهى مؤسسة تبشيرية مسيحية أسست بجهد مبشر وتمويل مسيحى من أجل

---

(١) العفيفى : نجيب ـ المستشرقون ـ ج ٣ ـ ص ١٠١٠ ـ القاهرة ١٩٦٤م
(٢) الموسوعة العربية الميسرة ٠ ص ٦٠١

بث الديانة المسيحية بين أرجاء الوطن الاسلامي ولتثقيف ابنائه وتشكيلهم حسب رغبات التوجيه التبشيري المسيحي .

ثم جامعة كلومبيا وهي جامعة في نيويورك ، أسست عام ١٤٥٧م وهي جامعة مسيحية اهتمت بالدراسات الشرقية لبعث المستشرقين ولنشر الديانة المسيحية بين أرجاء الوطن العربي ، وسعت جاهدة لذلك ، فخصص معهد تابع لها لهذا الغرض هو معهد أمريكا اللاتينية للدراسات الشرقية . (١)

من هنا كان فيليب حتي هو عصارة أفكار أساتذة مسيحيين همهم بث أفكارهم بين رعايا الوطن العربي بواسطة أبنائه فاتخذت من (حتي) مطية لبلوغ أهدافها .

وبعد ذلك عين معيدا في جامعة كولومبيا في القسم الشرقي ثم استاذا لتاريخ العرب في الجامعة الامريكية ببيروت عام ١٩١٩م ، وكلف بتدريس تاريخ العرب لانه في نظرهم يسهل عليه تشويه حقائق هذا التاريخ المجيد ، وذلك بما يتصيده من أخبار وموضوعات ملفقة من قبل الزنادقة والتي وجدت في كتب الادب ، للقصة والفكاهة ، فيعتمد عليها ليشوه بها حقيقة هذا التاريخ .

ثم عين بعد ذلك استاذا مساعدا للاداب السامية في جامعة برنستون عام ١٩٢٦م ثم استاذا عام ١٩٢٩ م واستاذ كرسي ، ثم رئيسا لقسم اللغات والاداب الشرقية عام ١٩٤٤ م . (٢)

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة ــ ص ٦٨٦
(٢) المصدر السابق ص ١٠١٠

مما تقدم ، رأينا كيف كانت الجامعات المسيحية تبذل له العطاء من أجل الاغراء والكسب في جانبها حتى تضمنه في تنفيذ رغباتها وبث سمومها حيث ومتى شاءت .. ومن اثاره على سبيل المثال لا الحصر :

أصول الدولة الاسلامية (١٩١٦) - سوريا والسوريين (١٩٢٦)

تاريخ العرب (١٩٢٧) - أصول الشعب الدرزي وديانته (١٩٢٩)

تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين (١٩٥١) .

٥ ٥ ٥

ثانيا - كارل بروكلمان

مستشرق ألماني ولد في روستوك عام ١٨٦٨م تلقى اللغات السامية على اعلام المستشرقين ومنهم نولدكه تيودور [1] ونبغ فيها ، وطارت شهرته بصفة خاصة في فقه العربية وقراءاتها قراءة فصيحة وكتابتها كتابة سليمة .. وأيضا في التاريخ الاسلامي

---

(١) نولدكه تيودور (١٨٣٦-١٩٣٠م) مستشرق الماني تعلم في جامعة جوتنجن عين استاذا للغات الشرقية في جامعات عدة من جامعات المانيا ، وله دراسات كثيرة خاصة في تاريخ العرب وثقافاتهم من أشهرها تاريخ القرآن (٣أجزاء) ودراسات فقهية وأدبية أخرى (العقيقي : نجيب ص٧٣٨)

وتاريخ الادب العربي حتى عد اماما من أئمتها ،عين استاذا لهذه الفنون في جامعات برسلاو (١٨٩٣-١٩٠٣) وكونسبرج (١٩٠٣-١٩٠٩) و(١٩٠٩ - ١٩٢٠) وبرلين (١٩٢٠-١٩٢١) وعاد الى برسلاو (١٩٢١-١٩٣٧) وعين مديرا فيها (١٩٣٢) ثم انتخب عضوا في مجامع برلين وليبزيج وبودابست وبون ودمشق وجمعيات آسيوية كثيرة . (١)

مما سبق يتضح لنا مدى تعمق هذا المستشرق في الدراسات الشرقية ومدى اهتمامه بلغاتها ،حتى تمكن من سبر غور ثقافته وتكونت له الملكة في القدرة على الطعن والتشويه في حقائق الدين والتاريخ الاسلامي . وله مؤلفات جمة منها العلاقة بين كتاب الكامل في التاريخ لابن الاثير وبين كتاب أخبار الرسل والملوك للطبري - وهذه هي رسالته التي حصل بها على الدكتوراه من جامعة استراسبورج ١٨٩٠ - .. تراجم من روى عنهم محمد بن اسحاق .. ثم عرض لتراجم العلماء والادباء في العصور الاسلامية جمعاء وذيل كل ترجمة بمصادرها ، وله كتاب تاريخ الشعوب الاسلامية ، كما أن له بحوث وتحقيقات كثيرة في التراجم العربية ،ولقد حقق كتاب (تلقيح مفهوم أهل الاثر لابن الجوزي) .. وكتاب (الوفا في فضائل المصطفى لابن الجوزي) وكذلك في اللغات والادب ، فله باع طويل في التأليف والبحث . (٢)

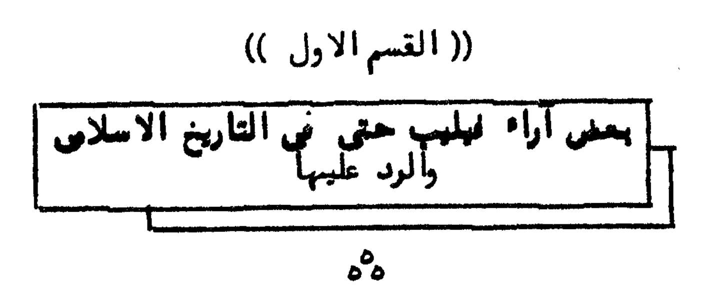
-.-

---

(١) العقيقي : نجيب المستشرقون - ص٧٧٧

(٢) المصدر السابق ص٧٧٨- ٧٨٣.

((القسم الاول))



بعض آراء فيليب حتى فى التاريخ الاسلامى والرد عليها

ەە

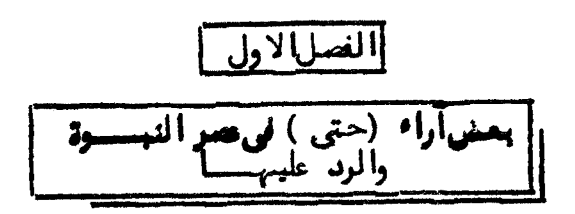
(١) الفصل الاول : بعض الاراء فى عصر النبوة والرد عليها

(٢) الفصل الثانى : بعض الاراء فى عصر الراشدين والرد عليها

(٣) الفصل الثالث : بعض الارا فى عصر بنى أمية وبنى العباس والرد عليها

ـ • ـ

الفصل الاول



بعض آراء (حتى) فى عصر النبوة والرد عليها

١

يطعن (حتى) فى العنصر العربى جملة فيذكر :

(وكان هؤلاء هم أنفسهم الذين فى وقت
من الاوقاف حسبوا أنفسهم مترفين بأكلهم
العقارب والخنافس وابن عرس (الجرذان)
والذين حسبوا الارز طعاما مسموما واستخدموا
المرقق من الخبز رقاعا للكتابة) *

٥٥

ان حتى عند زعمه هذا نراه يعتمد اعتمادا على ما أورده ابن خلدون فى

(*) حتى : فيليب ـ تاريخ العرب المطول ص ٣٣٥ انظر النسخة العربية المترجمة ص ٤١٢ .

مقدمته حين حديثه عن طبيعة أهل الحجاز الاجتماعية [١] .. أما نحن فلا نعرف لابن خلدون حجة أو صحيح برهان لما يقول ..وانما الذى نعرفه عن عرب الحجاز هو ما نستشفه من آيات القرآن الكريم وصفا لحياتهم ، وما بلغوه من القدر الحضارى ، والحياة المترفة ،وقوة الجدل وشدة البأس ، مما يدل على تفوقهم ونضوجهم فكريا فى شئون دنياهم [٢] ومدلول ذلك قوله تعالى : " يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون " . [٣]

وغير ذلك ادعاء كاذب — وتهمة باطلة — يدحضها واقع العرب الاجتماعى والعلمى ،فالعرب فى ماضيهم قوم متحضرون لا كما يصفهم (حتى) بل كانوا على علم بمعظم أنواع الاطعمة ووسائل الترف والنعيم كما كانوا يتمتعون بأنواع شتى من ضروب المعرفة فى كثير من الميادين وذلك بسبب الاختلاط بالامم الاخرى ، عن طريق التجارة والرحلات الشتوية والصيفية وعرفوا خيرات تلك الامم ومارسوها قبل أن يأتى (حتى) بهذه الاوصاف المشينة وقبل أن يذكرها ابن خلدون .

ودليل ذلك هو تصوير القرآن الكريم لما تهيم به نفوسهم من حب للترف حيث قال تعالى " زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب " [٤]

---

(١) ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد — العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ١ ص١٧٠ بيروت ١٣٩٢هـ
(٢) د .شعوط: ابراهيم على — اباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ،القاهرة ١٣٩٦هـ
(٣) سورة الروم آية ٧
(٤) سورة آل عمران — آية ١٤

ويقول المستشرق الفرنسي جوستاف لوبون (والعرب هؤلاء قد ظهروا على مسرح التاريخ قبل الرومان بقرون كثيرة وأنشأوا المدن العظيمة ، وكانت علاقاتهم بأرقى الشعوب وثيقة .

ثم يعود فيقول ولم يكن التاريخ صامتا ازاء ثقافة العرب القديمة صمته ازاء الحضارات الاخرى التي رفع العلم الحديث عنها التراب ولو كان التاريخ صامتا ازاء حضارة العرب لقلنا – مع ذلك – بوجودها قبل ظهور محمد بزمن طويل .. ويكفي لتسميتها أن نذكر أنه كان للعرب قبل ظهور محمد آداب ناضجة ولغة راقية ، وانهم كانوا ذوى صلات تجارية بأرقى الامم في العالم منذ القدم فاستطاعوا في أقل من مائة سنة أن يقيموا حضارة من أندر الحضارات التي عرفها التاريخ .[1]

فقد كان على (حتى) أن يرجع الى ما ذكره " لوبون " وهو من ملته حتى يعرف العرب على حقيقتهم ولم يقف عند ما ذكره ابن خلدون وهو في هذه الحالة يشارك ابن خلدون في هذه الفرية ويتحمل معه المسئولية .

وعن الآخرة حدثهم القرآن الكريم عن الجنة وعن الخيرات والنعيم وحدثهم عن أوصاف الجنة وترفها ونفائسها وكؤوسها وحريرها وديباجها ولؤلؤها ، وجوهرها ، وغير ذلك من مظاهر الترف والنعيم ، ولو لم يعرف العربي ذلك لما وصفه له القرآن كما أننا نرى أن القرآن قد بين أنواع الاطعمة في الدنيا ، وبين حلالها وحرامها ، وذلك دليل على معرفة العربي بشتى أنواع الاطعمة .

---

(١) لوبون : جوستاف – حضارة العرب – ص٨٨ القاهرة ١٩٦٩م

ويعلق الدكتور ابراهيم شعوط على ذلك فيقول :

ولعل كثيرا منهم كان يعيش عيشة الترف والنعيم هذه التي كشف القرآن عنها ، والا لما تذوقوا للقرآن طعما ولا بهرتهم آياته .. حتى أحنوا رؤوسهم أمام اعجازه .. ونحن نعلم أن الترغيب والترهيب لا يؤتى ثماره ولا يحدث أثره الا اذا كان بما هو معروف لدى المخاطبين من وسائل اللذة والالم ، التي عاشوها واصبحت جزءا من حياتهم . (١)

وعلى كل حال فقد كانت العقلية العربية قبل الاسلام أسمى وأرفع من أن تتدنى الى تلك المراتب التي يصفها (فيليب حتى) .. فقد كانت العقلية العربية عقلية فذة نادرة قد اختارها الله لان تكون في قوم يخرج منهم أفضل خلقه وأكرمهم فالله سبحانه وتعالى قد هيأ العرب لان يكونوا سادة العالم بعقليتهم وبخلقهم الكريم القويم فيكونوا أمة وسطا بين الناس " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس " . (٢)

فعرب الحجاز أنفسهم كانوا أهل ثراء وأهل أموال فقد ذكر القرآن ذلك حيث قال : " تبت يدى أبى لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب " (٣) وقال " ويل لكل همزة لمزة الذى جمع مالا وعدده " (٤) وقال " خذ من أموالهم صدقة " (٥)

---

(١) د . شعوط : ابراهيم ـ أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ـ ص ٢٥
(٢) سورة البقرة ـ آية ١٤٣
(٣) سورة اللهب ـ آية ١ ، ٢
(٤) سورة الهمزة ـ آية ١ ، ٢
(٥) سورة التوبة ـ آية ١٠٣

وهذا عثمان بن عفان وثراؤه المعروف .. فهذا دليل على ثراء القوم ومن غير المعقول ان تتكون عندهم هذه الثروة من المال الا بالتجارة أو الصناعة وهما من أهم مميزات ودعائم الحضارة فى العالم .

ومن أين أتت لهم هذه الاموال ان لم يكونوا قد مارسوا احدى هاتين الدعامتين .. ؟

ويقول الدكتور جواد على " بالنسبة لعرب الحجاز وثرائهم " :
" ووجدت قريش نفسها حرة مستقلة وفى وضع يمكنها من استغلال مواهبها فى التجارة فقامت بمهمة الوسيط ، تنقل تجارة اليمن الى أسواق فلسطين وتنقل تجارة بلاد الشام وحوض البحر المتوسط الى الحجاز ونجد واليمن وبذلك حصلت على أرباح طائلة عظيمة جعلتها من أغنى العرب عند ظهور الاسلام .. وصيرت مكة مركزا خطيرا من مراكز الثروة والمال فى جزيرة العرب فى ذلك الحين " .(١)

ولو لم تكن لديهم أموال كثيرة ومكدسة لما قال تعالى " خذ من أموالهم صدقة "(٢) وكما قال تعالى " والذين يكنزون الذهب والفضة "(٣) .. كل ذلك دليل على ثراء القوم وتحضرهم .

فلو كانت الامة العربية أمة متأخرة كما يصفها (حتى) وغيره من المغرضين

---

(١) د .على : جواد ــ المفصل فى تاريخ العرب ــ ج ٧ ص ٢٨٥ بيروت ١٩٦٨م
(٢) سورة التوبة ــ آية ١٠٣
(٣) التوبة ــ آية ٣٤

لما اختارها الله ليكون منها سيد الرسل صلى الله عليه وسلم وليس من المعقول انها كانت أمة همجية ثم قفزت تلك القفزة التي وصلت بها الى قمة المجد بمجرد ظهور الاسلام .

فهل يختار الله عز وجل من أمة منحطة متخلفة عقليا واجتماعيا وماديا أشرف الانبياء ؟ ..

فلو كان عرب الحجاز أمة جاهلة بشئون دنياها لما قال الله سبحانه وتعالى " يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وعن الاخرة هم غافلون " (١)

وذكر ذلك لوبون فقال (فان أمكن ظهور حضارة أمة ولغتها بغتة على مسرح التاريخ لا يكون هذا الا نتيجة نضج بطيء ولا يتم تطور الاشخاص والامم والنظم والمعتقدات الا بالتدرج) . (٢)

ويقول " سيديو " في هذا الصدد (ان وجود العرب في مركز تجارة الجنوب والشرق مكنهم من النظر في معارف جميع الامم المجاورة فاتفقت لهم بذلك ثقافة عقلية لم يظهر مثلها في جبال أورال وجبال التاي) . (٣)

ويذكر نجيب محمد البهبيتي " ان الجماعة البشرية لا يمكن أن تنتقل طفرة من حالة الفوضى وعدم الاستقرار والتفرق التي ترتبط بشريعة الغاب الى حالة من النظام المثالي الذى لا يكاد يتصل به مثال " . (٤)

---

(١) سورة الروم ــ آية ٧

(٢) لوبون : جوستاف ــ ص٨٨

(٣) ل : سيديو ــ تاريخ العرب العام ــ ص ٣٢ ــ القاهرة ١٣٨٩

(٤) مجلة كلية الاداب ــ المجلد ١٤ جا ص ٩١ ــ عدد مايو ١٩٥٢ المقال للدكتور نجيب محمد البهبيتي .

واذا انتقلنا من أقوال المؤرخين المختلفة التى أعطت للعرب حقهم واتجهنا ببحثنا الى اصالة اللغة التى كان يتحدث بها هؤلاء العرب فنجد أن اصالة اللغة العربية دليل على متانة الشخصية العربية التى استطاعت أن تسود العالم ما يزيد على ستة قرون ، فاللغة العربية هى التى نزل بها القرآن المعجزة .

فاذا كانت أمة ما فى أحد عصورها ضعيفة المادة ضيقة المجال ، كان ذلك برهانا على ضيق أفق تلك الامة فى تلك الفترة من حياتها ، وضعف معارفها وقواها العقلية .

وعلى عكس ذلك اذا كانت غزيرة المادة ودقيقة الاداء تتسع لشتى الافكار والمعانى غنية فى المفردات ، مرنة فى الاشتقاق والاقتباس فان ذلك يكون دليلا على نشاط الذهن وسعة الافق وقوة الافكار والتجارب والحيوية العقلية . (١)

ويقول رينان " ومن أغرب ما وقع فى تاريخ البشر وصعب فهم سره انتشار اللغة العربية غنية آية فى الغنى ، كاملة بحيث لم يدخل عليها منذ ذلك العهد الى يومنا هذا أدنى تعديل مهم فليس لها طفولة ولا شيخوخة " . (٢)

ويقول المستشرق البريطانى (آربرى) واللغة العربية عبقرية التركيب صلدة البناء ورقيقة الاحساس فى وقت معا .

---

(١) د . شعوط : ابراهيم ـ أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ـ ص ٣٦

(٢) مقال للدكتور شعوط : ابراهيم ـ مجلة جامعة الملك عبد العزيز ـ عن المستشرق رينان : ورينان فيلسوف فرنسى (١٨٢٣ ـ ١٨٩٢م) دخل المدارس اللاهوتية ، تضلع فى اللغات الشرقية حتى صار من ثقاتها ، أخذ بمذهب حرية الفكر ورحل الى الشرق ونزل لبنان ، عنى بالعقائد الاسلامية انتخبضوا فى المجمع اللغوى الفرنسى عام ١٨٧٨م .

وليس من أدب غربي يستطيع بحال أن يعدل العربيـة في ميادين النحـو وعلوم البلاغة وتدوين المعاجم وكل فروع الدراسة اللغوية ". (١)

-•-

(١) د. آربري - أ. ج. - المستشرقون البريطانيون - ص ٩

٢

يذكر فيليب حتى فى كتابه " تاريخ العرب" العبارة التالية :

(ولقد تزوج النبى من نحو اثنتى عشـــرة
زوجة بعضهن بدافع الحب) *

هـ هـ

فمن تلك التى يعنيها (حتى) بقوله ؟ ..

لاشك أن (فيليب حتى) يقصد ما كتبه بعض المؤرخين والمفسرين مـــن أنها هى السيدة زينب بنت جحش ، ونحن حينما نرد على فيليب حتى وعلى من نقـل عنهم من المؤرخين والمفسرين نحمله تبعة نشر هذه التهمة التى كان يجب أن يحققها بالاسلوب العلمى الحديث فلا يقع فيما وقع فيه بعض المؤرخين والمفسرين المسلمين ونرد على هذه الفرية بما يأتى :

ان عرب الجاهلية كانوا قد درجوا على تقاليد فى مجتمعهم الجاهلى تقوم على ما يأتى :

(*) حتى : فيليب ــ تاريخ العرب المطول ص ١٢٠ ــ انظر النسخة العربيـــــة المترجمة ص١٦٦

أولا : ان القرشية لا تتزوج الا قرشيا مهما كان شأن غير القرشي .

ثانيا : ان الابن المتبنى كانت له جميع حقوق الابن من النسب .

ثالثا : اذا حدث وتزوجت قرشية بغير قرشي هانت منزلتها فلايقربها شريف .

وأراد المولى سبحانه وتعالى من رسوله أن يغير هذه العادات وتلك التقاليد بما يتفق مع مبادىء الاسلام .

فبالنسبة للتفاخر بالاحساب والانساب لقد ألغاه الاسلام وجعل مكانه التفاضل بالتقوى والاخلاق الفاضلة ،فقال تعالى : " ان أكرمكم عند الله أتقاكم " وقال الرسول (لا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى) .. وبالنسبة للابن المتبنى فان الاسلام جعله غريبا عن أبيه بالتبنى ، فقال تعالى : " ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله "(1) وقال سبحانه وتعالى أيضا " ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ".(2)

وبالنسبة للمرأة التى تهون منزلتها اذا تزوجت من غير قرشي فان الاسلام يعيد اليها كرامتها ـ وكان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أن يقوم بكل ذلك ليمحو ما كانت عليه الجاهلية ويضع المبادىء الجديدة في الاسلام .. فبدأ بخطبة القرشية لغير القرشي ،فكانت القرشية هى بنت عمة الرسول ومن القمة فى قريش فتكون تحت مولاه ـ ولتكون تحت زيد بن الرسول بالتبنى ـ فتحطم الفوارق بالاصل والحسب ويصبح التفاضل بمعايير أخرى جديدة تقوم على المبدأ الالهى الجديد هو : " ان أكرمكم عند الله أتقاكم " فيخطب زينب لزيد ،يخطب قرشية من

---

(١) سورة الاحزاب ـ آية ٤٠

(٢) سورة الاحزاب ـ آية ٥

القمة لغير قرشي بل مولى .. فتثور الكبرياء في نفس زينب وأخيها فيرغما بالقرآن .. وتنقطع المجادلة والممانعة بقوله تعالى : " وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا " . (١)

فرضخت زينب للأمر الالهي فسلمت لزيد جسدها ولكن قلبها عصاها ، وظلت نافرة من قسوة التجربة وغرابة التطبيق ، فلا تستطيع أبدا أن تتصور أن هناك كفاءة بينها وبين زيد وكان زيد يعاني من تلك العوامل النفسية عند زينب ، أشد ما يعانيه المعذبون في حياتهم الزوجية .

وكان سوء العشرة بين زينب وزيد تخطيطا الهيا حتى يتسرب الفساد الى العشرة بين زينب وزيد ويحصل الفراق ويأتي من هنا أمر آخر لابد من تحقيقه في المجتمع ، ولكن موعد هذا الامر لم يكن معروفا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان كان يعلم أن زيدا سيطلق زينب ، وانه سيتزوجها بعد زيد (٢) ليقضي على فكرة تحريم زواج الوالد من زوجة ابنه بالتبني اذا طلقها .

ولكن متى ذلك ؟ .. هذا الذي لم يعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك كان دائما يقول لزيد حينما يشكو له " امسك عليك زوجك واتق الله " لانه خشي مقالة قريش في خروجه عن المألوف فنزل العتاب من الله عز وجل في قوله تعالى : "واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله ، وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه " . (٣)

---

(١) سورة الاحزاب – آية ٣٦
(٢) العامري : عماد الدين يحيى بن أبي بكر – بهجة المحافل ج ١ ص ٢٨٩ بيروت
(٣) سورة الاحزاب – آية ٣٧

وكان الغرض من ذلك ابطال عادتين جاهليتين في وقت واحد :

١ ـ عدم المساواة بين الابن بالتبني والابن بالنسب وكان ذلك تطبيقا عمليا لقوله تعالى : " وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل " . (١)

"ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين " (٢)

وقوله في المحرمات من النساء " وحلائل ابنائكم الذين من أصلابكم " (٣)

٢ ـ أن يغير نظرة المجتمع الى المرأة المتزوجة من غير القرشي فأى مثل يقتدى أروع من أن يتزوج الرسول الكريم من امرأة قد تزوجت برجل غير قرشي بل مولى

هذه هي صورة زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش كما يصورها الدكتور ابراهيم شعوط في كتابه . (٤)

وهنا أطلق المرجفون لخيالهم العنان واخترعوا قصة مؤداها (أن الرسول صلى الله عليه وسلم قام بزيارة (زيد) في بيته بعد زواجه منها فلم يجده ـ وبينما هو كذلك حرك الهواء ستار البيت ـ فرأى الرسول من زينب ما أعجبه واستقر حبها في قلبه فانصرف وهو يقول " سبحان مقلب القلوب " فسمعت زينب تلك التسبيحة ثم أخبرت بها زيدا وعرف الحقيقة .

---

(١) سورة الاحزاب ـ آية ٤
(٢) سورة الاحزاب ـ آية ٤٠
(٣) سورة النساء ـ آية ٢٣
(٤) د . شعوط : ابراهيم ـ اباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ـ ص ٧٥ـ٧٨

وكان كلما ذهب الى الرسول يشكوها يقول له عليه الصلاة والسلام (امسك عليك زوجك واتق الله) ٠٠ ولم يكتف المرجفون بذلك بل كان لابد لهم من البحث عن دليل يؤيدون به قصتهم ـ ففسروا قوله تعالى " وتخفى فى نفسك ما الله مبديه " بأن الذى أخفاه مقصود به الحب ـ لتتم لهم الحبكة القصصية ٠

هكذا قالوا ـ ومن المؤسف أن بعض المفسرين تبعهم ، وقلة من المؤرخين ساروا فى ركابهم ٠ (١)

ان ردنا على هذه الفرية من زاوية العقل والمنطق لايحتاج الى كبير عناء :

١) أليست زينب بنت جحش ابنة عمة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ، وألم يكن يراها قبل زواجها الاول ٠٠ خاصة أن آيات الحجاب لم تكن قد نزلت قبل هذا الزواج ٠٠ فكانت الرؤية مباحة ـ ان صح ادعاؤهم عن هذه الرغبة ـ فلم تأخر فى اعلانها ؟ ولم أخفى حبه لها ؟ ألم يكن زواجه بها حينذاك ممكنا ؟

٢) وتفسيرهم الباطل لقوله تعالى " وتخفى فى نفسك ما الله مبديه " يحمل فى

---

(١) الزمخشرى : أبو القاسم ـ تفسير الكشاف جـ ٢ ـ ص٢١٢ ـ بيروت دار الفكر ابو السعود : محمد جـ ٤ ـ ص٢١٢ ـ القاهرة دار السعادة /تاريخ الطبرى جـ٢٢ص ١٣ ـ القاهرة دار المعارف المصرية / بن الاثير : على بن محمد الكامل فى التاريخ جـ ٢ ـ ص١٢١ بيروت ١٣٨٦ / لوبون : جوستاف ـ حضارة العرب ـ ص١١٢ / حسين : طه ـ على هامش السيرة ـ جـ٣ ص٢٢٧ القاهرة ـ الطبعة الثامنة ٠

طياته د ليل بطلانه لان الذى أبداه الله هو الزواج لا الحب . (١)

ولنا ملاحظة هنا على الطبرى فى هذه القصة حين ذكرها فى تفسيره ، ولم يذكر شيئا مما قاله غيره عن الحب من رسول الله لزينب ولكنه حين ذكرها فى تاريخه (تاريخ الامم والملوك) خاض مع الخائضين بنقله عن وهب بن منبه فاعتمد عليه فيما خاض فيه . وهذا يدل على ان هذه الرواية وضعها خصوم الاسلام فى كتب المسلمين .

٣) يقول ابن الخطيب فى هذا الموضوع : مؤلف كتاب حقائق ثابتة فى الاسلام

ان يوسف الممتلىء شبابا وفتوة تختلى به امرأة مشبعة الجمال والفتنة وهى فى نفس الوقت ملكته وسيدته فيستغيث بربه ويولى هاربا مما عسا ، أن يوقعه فى الاثم .ولم يكن فى ذلك الوقت نبيا ولا رسولا ..

ويأتى محمد بن عبد الله امام الرسل وسيد الخلق فتفتنه امرأة هى فى مرتبة زوج الابن .. فلا يلجأ الى مولاه ليحفظه .ولا يهرب مما عساه أن يحط من قدره كبشر .. فلم يبلغ شأن يوسف عليه السلام . (٢)

---

(١) الطبرى ــ مجمع البيان ــ ج٢٢ ص١٤٠ بيروت ١٣٨٠ / قطب : سيد ــ فى ظلال القرآن ــ ج٢٢ ص٢٧ بيروت ١٣٨٦ / الخازن : علاء الدين على بن محمد ــ تفسير الخازن ــ ج٤ ص٢٦٣ بيروت ــ دار الفكر / تفسير البغوى : ابو محمد الفرا ــ ج ٥ص٢١٦ بيروت دار الفكر / ابن كثير : ابوالفدا اسماعيل البداية والنهاية ج ٤ ص١٤٥ ــ بيروت ١٩٧٤م / العامرى : بهجة المحافل ــ ج١ص٢٨٩

(٢) ابن الخطيب : محمد محمد عبد اللطيف ــ حقائق ثابتة فى الاسلام ــ ص١٤٥ القاهرة ١٣٩٤هـ

أما التفسير الحقيقي لقوله تعالى " وتخفي في نفسك ما الله مبديه " أي تخفي في نفسك زواجك منها حيث قال تعالى (زوجناكها) حسب رواية علي بن زين العابدين — وقد أبداه الله له من قبل — فكان عتاب الله لنبيه على قوله — لزيد — امسك عليك زوجك — وهو يعلم أنها ستكون من أزواجه (صلى الله عليه وسلم) حيث أخبره الله عز وجل بذلك . (١)

ويقول الشيخ ابراهيم شعوط " فكيف تؤخذ هذه القصة المأخذ الدنيء وكيف تصور بصور قصص الغرام والوله ؟ وكيف يرويها رواة مسلمون في كتب انتشرت في كل أنحاء العالم من غير تدبر فيما تهدف اليه ، دون أن يدركوا أنه يكفي لتفنيدها قوله تعالى لرسوله " فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا " (٢)

ففي الاية الكريمة ذكر صريح لسبب تزويج زينب من رسول الله وهو اسقاط حرج المؤمنين من زواج نساء أولادهم بالتبني بعد أن يكون هؤلاء الاولاد قد قضوا من أزواجهم كل غرض . (٣)

---

(١) الطبري — مجمع البيان — ج٢٢ ص ١٤٠ / بيروت ١٣٨٠ / قطب : سيد — في ظلال القرآن — ج٢٢ ص ٢٧ — بيروت ١٣٨٦ / تفسير الخازن ج ٤ ص ٢٦٣ تفسير البغوي — ج٤ ص ٢١٦ / ابن كثير — البداية والنهاية — ج٤ ص ١٤٥ العامري — بهجة المحافل — ج ٢ ص ٢٨٩

(٢) سورة الاحزاب — آية ٣٧

(٣) د . شعوط : ابراهيم — أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ — ص ٨٢

فكان لزاما على (فيليب حتى) أن يقرأ هذه الايات وأن يتدبر معناهـــا ليفيد منها فكثيرا ما اعترف بالقرآن ـ كتابا معجزا ـ [1] وهـذا الاعـتراف كان يقتضيه التدبر والامعان •

ومن أجل هذا يحق لنا أن نعتبر كلامه فى هذا الموضوع فرية •• يقـو ل الامام الخازن فى هذا الصدد : وأصح مافى هذا الباب أن الله عاتبه وقـال: (لم قلت امسك عليك زوجك وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك؟) وهذا هو الاولى والاليق بحال الانبياء : وهو مطابق للتلاوة لان الله تعالى أعلـم نبيه أن يبدى ويظهر ما أخفاه •ولم يظهر غير تزويجها منه فقال تعالـــى (زوجناكها) فلو كان الذى أضمره الرسو ل صلى الله عليه وسلم محبتهـــا وارادة تطليقها لكان يظهر ذلك • لانه لايجوز أن يخبره أن الله سيظهـره شهكتمه ولا يظهره •فدل ذلك على أنه انما عوتب على اخفاء ما أعلمه اللـــه أنها ستكون زوجته •وانما أخفى ذلك استحياء : أن يخبر زيدا أن الـــتى تحتك وفى نكاحك ستكون زوجتى • [2]

٤) لو صح ما ادعاه المدعون من حب النبى (ص) لزينب •• فلم يكن فى الامكـا ن بعد ذلك (ومحمد القدوة عند اصحابه والمثل الاعلى لهم) أن يبقى فى مكان الصدارة •يحتل أروع مافى قلوبهم ـ ويبقى صحابته من حوله يلتفون بـــه ويثقون به ـ ألم يكن منطقيا وقد رأوا منه هذا ـ أن ينفضوا من حولـــه • أو تقل الثقة به فتتزعزع مكانته ؟ ان شيئا من ذلك ـ لم يحدث ـ حـــتى

(١) حتى : فيليب ـ تاريخ العرب المطول ـ انظر النسخة العربية المترجمـــة ج ١ ص ١٧٧

(٢) تفسير الخازن ـ جـ٤ ص ٢١٦ ـ بيروت دار الفكر •

زيد بن حارثة نفسه وهو أولى الناس بأن يحمل راية الانشقاق ـ بقي على اخلاصه بل اشتد اخلاصه بعد هذا الزواج للنبي صلى الله عليه وسلم •

(وحتى) نفسه يذكر ذلك في كتابه حيث يقول :

(ولم يحدث أن اعتبر شخص واحد عند طائفة من طوائف الجنس البشري المثل الكامل للانسان فقلدت افعاله بمنتهى الدقة كما حدث لمحمد)(1)

٥) هذا ردنا على ما قيل ـ ونحن لا نستبعد أن ما نسب الى بعض المؤرخين أو المفسرين قد دس عليهم في كتبهم •• وهذا أقرب الى المنطق •• فمن غير المعقول أن يتسرب الشك الى ذهن أحد من أولئك العلماء الافاضل في شخصية الرسول (كالزمخشري) ويتهمه بهذه التهمة التي يجل عنها مقامه الكريم ومكانته السامية •

ـ•ـ

---

(١) حتى : فيليب ـ تاريخ العرب المطول (انظر النسخة العربية المترجمة ج ١ ص ١٦٦)

٣

يذكر (فيليب حتى) عن أحوال المسلمين بعد موقعة (أحد) ما يأتي :

(ولكن انتصار المكيين لم يدم فما لبث الاسلام أن استرجع قواه وتحول ـ بعد الهزيمة ـ تدريجيا من دور الدفاع الى دور الهجوم وأصبح انتشاره دائما مؤكدا) (*)

٥٥

عبارة (حتى) جاوزها التوفيق فى وصف ما أراد ، لانه ـ على ما يبدو ـ يريد أن يقول أن الاسلام بدأ وجوده بالهجوم على كل من خالفه ، ولكنه حين أراد التعبير عن ذلك قال : (مالبث الاسلام أن استرجع قواه) فلم تكن للاسلام قوة فقدها حتى يسترجعها ٠٠ وانما بدأ الاسلام بالدعوة وعرض الفكرة بالحسنى وظل هكذا طوال ثلاثة عشر عاما فى مكة وليس لدى المسلمين قوة حتى يستعملوها وأملى عليهم القرآن الكريم طريقة التفاهم مع قريش بكل أساليب السلم والهدوء والاقناع وتحمل الاذى والصبر والصمود .

(*) حتى : فيليب ـ تاريخ العرب المطول ص ١١٧ (انظر النسخة العربية المترجمة جـ ١ ص ١٦١)

وربما كان قصد (حتى) أن الاسلام انتشر بالسيف ، وهذه قضية تبناها كثير من خصوم الاسلام .

وللرد على هذه القضية نقول :

ان الدعوة الاسلامية لم تقم على العنف ، ولم تعتمد فى أسلوبها بسادىء ذى بدء على السيف ،ولكنها اتخذت المنطق سبيلا للاقناع ،وكان منهج الرسول المعلم فيها قوله تعالى " وجادلهم بالتى هى أحسن " . (١)

ولو نظرنا الى القرآن الكريم والذى نزل فى مكة فى فترة بلغت ثلاثة عشر عاما لرأينا أن أوامر الله عز وجل لنبيه لم تكن الا فى الاطار اللين لدعم العقيدة ونشر الدعوة .

ولما تم نشر الدعوة بالحجة والمنطق ، ازداد الضغط على من أسلم وخاصة المستضعفين منهم أمرهم الرسول بالهجرة الى الحبشة ثم الى المدينة ،وبدأ الوضع فى التغير لمواجهة تلك الضغوط على الدعوة وأصبح أمل معتنقى الاسلام والعقيدة أن يتمكنوا من الدفاع عنها ،ولكن كيف السبيل والاوامر الالهية كلها توصى بأن يكون الدفاع بالتى هى أحسن .. وظلت الامور الخاصة بالمسلمين هكذا حتى قوى الاسلام وأعزه الله بالمهاجرين والانصار وصارت المدينة دار اسلام ومعقلا يلجأ اليه أحباب الله وصار عندهم من العدد ما يكفى للزود عن حوزتهم والمدافعة عن أنفسهم . . هنا أذن الله لنبيه بالقتال ونزل قوله تعالى : "اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير " . (٢)

---

(١) سورة النحل ـ اية ١٢٦

(٢) سورة الحج ـ اية ٣٩

نعم ، أذن للذين ظلموا بالقتال ولكن لم يترك الامر فوضى ، بل ربط هـذا الامر بقواعد وفصل هذه القواعد تفصيلا واضحا فقال : " وقاتلوا في سبيل اللـه الذين يقاتلوكم ولا تعتدو أن الله لا يحب المعتدين ، واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم " . (١)

" ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان " (٢)

من هذه الايات يتضح لنا أن الاسلام قد فصل في موضوع القتال ، تفصيلات تبين الدوافع ، والمبررات التي توجب على المسلم القتال ، والوقوف في وجه أعداء الاسلام والدفاع عن النفس وعن العقيدة ، وعن معتنقي العقيدة ، فالقتال الذي امر به الاسلام كله قتال دفاع ، وليس قتال هجوم كما يصفه خصوم الاسلام وما تضمنته عبارة (حتى) .

ولم يذكر القران الكريم سببا غير هذا يدفع بالمسلمين لخوض المعارك واراقة الدماء ، فالمسلمون لم يخرجوا الا لنشر الدعوة والدفاع عنها ومجاهدة من يرفضها أو الموت في سبيلها وهذا ما أيده (حتى) نفسه ليسجل على نفسه تعصبا مقيتا على الاسلام والدعوة الاسلامية حيث يقول :

(وللجهاد كما لغيره من فرائض الاسلام وعقائده شروط وأحكام ، منها أن الجهاد يسبقه أولا دعوة غير المسلمين الى دين الاسلام فان استجابوا فلا جهاد ولا قتال) . (٣)

---

(١) سورة البقرة ــ اية ١٩٠ ، ١٩٢

(٢) سورة النساء ــ اية ٧٥

(٣) حتي : فيليب ــ خمسة الاف سنة من تاريخ الشرق الادنى ــ جـ ا ص ٢٤١ بيروت ١٩٧٥

ولم يحشهم للقتال من أجل مغنم بل هو دفاع عن الحق لاظهاره كما أراده الله ليخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم .. يؤيد هذا الواقع التاريخي فيما قبل (أحد) وما بعدها .

ومن المعروف أن آيات الجهاد لم تنزل الا عندما استقر المقام بالمسلمين في المدينة فخيل (لحتى) أن المسلمين قد تحولوا من دور الدفاع في مكة الى دور الهجوم في المدينة ، وهذه الفكرة خاطئة ، فموقف المسلمين كان دائما موقف دفاع وليس موقف هجوم ، وكل المعارك التي حدثت بين المسلمين والمشركين من بدر وأحد كانت دفاعا من المسلمين وهجوما من المشركين .

وسجلت المعارك للمسلمين وهم في موقف الدفاع النصر ضد هجوم خصومهم سواء كانوا من العرب أو الفرس أو الروم لان خطوط الدفاع تنقسم الى قسمين خط دفاع قريب وهو الالتحام بالعدو في المعركة وخط دفاع بعيد وهو ضرب من يعين الخصم ويمده بالاسلحة أو بالرجال مهما كانت أرضه بعيدة فقبل أحد وبعدها كان المسلمون في دور دفاع ولم يكونوا في دور الهجوم مصداقا لقوله تعالى " واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم " . (١)

ويصدق قول الاستاذ العقاد حين يذكر (ان أكثر البلاد عددا من المسلمين هي أقل البلاد غزوات اسلامية) (٢)

---

(١) سورة الانفال ـ آية ٦٠
(٢) العقاد : عباس محمود ـ مايقال عن الاسلام ـ ص ١٣٥

٤

يذكر (فيليب حتى) فى كتابه عن المعجزات فيقول :

(وفى علم الالهيات القرآنى (أى فى علوم القرآن) ليس محمد الا بشرا معجزته الوحيدة هى اعجاز القرآن) (*)

٥٥

ان هذا القول يخالف الواقع ، فالمعجزات النبوية التى أجراها الله سبحانه وتعالى على يد رسوله ونبيه محمد معجزات كثيرة لا حصر لها .

والمعجزة هى الامر الخارق للعادة مقرونا بالتحدى سالما عن المعارضة وهى اما حسية أو عقلية . (١)

وهى نوعان : نوع من مثل ماعند البشر ، أى من مثل لغتهم العربية لكنهم عند التحدى عجزوا عنه وتعجيز الله لهم عنه دال على صدق نبيه كطلب الرسول من قومه أن يأتوا بمثل آيات القرآن فعجزوا عن أن ياتوا ولو بمثل أقصر سورة رغم

(*) حتى : فيليب ــ تاريخ العرب المطول ص١٢٩ (انظر النسخة العربية المترجمة جـ ١ ص ١٧٧)

(١) السيوطى : جلال الدين ــ الاتقان فى علوم القرآن ــ جـ ٢ ص١١٦ دار الفكر بيروت

أنهم أهل البلاغة والفصاحة ،وأن القرآن قد نزل بلغتهم وهذا ما اعترف به (حتى) نفسه في نفس الصفحة .

أما النوع الاخر هو الخارج عن قدرة البشر عامة ،فقد أجرى الله الكثير منه على يد نبينا الكريم كانشقاق القمر الى فلقتين [١] . وقد ورد ذلك في القرآن نفسه الذي يعترف به (حتى) كمعجزة فالتكن اياته حجة عليه .. قال تعالى : " اقتربت الساعة وانشق القمر " [٢] فانشقاق القمر معجزة حدثت في عهده صلى الله عليه وسلم وقد أكدها القرآن الكريم والسنة . ففي صحيح البخاري عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اشهدوا) ،وعن أنس قال : سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يريهم اية فأراهم انشقاق القمر [٣] .. وكذلك رؤى انشقاق القمر في الهند وكانت هذه الرؤية سببا في اسلام ملك مليبار في الهند [٤] .

ومن المعجزات التي وردت في القرآن أيضا معجزة الاسراء " سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله " .

ومن المعجزات الخارجة عن قدرة البشر أيضا نبع الماء من بين أصابعه الشريفة فقد ورد في صحيح البخاري عن أنس بن مالك ،رضي الله عنه ،أنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الوضوء فلم يجده

---

(١) ابن كثير ـ البداية والنهاية ـ ج ٣ ص ١١٨
(٢) سورة القمر ـ آية ١
(٣) العامري ـ بهجة المحافل ـ ص ٢١٣ ج ٢
(٤) النمر : عبد المنعم ـ الاسلام في الهند ـ ص ٦٠ ـ القاهرة ١٣٧٨

فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في ذلك الاناء فامر الناس أن يتوضؤا منه فرأيت الماء ينبع من تحت اصابعه فتوضأ الناس حتى توضأوا منه عن آخرهم . (١)

ومن المعجزات ما يعترف بها بعض المستشرقين أيضا منهم "درمنجم" الذى يعترف بمعجزة الغار فيقول : (هذه الامور الثلاثة هى وحدها المعجزة التى يقص التاريخ الاسلامى الجد نسيج العنكبوت ، وهوى حمامه ، ونماء شجرة ، وهى أعاجيب ثلاث لها كل يوم فى أرض الله نظائر) . (٢)

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم اخباره بما سيقع فى غزوة (مؤتة) حين استعمل صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ، وقال (ان أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب فأن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة) .. وقد حدث بالفعل مثلما أخبر ، فقد وصل الخبر من السماء فى ساعته الى النبى صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر وأمر فنودى : الصلاة جامعة : فاجتمع الناس فقال (باب خير (ثلاثا) اخبركم عن جيشكم هذا الغازى انهم لقوا العدو فقتل زيد شهيدا فاستغفر له ، ثم أخذ اللواء جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيدا فاستغفر له ، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل شهيدا) . (٣)

---

(١) صحيح البخارى - ج ٤ - ص ٢٣٣ - القاهرة - دار الشعب

(٢) هيكل : محمد حسنين - حياة محمد - ص ٢١٢ القاهرة ١٩٦٥ م

(٣) صحيح البخارى ج ٥ ص ١٨٢ - ، تاريخ الطبرى - ج ٣ ص ٣٦ ، ابن الاثير : الكامل فى التاريخ - ج ٢ ص ٢٣٧ - ابن كثير - البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٤١ ابن هشام : ابو محمد عبد الملك - السيرة النبوية - ج ٢ ص ٧ القاهرة ١٩٧٤ م

وقصة سراقة التي تكفي لان تكون دليلا واضحا على صدق دعوته : ومجمل القصة أن قريشا لما علمت بخروج النبي من مكة جعلت لمن يأتي بالنبي صلى الله عليه وسلم جائزة (مائة ناقة) فتبعهم سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي فلحقهم وهم في أرض صلبة فقال أبو بكر يا رسول الله أدركنا الطلب فقال (لاتحزن ان الله معنا) ودعا عليه الرسول صلى الله عليه وسلم فارتطمت فرسه الى بطنها وثار من تحتها مثل الدخان فقال ادع لي يا محمد ليخلصني الله ولك علي أن أرد عنك الطلب فدعا له فتخلص فعاد يتبعهم فدعا عليه الثانية فساخت قوائم فرسه في أراضي أشد من الاولى فقال يا محمد قد علمت أن هذا دعاءك علي فادع لي ولك عهد الله أن أرد عنك الطلب فدعا له فخلص .. فلما أراد أن يعود عنه قال له الرسول : كيف بك يا سراقة اذا سورت بسواري كسرى ؟ قال كسرى ابن هرمز وقد تحقق لسراقة هذا الوعد في عهد عمر بن الخطاب . (١)

—•—

(١) صحيح البخاري جـ ٥ ص ٧٦ ، الكامل في التاريخ جـ ٢ ص ١٠٥ ، ابن الوردي : زين الدين عمر — تتمة المختصر في أخبار البشر جـ ١ ص ١٧٤ بيروت ١٩٧٠م

الفصل الثانـــى

بعض اراء (حتى) فى عصر الراشدين والرد عليهـــا

١

يقول (فيليب حتى) فى حديثه عن خلافـة ابى بكر :

(ولعل مبايعة ابى بكر كانت مطابقـة لمشروع دبر قبل ذلك بينه وبين عمر بن الخطاب وابو عبيدة بـن الجراح) . (*)

٥٥

المبايعة فى رأى (حتى) كانت نتيجة اتفاق مسبق ـ ونحن نناقش هـــذا الرأى فنقـــول :

أولا : متى كان الاتفاق واين ؟ ـ ان حتى لم يقدم دليلا واضحا يدعم به رأيـــه ـ ولعل ادعاءه هذا واضح فى عبارته فهو لم يجزم ولكنه قال ـ ولعل ـ ويبدو أن (حتى) قد اعتمد فى رأيه على اراء بعض المستشرقين الذين قالـــوا

(*) حتى : فيليب ـ تاريخ العرب المطول ص ١٤٠ (انظر النسخة العربيـــة المترجمة جـ ١ ص ١٩١) .

بهذا الرأى ـ دون أن يقدموا لنا الدليل ايضا ، أمثال الاب ولفنسون من أعداء الاسلام .

ان الدليل الذى نعنيه ـ هو شهادة شاهد أو جمع من الثقاة يعتمد رأيهم أو قول مكتوب صحيح الاسانيد ـ وكل هذا غير موجود فالادعاء اذن باطل ـ واذا كان تصورا وتقديرا فهو تصور باطل وتقدير غير عادل .

ثانيا : ان واقع العصر يأبى ما ادعاه حتي ـ فلم يكن عصر الصحابة رضوان الله عليهم ذلك العصر الذى يدفع ابناءه للتهافت على المناصب أو لاحراز الجاه وانما كان عصر ايمان ومثل ـ وكان المؤمنون يسعون الى مرضاة الله ـ (وهذا ما ابده (حتي) فى نفس الصفحة اثناء حديثه عن طبيعة العصر وعن طريقة حياة الخلفاء ـ لكن المغرضين تصوروه عصر تكالب وتطاحن على المناصب انطلاقا من مفهوم عصرهم الذى يعيشونه .

ثالثا : ان احد الثلاثة الذين تم الاتفاق بينهم ـ وهو عمر بن الخطاب رضى الله قد أذهله موت الرسول صلى الله عليه وسلم ـ وقالت الشهود ـ ان عمر حين بلغه خبر الوفاة خرج وقال : (ان رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات ـ وانه والله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران ـ والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فليقطعن ايدى رجال وأرجلهم زعموا انه مات "[1] .. هذا هو عمر أحد ثلاثة يزعم المستشرقون انهم أطراف الاتفاق .

(١) البخارى ج ٤ ص ١٩٥ ، الطبرى ج ٣ ص ٢٠٠٠ ، الكامل ج ٢ ص ٢١٩ ، البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٤٢ ، ابن خلدون ج ٣ ص ٦٣ ، ابن هشام ج ٤ ص ٢٢٤

هل يتصور عاقل أن يصدر هذا القول عن عمر — الذى قالوا عنه أنه قد أبرم عهدا أو ميثاقا مع اثنين اخرين أحدهما هو الخليفة — ان وقع الخبر عليه كان كالصاعقة التى اخرجته عن طبيعته — فكيف يتم له ولأمثاله أن يقر اتفاقا على شىء لم يكن يتصوره ولم يخطر بباله .

رابعا : لو تصورنا جدلا أن أبا بكر كان عليما بهذا الاتفاق المزعوم ، هل كان معقولا — وهو ينتظر المنصب الجديد — وقد علم بمرض الرسول " صلى الله عليه وسلم " أن يخرج الى السنح (١) — لو كان يطمع فى الخلافة أو كان يحرص عليها — لمنعته هذه الرغبة من الخروج ،حرصا على تحقيق هدفه خاصة أنه يعلم ما سيكون عليه الامر من اضطراب يتطلب وجوده ليمسك بزمام الامور ،فخروجه الى (السنح) ينفى شبهة الاتفاق .

لعلنا حينما نشير بايجاز الى مجمل ماحدث بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم يتضح لنا كيف تمت البيعة لابى بكر دون اتفاق مسبق بين احد .

ان الروايات كلها تجمع على أن أبا بكر وعمر بلغهما أن الانصار قد اجتمعوا فى سقيفة بنى ساعده لاختيار الخليفة منهم فذهبا الى السقيفة على غير اتفاق (٢) فالتقيا بابى عبيدة مصادفة فى الطريق ،وروايات بعض المؤرخين ان عمر لما سمع بخبر السقيفة ذهب الى طلب ابى بكر ولم يكن معه ابو عبيدة أو انهما ذهبا اليه معا . (٣)

---

(١) البخارى جـ ٤ ص ١٩٣ ، الطبرى جـ ٣ ص ٢٠٠٠ ، الكامل جـ ٢ ص ٢١٩ ، البداية والنهاية جـ ٥ ص ٢٤٢ ، ابن خلدون جـ ٢ ص ٦٣

(٢) الطبرى جـ ٣ ص ٢٠٥ ، الكامل جـ ٢ ص ٢٢٣ ، البداية والنهاية جـ ٥ ص ٢٤٦ ، السيرة لابن هشام جـ ٤ ص ٢٢٧ .

(٣) الكامل جـ ٢ ص ٢٢٢ ، السيرة لابن هشام جـ ٤ ص ٢٢٥

وهناك تراجعوا الكلام فقال الانصار : منا أمير ومنكم أمير . فقال ابو بكر كلاما كثيرا مصيبا ـ منه : نحن الامراء وأنتم الوزراء ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (الائمة من قريش)[1] . وقال (أوصيكم بالانصار خيرا : ان تقبلوا من محسنهم وتتجاوزوا عن مسيئهم)[2] ثم قال : (ان الله سمانا الصادقين : فى قوله : "للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون "[3] وسماكم المفلحين .. قال تعالى : " والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون "[4] وقد أمركم الله أن تكونوا معنا حيثما كنا فقال : " يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين "[5] ثم قال " وقد رضيت لكم احد هذين الرجلين عمر، وأبا عبيدة امين هذه الامة .[6]

فقام عمر وقال : أيكم يطيب نفسا أن يخلف قدمين قدمها النبى صلى الله عليه وسلم[7] ـ يشير بذلك الى قوله صلى الله عليه وسلم مروا ابا بكر أن يصلى بالناس[8] ـ فتذكرت الانصار وبايعوا ابا بكر .

---

(١) البخارى : فضائل الصحابة ـ ج ٤ ص ١٩٤
(٢) صحيح البخارى ـ مناقب الانصار ـ ج ٤ ص ٢٢٧
(٣) سورة الحشر ـ اية ٨
(٤) سورة الحشر ـ اية ٩
(٥) سورة التوبة ـ اية ١١٩
(٦) ابن العربى : ابو بكر ـ العواصم من القواصم ص ١٠ القاهرة ١٣٨٧
(٧) الطبرى ج ٣ ص ٢٠٢ ، ابن الاثير ـ ج ٢ ص ٢٢٠ ، البداية والنهاية لابن كثير ج ٥ ص ٢٤٧
(٨) البخارى فضائل الصحابة .

وفى رواية لابن سعد (ان عمر فاتح ابى عبيدة قبل ذلك فقال له : (ابسط يدك لابايعك فانت امين هذه الامة على لسان رسول الله ـ فقال له ابو عبيدة ما رايت لك فهمه قبلها منذ اسلمت ـ اتبايعنى وفيكم الصديق وثانى اثنين اذ هما فى الغار ؟ [1] فاذا صحت هذه الرواية فهى تنفى ماقيل عن تفاهم هؤلاء الرجال الثلاثة على مبايعة ابى بكر وتعاقب الخلافة بعده .) .

ونقول أيضا (متى كان التفاهم المزعوم ؟ أقبل أن يمرض الرسول يعقل عاقل أن يجتمع صفوة اصحابه والمؤمنون برسالته للتآمر على وراثته واغتنام موته ؟ ان جاز فى عقل عاقل هذا ، فمن أدراهم ؟ وقد ينزل القرآن براى يخالف ما اتفقوا عليه كما أنهم لايدرون ان النبى صلى الله عليه وسلم قد أوصى فى الخلافة بامر غير الذى اتفقوا عليه . [2]

ـ . ـ

---

(١) بن سعد : محمد بن منيع ـ الطبقات الكبرى ج ٣ ص ١٨١ بيروت ١٣٨٠
(٢) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٠ ـ ٢١

٢

يذكر (حتى فى كتابه عن سياسة عمر فى ادارة الدولة فيقول :

(وجعل الدستور العسكرى الاشتراكى لعمر سموا للعروبة كما ضمن للمؤمن الاعجمى درجة أسمى من غير المؤمن)(*)

ه ه ه

نقول فى الرد على ما ذكره (فيليب حتى) فى هذه النقطة :

فى الواقع ان سياسة عمر كانت سياسة فريدة من نوعها ،فقد استعمل عمر فى ادارة الدولة الاسلامية من القوانين والنظم ما صار فيما بعد قاعدة للنظم السياسية فى ادارة الدولة قرونا من الزمان ، فكان عمر رجل دولة بحق .. جعل فى الدولة من حرية الفرد ما يلائم الدين .. ولا يخرج عن اطاره الذى رسمه القرآن والسنة فكانت الحرية تتمثل فى كل شىء من سياسة عمر ، فالشورى كانت أساس الحكم فى سياسته فكان لا يمنعه شىء من أن يستشير الحليم والشديد حتى الاحداث والاعداء جعل منهم منهلا للاستشارة لنظام حكمه .

(*) حتى : فيليب ــ تاريخ العرب المطول ص ١٧٢ (انظر النسخة العربية المترجمة ص ٢٣٠ ج ١)

فأى عسكرية فى حكم قوامه الشورى بين الحاكم والمحكوم فلو كان دستور عمر عسكريا لما اعتبر سلطة القضاء أعلى من سلطته وهو الحاكم ، حينما رفض العباس ان يعطيه بيته لتوسعة المسجد ، وترك العباس يختار القاضى الذى يريد .(١)

ولو كان نظام عمر دستورا عسكريا لما قال لاصحابه " انى اخاف أن اخطىء فلا يردنى احد منكم تعظيما لى " فيقول حذيفة " والله لو رايناك خرجت عن الحق لرددناك اليه " .(٢)

ولم يكن الامر قاصرا على حذيفة الصحابى الجليل بل نراه أيضا يخضع ويعترف بالحق عليه من امراة تصوبه اذا اخطأ (ركب عمر منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ايها الناس ما اكثاركم فى صداق النساء ..وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه والصداقات فيما بينهم أربعمائة درهم فما دون ذلك .. فلا أعرفن مازاد رجل فى صداق امراة على أربعمائة درهم .. ثم نزل فاعترضته امراة من قريش فقالت يا أمير المؤمنين نهيت الناس أن يزيدوا فى مهر النساء على أربعمائة درهم ، قال : نعم ، فقالت : أما سمعت ما انزل الله فى القرآن ، قال واى ذلك .. فقالت : أما سمعت الله يقول " واتيتم احداهن قنطارا "(٣) فقال اللهم غفرا ، كل الناس أفقه من عمر .(٤)

---

(١) خالد : محمد خالد ـ خلفاء الرسول ـ ص ٢٠٥ ـ بيروت
(٢) المصدر السابق ص ١٩٥
(٣) سورة النساء : آية ٢٠
(٤) تفسير ابن كثير : أبوالفداء ـ ج ١ ص ٤٦٧ ـ دار الفكر ـ بيروت ، القرطبى : أبو عبدالله محمد بن احمد ـ الجامع لاحكام القران ـ ج ٣ ص ٩٩ بيروت ١٣٨٧

ويقول ايضا احب الناس الى من رفع الى عيوبي . [1]

ويقول (ايما عامل لي ظلم احدا فبلغني مظلمته فلم اغيرها فانا ظلمته) [2]

كان عمر يامر عماله أن يوافوه بالمواسم فاذا اجتمعوا قال : أيها الناس انى لم ابعث عمالي عليكم ليصيبوا من ابشاركم ولا من اموالكم ، انما بعثتهم ليحجزوا بينكم وليقسموا أفياءكم بينكم فمن فعل به غير ذلك فليقم . فما قام احد الا رجل واحد قام فقال : يا امير المؤمنين ان عاملك فلانا ضربني مائة سوط ، قال عمر لعامله : فيم ضربته ؟ ثم قال للشاكي ، قم فاقتص منه ، فقام عمرو بن العاص فقال : يا امير المؤمنين ، انك ان فعلت هذا يكثر عليك ويكون سنة ياخذها من بعدك فقال : كيف لا اقيد وقد رأيت رسول الله يقيد من نفسه ، قال فدعنا فلنرضه ، قال دونكم فارضوه ، فافتدى منه بمائتي دينار ، كل سوط بدينارين . [3]

أما كون دستور عمر نظاما اشتراكيا ، فالاسلام لم يعرف الاشتراكية التي نسمعها في عصرنا الحاضر والتي يقصدها (حتى) وان الاشتراكية هذه لم تظهر الا في القرن التاسع عشر ، وانما الذي عرفه عمر والاسلام انما هو العدالة الاجتماعية والمساواة الحقة في المعاملة بين الناس ، لان الاشتراكية التي يقصدها (حتى) ليس لها مفهوم متفق عليه فهي تفسر في كل مجتمع بتفسير غير الذي يعرفه المجتمع الاخر ، اما العدالة الاجتماعية والمساواة الحقة فمفهومها واضح من الكتاب والسنة .. اما صار عليه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعده لم يختلف في مفهومها أحد ، وهذا

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٩٣

(٢) المصدر السابق ص ٣٠٥

(٣) المصدر السابق ص ٢٩٣، ٢٩٤

ما يظهر من وصاياه لقضاته وعماله حيث قال : " اسى بين الناس فى مجلسك ، ووجهك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك ". (١)

ويقول لعمرو بن العاص " ياعمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا ". (٢)

فالعدالة الاجتماعية التى يعرفها عمر هى العدل واحترام الحقوق بين كل الرعايا ، اما المساواة فى الارزاق الذى يقال ان الاشتراكية الحديثة تكفل ذلك فهذ ، لم يعرفها عمر لان الله سبحانه وتعالى قسم الارزاق بين العباد ، وانما كل ما عمله عمر هو انه حاول ان يرفع من مستوى الفقراء بحثهم على العمل والكسب من اجل حمايتهم وصيانتهم من ذل الفقر فهو يقول " يا معشر الفقراء ارفعوا رؤوسكم فقد وضح الطريق فاستبقوا الخيرات ولا تكونوا عيالا على المسلمين " (٣)

فكان يوصى الفقراء والاغنياء على تعلم المهن من اجل الكسب لا من اجل الاتكالية التى تصنعها الاشتراكية الحديثة حين تأخذ من الغنى العامل لتعطى الفقير الخامل .

ولو عرف عمر الاشتراكية المزعومة التى يزعمها (حتى) لما ميز بين الناس فى العطاء ، وفقا لموقفهم السابق من الدعوة الاسلامية ، وبلائهم فى سبيلها (٤) وكل

---

(١) العقاد ـ عبقرية عمر ص ١٢٠

(٢) المصدر السابق ص ١١٠

(٣) المصدر السابق ص ١١٦

(٤) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٩٦ ، ٢٩٦ ، الطماوى : سلمان ـ عمر بن الخطاب ص ٤٠٨ ـ بيروت ١٩٦٩ م .

ما فعله عمر هو أنه أخذ من فضول أموال الاغنياء ووزعها في وجوه البر والخير ، كما انه لم يأخذ الا بحذر وعقل ،فلم يفقر غنيا ولم يغن فقيرا على حساب افقار غيره ، وانما أخذ الفضل من الاموال ووزعها بقدر ما يسد رمق الفقراء والمساكين .

أما قول (حتى) أن عمر جعل الدستور العسكرى الاشتراكى سموا للعروبة ومعنى ذلك أنه كان يقصد مكافاة العرب .. فكان هذا امرا ضروريا لانه لم يكن هناك سوى العنصر العربى الذى يتولى فتح البلاد ونشر الدعوة فكان طبيعيا أن تكون القيادة ومصالح الدولة في يد العرب.. أما من جهة المعاملة لغير العرب فان نظام القضاء الذى وضعه عمر كان كفيلا بحفظ حقوق العرب وغيرهم على قدم المساواة ، فقد كتب الى أبى موسى الاشعرى : انه لم يزل للناس وجوه يرفعون حوائجهم ،فاكرم من قبلك من وجوه الناس ،وبحسب المسلم الضعيف من العدل ، ان ينصف في الحكم وفي القسم . (١)

وكان عمر رضى الله عنه يطوف في الاسواق ، ويقضى بين الناس حيث أدركه الخصوم مهما اختلفت جنسياتهم . (٢)

ومع أن العنصر العربى هو الذى كان يحمل لواء الدعوة والجهاد في سبيلها . فان عمر حينما فتحت مصر أبقى على بعض العمال البيزنطيين في مصر فور الفتح (٣) وذلك لمعرفتهم بشئون البلاد أكثر من غيرهم من العرب الداخلين على البلاد حديثا .

---

(١) تاريخ الطبرى ـ ج ٤ ص ٢٠٣

(٢) تاريخ الطبرى ـ ج ٤ ص ٢١٣

(٣) الغزالى : محمد ـ التعصب والتسامح بين المسيحية والاسلام ـ ص ٥٩ ـ القاهرة ١٩٦٥م

وان ما كان من اعتماد عمر على العنصر العربى ، فليس معناه رفعا لشانهم على سائر الاجناس وانما لان غير العرب كانوا احد رجلين :

١ – رجل اسلم ولم يرسخ الاسلام فى نفسه – فكيف يامنه على شئون الامة ويثق به ؟

٢ – رجل لم يسلم – وهو آشد خطرا .

–•–

٣

ويذكر (حتى) عند سرده لاسباب الفتح الاسلامى ، فيعزوها الى دوافع اقتصادية فيقول :

(لم تكن الحماسة الدينية بل الحاجة الاقتصادية هى التى دفعت بمعاشر البدو ، الذين تكونت منهم اكثر جيوش الفتح ، الى ما وراء تخوم البادية ، الى الاراضى الخصبة فى الشمال) (*)

٥٥

ونحن نقف مع (حتى) قليلا امام هذا الخبر لنبين للقارئ الى اى حد كان (حتى) مخطئا وحقودا ..

ان (حتى) ينكر الحماسة الدينية فى الفتح الاسلامى الاول لانه يجهل حقيقة الدافع الدينى لدى المسلمين ومدى ايمان هؤلاء الاوائل بوجوب تحمل هذه المسئولية لانهم آمنوا بقول ربهم " وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله "(١) كما

(*) حتى : فيليب ــ تاريخ العرب المطول ص ١٤٤ (انظر النسخة العربية المترجمة صفحة ١٩٥)

(١) سورة البقرة ــ اية ١٩٣

امنوا بقوله تعالى " وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا "[١] " وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ". [٢]

ومن هنا نجد أن الفاتحين خرجوا لانهم مكلفون بايصال هذا الدين الى اهل الارض كافة لان رسولهم أرسل للناس كافة .

فهم اتباعه والواجب عليهم أن يبدأوا من حيث وقف نبيهم لانهم مؤمنون بأن تبليغ الرسالة الى الامم الاخرى مهمة قد نيطت بهم وأمانة قد ألقيت على عاتقهم فهم المكلفون بنشرها ولهذا خرجوا .

فالغاية من الخروج والجهاد هو بث الدعوة ونشر الدين الاسلامي في جميع أنحاء الدنيا لانه دين الله " ان الدين عند الله الاسلام " .. وليس البحث عن مواطن الخصب فيما وراء تخوم البادية الفقراء الى حيث منازل المطر ، أو منابت الكلأ كما يزعم (حتى) .

ونحن نقول لو خرج المسلمون بغية الثراء والغنى لاكتفوا بارض الشام وطاب لهم المقام هناك ولكنهم لم يخرجوا لهذا وهو ما يؤيده المستشرق " موسل " في رده على زميله " كيتاني الايطالي ": (ان الجيوش التي اشتركت في فتح العراق والشام وفلسطين لم تكن حجازية أو نجدية فحسب بل فيها قبائل عراقية وشامية) [٣]

---

(١) سورة سبأ ـ اية ٢٨
(٢) سورة الانبياء ـ اية ١٠٧
(٣) على : جواد ـ تاريخ العرب قبل الاسلام ـ ج ١ ص ٢٥٠

وهو يعني بذلك أن الدعوة هي الهدف الاسمى وحدها .

فلو كان الدافع هو الجوع والفقر الذى زعمه (حتى) لماخرج أهل الشام وأهل العراق مع الجيوش الاسلامية ؟ ..ولما خرج العرب من الشام للقتال ماداموا قد بلغوا أرض الخصب والرخاء ؟ .. ويستشهد الدكتور عبد المنعم ماجد بمستشرقين اخرين في هذا الصدد فيقول : (فليس لدينا ما يدل على أن حركة الفتح العربى سببها الجفاف او الجوع) .(١)

وقصارى القول ان رسالة الاسلام رسالة عامة لكافة البشر " قل يا أيها الناس انما انا لكم نذير مبين " .. وفي الحديث (امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأنى رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة) .(٢)

ورسالة هذا شانها ، لابد أن يحملها أصحابها الى كافة البلاد وأن يرتفع صوتها في كل مكان وفي كل ارض سواء كانت خصبة ام كانت قفرة .

هذا منطق الدعوة — وهذا سبيل الدعاة .

ومن التجني على هذه الدعوة السامية أن تتهم بمثل هذا الاتهام ، كما أننا نرى ان من واجب المؤرخ الحياد والاستشهاد بآراء المحايدين .

---

(١) ماجد : عبد المنعم — التاريخ السياسي للدولة العربية — ج١ ص١٦٥ القاهرة ١٩٦٥م عن (Arabia,P.7: Huwyyin. Islamat the Cvassaoods, Londdon.1923 P.2 O.L.Learys.

ونحن قد ذكرنا رأى د . عبد المنعم ماجد في هذه النقطة رغم أنه أحد المتأثرين بالمستشرقين لانه قال كلمة الحق في هذا الموضوع .

(٢) سنن بن ماجة — ج ١ ص ٢٧

ومن هنا لا نضع فى الاعتبار استدلال (حتى) بما جرى بين رستم قائد الفرس وبين المغيرة بن شعبة مبعوث المسلمين ، لانه ذكر قول رستم فقط ولم يذكر رد المغيرة عليه .. وكان الانصاف يقتضيه أن يسجل ما قاله المغيرة وهو : (ان الله بعث الينا نبيه صلى الله عليه وسلم فسعدنا باجابته واتباعه ، وأمرنا بجهاد من خالف ديننا " حتى يعطو الجزية عن يد وهم صاغرون " .. ونحن ندعوك الى عبادة الله وحده ، والايمان بنبيه صلى الله عليه وسلم فان فعلت والا فالسيف بيننا وبينكم)[1] .. هذا النص الذى أخفاه (حتى) حتى تتوه الحقيقة ويظهرها فى مظهر الاستجداء من أجل الحاجة والجوع ، ومتناسيا بذلك واجبه كباحث صادق .

هذا هو منطق القوة وقوة الايمان ، وقوة العقيدة ، وليس منطق الاستجداء أو الطمع .

-.-

---

(١) البلازرى : أبوالحسن أحمد بن يحيى ـ فتوح البلدان ـ ص٢٥٧ القاهرة ١٩٥٩م ، تاريخ الطبرى ـ جـ٣ ص٤٩٦ ، تاريخ ابن الاثير ـ الكامل فى التاريخ جـ ٢ ص٤٦٥ .

٤

ثم يعود ويستطـــرد (حتى) :

(ان من الدوافع التى دفعت المسلمين الى الفتـــح هى الجزية فيقول : "فان العرب فى حروبهم خارج الجزيرة كانوا يعرضون على أهل الكتاب من يهود ونصارى أمـــــرا ثالثا غير القرآن والسيف ،هو أقرب الـــى مطامع المحاربين واصلح لهم من كلا الامرين الاولين ـ الجزية ..) (*)

ونحن حين نرد على (فيليب حتى) نقول ان العرب الفاتحين قد فرضـــوا الجزيـــة على اليهود والنصارى ولكننا نختلف معه فى أن الجزية كانت مطمعا للمحاربين وانما اختارها أهل الكتاب لانها فى نظرهم أيسر من دخولهم فى الاسلام أو الدخو ل فى حرب مع المسلمين :

(*) حتى : فيليب ـ تاريخ العرب المطول ص ١٤٣ (انظر النسخة العربيـــة المترجمة ص ١٩٥).

١) فلم تكن الجزية مطمعا ماديا للمسلمين فرضوها من تلقاء أنفسهم على أهل الكتاب وانما هى شريعة السماء فى قوله تعالى " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ، ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون بدين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ". [١]

وبهذا نزل الكتاب - وما كان لمؤمن ان يخالف ما أمر به الله ومن هنا كان تطبيق الجزية طاعة لامر الله وتنفيذا لقانون سماوى ..

٢) ولو كان فرض الجزية مطمعا ماديا - لفرضه المسلمون من البداية ولاخذوا من يهود بنى قينقاع - وبنى النضير - وبنى قريظة ، لكنهم تركوهم لان الاية الكريمة لم تكن قد نزلت [٢] وما يقال عن هؤلاء يقال عن اهل خيبر الذين اقرهم الاسلام على فلاحة الارض وهادنهم هدنة مطلقة . [٣]

٣) كما ان الاسلام لم يطلق فرض الجزية فى جميع الاحوال وانما خصها بحالات معينة واشترط لفرضها شروطا .. فللجزية شروط وواجبات فهى لا تفرض على اهل الكتاب الا برفضهم الدخول فى الاسلام فان قبلوا الاسلام فلا جزية ولا قتال ، وان رفضوا الدخول فى الاسلام فلا اكراه فى الدين ، وما عليهم الا أن يدفعوا جزية رمزية مقابل عدم اشتراكهم فى صف الجندية ، وذلك بسبب واضح لعدم اشتراكهم والاعتماد عليهم فى الحروب ، ولكن يدفعون

---

(١) سورة التوبة - آية ٢٩

(٢) آية الجزية لم تنزل الا فى السنة السابعة بعد الهجرة (ابن تيمية - الجواب الصحيح ص ٦٥)

(٣) ابن تيمية - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ١ ص ٦٥ القاهرة ٧٩ هـ

هذه الضريبة مقابل سلامتهم وعدم اشتراكهم في القتال كما أنها تكون مقابل حفظهم وأمانهم في داخل الدولة الاسلامية الجديدة .. هم واهلوهم واموالهم .. وخير دليل على ذلك ما فعله ابو عبيدة بن الجراح لما علم بأن هرقل قد جهز لمهاجمة المسلمين كتب الى عمال المدن المفتوحة في الشام يامرهم برد الجزية الى اهلها وكتب للناس يقول (انما رددنا عليكم اموالكم لانه بلغنا ماجمع لنا من الجموع وانكم قد اشترطتم علينا ان نمنعكم وانا لا نقدر على ذلك وقد رددنا عليكم ما اخذنا منكم ونحن على شرط ما كتب بيننا ان نصرنا الله عليهم) [1] . الجزية ضريبة على رؤوس الاشخاص الذين يستطيعون خوض المعارك ولا يدخلونها لاختلاف دينهم فتاخذ منهم مقابل امان المسلمين لهم) [2] .

ولو نظرنا الى الجزية من حيث قيمتها المادية لوجدناها مبلغا رمزيا لايحمل الطامع (اذا صح هذا التعبير) على التضحية بروحه في سبيل الحصول عليه — فضلا عن سقوطه اذا اعتنق اهل تلك البلاد الاسلام .

ويتضح الامر اكثر من ذلك وتسقط شبهة الطمع اذا عرفنا على من تجب .. فهي تجب على الرجل البالغ الحر العاقل القادر وتسقط عن النسوة والاطفال والعبد المملوك ودون الحلم كما أنها تسقط عن بعض القساوسة . [3] وهنا نجد

---

(١) جمال : احمد محمد — مفتريات على الاسلام — ص٦٧ — القاهرة ١٣٩٥ .
(٢) الماوردي : على بن محمد بن حبيب — الاحكام السلطانية ص١٤٣ القاهرة ١٣٨٦هـ .
(٣) أبو يوسف : يعقوب بن ابراهيم — الخراج — ص١٣٢ القاهرة ١٣٩٢هـ .

من المنصفين المستشرقين مثل د ٠ أ ٠ س٠ ترتون يذكر فى كتابه الذى أسماه (أهل الذمة فى الاسلام) (ان المسلمين لم يلزموا أهل الذمة ببيع ماشيتهم لسدها اذا لم يجدوا غيرها) ٠ (١)

ومن هنا نجد أن رحمة الفاتحين بأهل البلاد قد اضعفت حجم الجزية لدرجة أنها أصبحت لا تعتبر شيئا مهما بالقدر الذى تصوره (حتى) الذى يدفع المسلمين الى القتال ٠

كما أن (حتى) عندما أراد ذكر الايات التى اعتمد عليها فى دعم رأيه هذا نجده ينقلها مبتورة حتى يشوه بها حقيقة الجزية فينقل عنها قوله تعالى :
" وقاتلوا ٠٠٠ من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون "(٢)
محاولا بذلك اعطاء القارىء صورة مشوهة عن حقيقة الفتح الاسلامى وأهدافه ظنا منه أنه يستطيع الطعن فى هذا البناء الشامخ حتى يدخل الشك فى ذهن القارىء ٠

---

(١) د ٠ ترتون أ ٠ س ٠ ـ أهل الذمة فى الاسلام ـ ص ٢٣٠ ـ ٢٧٢ ٠
ارثر ستالى ترتون ولد سنة ١٨٨١ تعلم فى كلية مانسفيلد والقديسة كاترين واكسفورد وجوتنجن ، وعلم فى مدرسة الاصدقاء فى برمانا بلندن وعين مساعد استاذ للعربية فى جامعة أدنبرة عام ١٩١١ ، وقد وجه جل اهتمامه للغة وحاور رهبان الموارنة فى قراءة السريانية وترجمتها الى العربية وله عدد ضخم من المؤلفات فى مختلف الاحوال الشرقية وعدة بحوث وتحقيقات على بعض المؤلفات الاسلامية ومن أشهر مؤلفاته الخلفاء ورعاياهم من غير المسلمين ـ طبعة اكسفورد ١٩٣٠ وقد نقله الى العربية الاستاذ حسن حبشى ـ القاهرة ١٩٤٩

(٢) حتى : فيليب ـ تاريخ العرب المطول ـ ص ١٩٥

وكان من واجب الامانة العلمية على (حتى) أن يذكر الآية كاملة وهى توضح طبيعة أخذ الجزية ووجوب فرضها وهى فى قوله تعالى : " وقاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون " . (١)

ومن هنا يتضح أن الجزية ليست هى الهدف الذى وضعه الفاتحون نصب أعينهم انما خرجوا لانهم يؤمنون بأن اللـه لو هدى رجلا واحدا لكان خيرا لهم من حمر النعم فهذا هو الاجر والاصلح لهم وليس الجزية التى زعمها (حتى) .

ـ٠ـ

(١) سورة البقرة ـ آية ٢٩

٥

ولا يكتفى بذلك بل يعود ويذكر (حتى) فى اثناء حديثه عن أسباب الفتح الاسلامى وانتشاره فيقول :

(وعندما أسلم معظم سكان الشام والجزيرة وفارس تحولوا الى العقيدة الجديدة لرغبتهم فى الخلاص من الجزية و لمشاركة الطبقة الحاكمة ولاية الأمور) (*)

٥٥

فى هذه النقطة ، قد كفانا مئونة الرد على فيليب حتى مستشرق مسيحى ، هو السير توماس أرنولد (١) فى حديث له عن الدعوة الاسلامية وأسباب انتشارها

(*) حتى : فيليب ــ تاريخ العرب المطول ص ١٤٥ (انظر النسخة العربية المترجمة ص ١٩٧) .

(١) توماس أرنولد ــ الدعوة الى الاسلام ــ ص ٨٩ القاهرة ١٩٧٠ م
مستشرق انجليزى (١٨٦٤ــ١٩٣٠) تعلم فى كمبريدج ، قضى عدة سنوات فى الهند استاذا بها وتقلب فى عدة مناصب علمية فيها ، هو أول من جلس على كرسى الاستاذية فى قسم الدراسات العربية فى مدرسة اللغات الشرقية فى لندن (١٩٠٤) وزار مصر عام ١٩٣٠ ، وكان معجبا بالاسلام ومعجبا من علومه منصفا له فى ابحاثه عنه .
(العقيقى : نجيب ــ ج ٢ ص ٥٠٤)

فيقول : (ان حالة الكنيسة الشرقية التى تدهورت فى ذلك الوقت من الناحية الخلقية والروحية لابد أن تكون قد دفعت كثيرين الى أن يلتمسوا جوا روحيا أسلم وأصح فى ذلك الدين الاسلامى) .

ثم يستطرد فيقول : (وليس هناك شاهد من الشواهد يدل على أن ارتدادهم عن دينهم القديم ودخولهم فى الاسلام على نطاق واسع كان راجعا الى اضطهاد أو ضغط يقوم على عدم التسامح من جانب حكامهم المسلمين بل لقد تحول كثير من القبط الى الاسلام قبل أن يتم الفتح ، وسار كثير من القبط على نهج اخوانهم بعد ذلك بسنين قليلة) . (١)

ومن هنا يتضح أن السبب الاساسى الذى دفع أهل البلاد من المسيحيين الى الدخول فى الاسلام هو حسن معاملة الحكام المسلمين ورحمتهم بأهل البلاد المفتوحة وقد رأى أهل تلك البلاد أخلاق المسلمين وما هم عليه من نهج كريم ومعاملة حسنة سواء فيما بينهم أو فيما يتعلق بالاخرين من غير المسلمين ، وراوا فيهم الصدق والامانة كما راوا فى دينهم البساطة والوضوح ، الذى لم يعرفوه فى مسيحيتهم الغامضة كما يذكر المستشرق الايطالى كيتانى حيث يقول " ان انتشار الاسلام بين نصارى الكنائس الشرقية انما كان نتيجة شعور باستياء من السفسطة* المذهبية " (٢)

ويدلى المستشرق الانجليزى ريلز برأى آخر يدحض رأى زميله الاستاذ (حتى)

---

* السفسطة : هى الادعاء الباطل الذى يقصد به تمويه الحقائق "وهى كلمة يونانية الاصل (المنجد ص ٣٣٧)

(١) أرنولد : توماس - الدعوة الى الاسلام - ص ١٢٤ .

(٢) الغزالى : محمد - مع الله - ص ١٦٤ ، انظر أرنولد : توماس - ص ٨٩

فيقول فى كتابه " معالم تاريخ الانسانية " (ان انتشار الاسلام كان يشبه ثـــورات على التقاليد السالفة ونضوجا فى الوعى الانسانى وتطلعا الى نور جديد) .(١)

هذه هى الحقيقة ..

اما أن تكون الجزية سببا فى دخول الاسلام للامم المغلوبة فهذا منطـــق بعيد التصديق

فهذا هو عمر بن عبد العزيز يكتب الى أحد عماله وهو عبد الحميد بن عبد الرحمن يقول له (كتبت تسألنى عن أناس من أهل الحيرة يسلمون من اليهود والنصـــارى والمجوس ، وعليهم جزية عظيمة وتستأذننى فى أخذ الجزية منهم .. وان الله جل شأنه بعث محمد صلى الله عليه وسلم داعيا الى الاسلام ولم يبعثه جابيا) .(٢)

كيف يغير المرء عقيدته ويتركها لينجو من دفع مبلغ زهيد (قدره ثمانية وأربعون درهما من الموسر وأربعة وعشرون من المتوسط واثنا عشر من الفقير المعدم) فى العام .(٣)

كيف يترك عقيدته ليتخلص من الجزية ــ وهو يعلم أنها كانت تؤخذ منـــه مقابل الامان على روحه وأهله وماله ــ وانه بدخوله الاسلام سيفرض عليه الجهاد ويعرض نفسه للقتل ، ويرفع عنه ذلك الامان .

(١) أرنولد : توماس ــ الدعوة الى الاسلام ص ٨٩
(٢) أبو يوسف : يعقوب بن ابراهيم ــ الخراج ــ ص ١٤٢ .
(٣) الماوردى ــ الاحكام السلطانية ــ ص ١٤٤ ، الفراء : محمد بن الحسين ص ١٥٥

أى الطريقين يكون أسلم .. أمان مقابل مال يسير ؟ أم تعرض للقتل حين يخرج للقتال والجهاد مقابل الاعفاء من هذا المبلغ الرمزى ؟ .. اذا لم تكن الا العقيدة هى التى دفعته الى الدخول فى الاسلام .

على أنه لم يكن هناك الزام لغير القادر (الفقير) (١) ـ وكانت ترد الى أصحابها اذا لم يستطع المسلمون تحقيق الامان لهم ، كما فعل أبو عبيده مع أهل الشام حينما عجز عن صد هرقل . (٢)

كما أنهم لم يكونوا مجهدين فى دفعها ، انما كانت تؤخذ على الرجل القادر دون النسوة والاطفال أو الرجال المسنين (٣) أى أنها كانت تؤخذ من الذى يستطيع أن يحمل السلاح . فكانت تؤخذ منه بدلا من دخوله أرض المعركة كما أنه هو ذاته اذا ادعى عدم القدرة على دفعها رفعت عنه . (٤)

فالجزية تؤخذ من أهل الذمة كما تؤخذ الزكاة من المسلمين للانفاق منهما جميعا على مرافق الدولة من ادارة وأمن ، وتعليم ، ودفاع ، وضمان اجتماعى ، فى حالة الافتقار أو عجز أو شيخوخة ..

---

(١) الماوردى : الاحكام السلطانية ص ١٤٥ ، أبو يوسف : الخراج ص ١٣٢ تريتون : د . أ . س . ـ أهل الذمة فى الاسلام ـ ص ٢٣٠
(٢) جمال : أحمد محمد ـ مفتريات على الاسلام ـ ص ٢١١
(٣) الفراء : الاحكام السلطانية ص ١٥٤ ، الماوردى : الاحكام السلطانية ١٤٤ أبو يوسف : الخراج ـ ص ١٣٢
(٤) الفراء : الاحكام السلطانية ١٥٥ ، الماوردى : الاحكام السلطانية ص ١٤٢ ، د . تريتون ـ أهل الذمة فى الاسلام ص ٢٣٠

وقد ذهب عدد من الفقهاء الى أن ما يؤخذ من زكاة المسلمين يزيد على ما يؤخذ من أهل الذمة في حين يحظى الجميع بحماية الدولة الاسلامية ورعايتها على قدم المساواة والعدل والرحمة .(١)

كذلك يجب على المسلم أن يدفع ربع العشر من ماله كله اذا كان نقدا لا من أرباحه وحدها ، فلو كان هناك ذمي ومسلم ، يملك كل واحد منهما مليون درهم ، لا تأخذ الدولة من هذا الذمي الا ثمانية وأربعين درهما فحسب - وهو نصاب الغنى - بينما تأخذ من المسلم خمسة وعشرين ألف درهم زكاة لما له .

هذه هي حقيقة الجزية التي يزعم أعداء الاسلام أنها كانت مظهرا للاستيلاء على أموال غير المسلمين فقد كانت في الواقع مظهر رحمة وحماية وعفة من أموال غير المسلمين مع تمتعهم بكل ما يتمتع به المسلمون من حماية لاموالهم وممتلكاتهم وأرواحهم وعقائدهم ، وتمتع بحق التكافل الاجتماعي عند المرض والشيخوخة والعجز عن العمل .(٢)

ويقول الشيخ الغزالي في هذا الصدد أن المصريين رغم انهزامهم العسكري أمام الرومان وسقوط واديهم الخصيب في يد الدولة الجشعة ، وبقائهم ستة قرون في قبضة حكامهم الغرباء أبوا برغم هذا أن ينهزموا روحيا أمام قوى الفاتحين وبقوا على دين غير دين الرومان ثم على مذهب غير مذهب الرومان .. وتحملوا في ذلك طوفانا من الدم جعلوه بداية لتاريخهم ثم سلسلة من التضحيات العقيمة لم يجد شيء منها

---

(١) انظر د . الريس : محمد ضياء الدين - الخراج في الدولة الاسلامية حتى منتصف القرن الثالث الهجري - ص ٢٢٤ - ٢٢٨ القاهرة ١٩٥٧ م

(٢) جمال : احمد محمد - مفتريات على الاسلام - ص ٢٢٣ ، ٢٢٤

في ثني عزائمهم عن العقائد التي ارتضوها ، فهل يصح في الاذهان أن قوما يظلون القرون على هذه الصلابة ثم بغتة يبيعون دينهم لانهم يرفضون البقاء عليه نظير ثمن بخس دراهم معدودة ؟ (١)

—•—

(١) الغزالي : محمد — مع الله — ص ١٦٤ — القاهرة ١٩٥٩

٦

يذكر حتى في معرض حديثه عن خلافة على بن أبى طالب فيقول :

(وكانت مشكلة على الاولى هى التخلص من منافسيه فى الوظيفة الكبرى التى تولاها ، وهما طلحة والزبير اللذان كانا يمثلان الحزب المكى وانضمت عائشة أم المؤمنين زوج الرسول المفضلة الى صفوف المتمردين ضد على فى البصرة ، وكان قد سبق لها أن تسترت عن التمرد ضد عثمان) (*)

ثم يستطرد فيقول :

(وكرهت عائشة عليا كرها شديدا لكرامتها المجروحة للحادثة التى جرت لها يوم أن تخلفت من ركاب النبى ، وارتاب علىّ فى اخلاصها حتى نزل الوحى ببراءتها) (*)

٥٥

وكلام فيليب حتى يقتضينا الرد عليه فى أربع نقاط هى :

---

(١) حتى : فيليب — تاريخ العرب المطول ص ١٧٩ (انظر النسخة العربية المترجمة ج ١ ص ٢٣٨) .

١ ـ تخلص عليّ من منافسيه في الوظيفة الكبرى التي تولاها وهما طلحة والزبير .
٢ ـ انضمام السيدة عائشة الى صفوف المتمردين ضد عليّ في البصرة .
٣ ـ أن السيدة عائشة تغاضت أو تسترت على الثائرين ضد عثمان .
٤ ـ ان الذي دفع السيدة عائشة للخروج ضد علي هو حادثة الافك .

٥ ٥ ٥

(١) أما الرد على النقطة الاولى فنقول :

ان (حتى) عندما يذكر أن عليا قد اهتم أول شيء بمسألة القضاء على طلحة والزبير لاندري كيف تجرأ على هذا القول ولا أي المصادر اعتمد عليها ، فهذا لم نعرف شيئا عنه ولم تذكر كتب التاريخ المعتمدة ، أن عليا قد جهز جيشا للقضاء على طلحة ، والزبير ، كما أنهما لم يتركا المدينة الى مكة انكارا على البيعة لعلي أو من أجل تكوين حزب مخالف للخلافة ، بل خرجا من أجل أن يبحثا عن حل يقضيان به على الفتنة والغوغاء التي عمت المدينة .

وهذا يتضح من قولهما لعائشة حين سألتهما عن سبب المجيء الى مكة وكان جوابهما أن قالا : (انا تحملنا هربا من المدينة من غوغاء واعراب وفارقنا قوما حيارى ، لا يعرفون حقا ولا ينكرون باطلا ولا يمنعون أنفسهم) [1] ثم خرجا الى البصرة مصطحبين معهما السيدة عائشة رجاء أن يرجع الناس الى أمهم فيرعون حرمة النبي واحتجوا عليها بقوله تعالى (لاخير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس) [2] وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم في الصلح

---

(١) الطبري جـ ٤ ص ٤٥٠ ، ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ جـ ٣ ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨
(٢) سورة النساء ـ آية ١١٤

وارسل فيه فرجت المشوبة .[1] وذلك رغبة منهم فى القضاء على الفتنة التى ظهرت فى الشام من أجل المطالبة بدم عثمان .

أما الآراء المختلفة التى يزعمها البعض ، وانها كانت هى السبب فى الخروج الى البصرة ومنها :

أ ـ انهما خرجا انكارا لبيعة على لانهما بايعا مكرهين .

ب ـ أو لان أول من بايع هو طلحة ويده مشلولة .

جـ ـ وعلى قول آخر انهما خرجا مطالبين بدم عثمان .

فهذه الآراء والاقوال أقوال مختلقة لاصحة لها ولا نصيب لها من الواقع بدليل ما يأتى :

١ ـ فأما انهما خرجا انكارا لبيعة على وأنهما بايعاه مكرهين ، فالحقيقة أنهما هما أول من عرض على على الامامة ، وقالوا له (انا لا نعلم أحدا أحق بها منك ولا أقدم سابقة ولا أقرب قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم) .[2]

٢ ـ أما النقطة الثانية فيقول فيها ابن العربى (وأما قولهم " يد شلاء " لو صح فلا متعلق لهم فيه ، فان يدا شلت فى وقاية رسول الله صلى الله عليه وسلم يتم لها كل أمر ويتوخى بها من كل مكروه) .[3]

٣ ـ أما القول بأنهما لم يخرجا الا من أجل الاخذ بثأر عثمان فهذه فرية

---

(١) ابن العربى ـ العواصم من القواصم ـ ص ١٥٢

(٢) ابن العربى ـ العواصم من القواصم ـ ص ١٤٤ ، انظر تاريخ الطبرى جـ ٤ صفحة ٤٢٧ ـ ٤٢٨

(٣) ابن العربى ـ العواصم من القواصم ـ ص ١٤٤

ملفقة فهما يعرفان حق المعرفة أن المطالب بدم لا يصح أن يحكم على المطلوب منه ، وتهمة الطالب للقاضي لا توجب عليه الخروج عليه .(١)

(٢) أما النقطة الثانية وهي القول بانضمام عائشة الى مقاومي علي فهذا قول لا تؤيده المصادر والمراجع التاريخية :

وفي الحقيقة أن السيدة عائشة قد لاقت من محاولات الطعن في شخصيتها والنيل منها .. وهذه حقيقة لابد منها لانها رضي الله عنها قد كانت أحب النساء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقد حظيت بالشيء الكثير من الحب والتقدير منه صلى الله عليه وسلم ، مما أوغر قلوب الحاسدين عليها فحاولوا أن يسلبوها شيئا من هذا التقدير وأن يضعوها في درجة غير التي وضعها فيها الله ورسوله وهيهات أن يستطيعوا ذلك والله الذي حفظها من أفك المنافقين قد نجاها وحفظها من افتراءات المؤرخين وشاء الله العلي القدير أن يحفظ لها بين ثنايا أسطر التاريخ من الادلة والبراهين ما ينفي عنها كل افتراء وزيف ، فقد قال عنها عروة بن الزبير (لو لم يكن لعائشة من الفضائل الا قصة الافك لكفاها ذلك فضلا وعلو مجد فانها نزل فيها من القرآن ما يتلى الى يوم القيامة) .(٢)

فان الحقيقة التي ينبغي أن تعرف عن خروج السيدة عائشة مع طلحة والزبير فانها تستند الى ما ورد من نصوص في المراجع والمصادر التاريخية التي يمكن الاعتماد عليها والتي لها قيمتها في عرف المؤرخين ونظرهم ، وخلاصتها أنها خرجت للصلح بين

---

(١) ابن العربي ــ العواصم من القواصم ــ ص ١٦٤
(٢) الذهبي : شمس الدين أبو عبد الله ــ طبقات الحفاظ ــ جـ ١ ص ٢٧ بيروت دار احياء التراث .

طائفتين متنازعتين من المسلمين والادلة على ذلك ما يأتى :

١) يذكر ابن العربى أنهم خرجوا فى جمع طوائف المسلمين وضم نشرهم وردهم الى قانون واحد حتى لا يضطربوا فيقتتلوا وهذا هو الصحيح ولا شىء سواه .(١)

٢) ان الامام عليا رضى الله عنه لما أرسل القعقاع بن عمرو لهم يسألهم عن سبب شخوصهم الى البصرة ، بدأ القعقاع بالسيدة عائشة رضى الله عنها فسلم عليها وقال : أى أمة ، ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة ؟ قالت : أى بنى اصلاح بين الناس" . فلما سأل القعقاع طلحة والزبير أمتبعان هما أم مخالفان فقالا : متبعان " . (٢)

٣) لما خرجت السيدة عائشة مع طلحة والزبير فأتت الحفير فأتاها أهل البصرة وسألاها عن سبب حضورها فقالت : (والله ما مثلى يخطى لبنيه الخير ، أن غوغاء المدينة ونزاع القبائل قد غزوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحدثوا فيه وأووا المحدثين فاستوجبوا لعنة الله ولعنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما نالوا من قتل أمام المسلمين بلاتره ، ولا عذر ، فاستحلوا الدم الحرام وسفكوه وانتهبوا المال الحرام وأحلوا البلد الحرام والشهر الحرام فخرجت فى المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء وما الناس فيه ورائنا وما ينبغى لهم من اصلاح هذه القصة ، وقرأت (لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس) (٣) فهذا شأننا الى معروف نأمركم به ومنكر ننهاكم عنه) . (٤)

---

(١) ابن العربى ص ١٥١
(٢) تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٤٨٨
(٣) سورة النساء — آية ١١٤
(٤) ابن الاثير ج ٣ ص ٢١١

٤) ويقول ابن العربى (فخرج طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين ــ رضى الله عنهم ــ رجاء أن يرجع الناس الى أمهم فيرعوا حرمة نبيهم واحتجوا عليها بقوله تعالــى " لاخير فى كثــير من نجواهم .. " (١)

٥) ويروى عاصم بن كليب الجرمى عن أبيه فيقول : (.. فقال لنا أصحابنا مــن أهل البصرة : ما سمعتم اخواننا من أهل الكوفــة يريدون ويقولون ؟ فقلنا يقولون خرجنا للصلح وما نريد قتالا) . (٢)

٦) يروى الطبرى أن أحد أجناد طلحة والزبير وهو أبو الجرباء سأل الزبير ابــن العوام أن يرسل ألف فارس الى على فقال الزبير (يا أبا الجربــاء أنــــا لنعرف أمور الحرب ، ولكنهم أهل دعوتنا ، وهذا أمر حدث فى أشياء لم تكــن قبل اليوم وهذا أمر من لم يلق الله عز وجل فيه بعذر انقطع عذره يوم القيامــة ومع ذلك أنه قد فارقنا وافــدهم على أمر ، وانا أرجو أن يتم لنا الصلح فابشروا واصــــبروا) . (٣)

٧) ويذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى مختصر سيرة الرسول عن ذلك فيقــــول (والتقى الفريقان كل منهم لايريد الا الاصلاح ولكن فى العسكر ناس مــــــن الخوارج فخافوا تمالوء العسكريين عليهم ، فتحيلوا حتى أثاروا الحرب بينهــــم من غير رأى) . (٤)

---

(١) ابن العربى ص ١٥٢
(٢) تاريخ الطبرى ــ جـ٤ ص ٤٩٢
(٣) تاريخ الطبرى ــ جـ ٢ ص ٤٩٥
(٤) ابن عبد الوهاب : محمد ــ مختصر السيرة ــ ص ٤٩٤ ــ القاهرة ١٣٧٩هـ

٨) ويروى صاحب فتح البارى فى شرحه لصحيح البخارى ويقول (ان أحدا لم ينقل أن عائشة ومن معها نازعوا عليا فى الخلافة ولا دعو لاحد منهم ، ليولوه الخلافة) . (١)

فهذا هدفهم حين الخروج ولم يكن لديهم غيره وكادوا ينجحون فى مهمتهم لولا أن كان فى الجيش جماعة من قتلة عثمان فخافوا على أنفسهم الوقيعة وخشوا ان حصل الصلح أن يفتضح أمرهم فتشاوروا فى الامر واتفقوا على أن يفاجئوا كلا الطرفين ويقتلوا منهم فيسئ بعضهم الظن بالاخر فيفسد الصلح وينجوا هم بأنفسهم .. وهذا ما حفظته لنا كتب التاريخ أيضا ..

فيروى الطبرى فى هذا الصدد عدة أقوال تثبت ذلك :

١. فيقول الطبرى : أنه بعد أن انتشر خبر الصلح وباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للعاقبة من الذى اشرفوا عليه .. وبات الذين اثاروا أمر عثمان بشر ليلة باتوها قط .. وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها حتى اجتمعوا على انشاب الحرب فى السر . (٢)

٢. كما يروى أيضا أن الثوار قالوا بعد علمهم بالصلح : أما طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما ، وأما على فلم نعرف أمره حتى كان اليوم ورأى الناس فينا والله واحد وأن يصطلحوا فعلى دمائنا فهلموا ، فلنتواثب على على نلحقه بعثمان فتعود فتنة . (٣)

---

(١) على شعوط : ابراهيم ــ كتاب اباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ص ١٧٢
(٢) الطبرى جـ ٤ ص ٥٠٦
(٣) الطبرى جـ ٤ ص ٤٩٣

٠٣ ويروى أيضا عن شريح بن أوفى أن الثوار قالوا : أبرموا أموركم قبل أن تخرجوا .. فانا عند الناس بشر المنازل ، فلا أدرى ما الناس صانعون غدا اذا ماهم التقوا . (١)

٠٤ كما روى أيضا عن عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء فقال : ياقوم ان عزكم فى خلطة الناس صانعوهم واذا التقى الناس غدا فانشبوا القتال ولا تفرغوهم للنظر ، فاذا من أنتم معه لايجد بدا من أن يمتنع ، ويشغل الله عليا وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون فأبصروا الرأى ، وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون . (٢)

هذا ما كان من شأن طلحة والزبير والسيدة عائشة ـ رضى الله عنهم ـ وموقفهم من على بن أبى طالب ، لا كما ذكره (فيليب حتى) من غير أن يدرس القضية دراسة علمية دقيقة .

(٣) وأما قول (حتى) أن عائشة قد تسترت أو تواطأت مع الثائرين على عثمان بن عفان ، فالحقيقة أن السيدة عائشة لم تكن قد تسترت على الثائرين ضد عثمان كما يزعم (حتى) بل أنها قد أسفت وندمت كل الندم على موت عثمان فهى القائلة : (واغضب لكم من السوط ولا أغضب لعثمان من السيف ؟ استعتبتموه حتى اذا تركتموه كالقلد المصفى ومصيتموه موص الاناء ، وتركتموه كالثوب المنقى من الدنس ، ثم قتلتموه)

---

(١) الطبرى جـ ٤ ص ٤٩٤
(٢) الطبرى جـ ٤ ص ٤٩٤

قال مسروق قلت لها عملك : كتبت الى الناس تأمرينهم بالخروج عليه ، قالت عائشة (والذى آمن به المؤمنون ، وكفر به الكافرون ما كتبت لهم سوادا فى بياض) . قال الاعمش : فكانوا يرون أنه كتب على لسانها [1] وهذا الارجح والاصح ، فعائشة لم تتدنى الى هذه المنزلة بأن تكتب وتحرض الناس بالخروج على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم نر هناك سببا يدفع بام المؤمنين أن تؤلب على أولادها المبشرين بالجنة وهى زوجة المصطفى ، فهى القائلة عندما وصلت الموبد لغرض الصلح كما تقدم (وكان الناس يتحدثون على عثمان ويذرون على عماله ويأتوننا بالمدينة فيستشيروننا فيما يخبروننا عنهم ، فننظر فى ذلك ، فنجده بريئا نقيا تقيا ، ونجدهم فجرة غدرة كذبة وهم يحاولون غير ما يظهرون) . [2]

(٤) أما ادعاء (حتى) فى أن السبب الاساسى فى خروج أم المؤمنين رضى الله عنها الى البصرة هو الحقد الذى تركه ارتياب على فى سلوكها رضى الله عنها (حديث الافك) فهذا ادعاء باطل ومردود ، لان عليا رضى الله عنه لم يبد ارتيابا ولن يكون فى سلوك رجل كعلى أن يرتاب فى سيدة مثل عائشة .

فموقف على بالنسبة للسيدة عائشة فى حديث الافك كان موقفا صريحا لم يظهر فيه شك أو ارتياب بالنسبة لها ، ولم يصدر عنه ما يجعل السيدة عائشة تحقد عليه فعندما سأله الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن رأيه فى عائشة أشار عليه بما يطمئن الرسول صلى الله عليه وسلم ويوصله الى براءة عائشة قبل الوحى حيث قال له :

---

(١) ابن العربى ـ العواصم من القواصم ـ ص ١٣٦
(٢) ابن الاثير ـ ج ٣ ص ٢١٣

(يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير ، وسل الجارية تصدقك قال: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريره فقال : أى بريره هل رأيت من شئ يريبك ؟ قالت : له بريره : والذى بعثك بالحق ما رأيت عليها امرا قط أغمصه ، غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتى الداجن فتأكله).(١)

أى شئ هنا يدعو الى الحقد ؟ وهو الذى أشار على الرسول بهذا الرأى الذى كان من نتيجته أنها ذكرت بخير ونفى عنها السوء .

كما أن قلب السيدة عائشة قد كان مليئا بالايمان وليس به مكان للحقد أو الضغينة على مسلم فضلا عن على صاحب الرأى والمكانة والسبق فى الاسلام .

فلو كان فى قلب عائشة مكان للحقد لكان حسان بن ثابت أولى به من على ابن أبى طالب ، فيروى أبو الاعلى المودودى فى تفسير سورة النور مدى تقدير السيدة عائشة لحسان بن ثابت فيقول (وكانت عائشة رضى الله عنها دوما تبدى عطفها على حسان بن ثابت ولا تقابله الا بالاحسان والتواضع وتلقى له الوسادة عندما يدخل عليها مع أن حسانا من الذين أذاعوا حديث الافك ولما ذكرها بعض الناس مرة بما فعل قالت " انه كان يدافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " وقالت مرة أخرى " ما سمعت بشعر أحسن من شعر حسان ولا تمثلت به الا رجوت له الجنة ". (٢)

ويعلق الدكتور ابراهيم شعوط على ذلك فيقول : (فاذا كان هذا هو

---

(١) صحيح البخارى ـ جـ ٦ ص ١٥١

(٢) المودودى : أبو الاعلا ـ تفسير سورة النور ص ١٢٤ ـ بيروت دار الفكر

موقفها من حسان ، الذى خاض مع الخائضين ، وقالت فى شأنه انه كان يدافع عن رسول الله " أفلا يكون تقديرها أكبر لعلى بن أبى طالب ، الذى كان يريد تفريج كرب الرسول واخراجه من الهم الذى شغله بقوله : " النساء غيرها كثيرات "[1] ولم يرد طعنا فى عائشة بمقدار ما كان يريد ابعاد الحزن عن الرسول صلى الله عليه وسلم) .[2]

وقد سجلت كتب التاريخ رأى السيدة عائشة فى على بصورة صريحة ، فقالت للناس بعد موقعة الجمل ـ بالنسبة لعلى ـ يابنى لا يعتب بعضنا على بعض انه والله ما كان بينى وبين على فى القديم الا ما يكون بين المرأة واحمائها ـ وانه على معتبتى لمن الاخيار " فقال على : صدقت وبرت وانها لزوجة نبيكم فى الدنيا والاخرة) .[3]

(فأن فرية متهافتة مثل هذه الفرية بعد ما عرفنا معاملتها لحسان بن ثابت وبعد ما عرفنا صفح أبيها عن مسطح بن اثاثه أحد أقاربه الذى كان ينفق عليه من ماله وكان من الخائضين فى حديث الافك ، فحلف أبو بكر الا ينفق عليه من ماله بعد ذلك ، ولكن لما نزل قوله تعالى (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ، الا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) .[4]

---

(١) ابن الاثير ج ٣ ص ١٩٧
(٢) د . شعوط : ابراهيم ـ أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ـ ص ١٧٠
(٣) ابن الاثير ج ٣ ص ٢٥٨
(٤) سورة النور ـ آية ٢٢

وسمعها أبو بكر رضى الله عنه ، فقال (انى لاحب أن يغفر الله لى وأعطى مسطحا أكثر مما كان يعطيه) .. ولا شك والولد سر أبيه أنها سمعت قوله تعالى الا تحبو أن يغفر الله لكم) واثرت أن يغفر الله لها بعفوها عن المسىء بدليل عفوها عن حسان .[1]

كيف لا تصفح وقلبها كله مفعم بالعلم والايمان كيف لا تصفح عن أبنائها المؤمنين وهى أمهم المقربة من نبيهم حيث قال حين سئل: (يارسول الله أى الناس أحب اليك .. قال : عائشة .).[2]

ويروى هشام عن أبيه قال ما رأيت أحدا من الناس أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال وحرام ولا بشعر ولا بحديث العرب ولا بالنسب من عائشة [3] وكانت عائشة من أعلم الناس يسألها أكابر الصحابة [4] ويروى أبو برده بن أبى موسى عن أبيه قال (ما أشكل علينا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حديث قط فسألنا عائشة الا وجدنا عندها منه علما) .[5]

فهل يوجد مكان للحقد فى قلب قد ملىء علما وايمانا ..

اذا لم يبق بعد ذلك الا أن نؤمن دائما ، بأن السيدة عائشة أم المؤمنين وسيدة نساء العالمين أبعد ما تكون عما نسب اليها فى هذه الدعوى بالنسبة لعلى رضى الله عنه .[6]

---

(١) د . شعوط : ابراهيم — اباطيل يجب أن تمحى من التاريخ — ص ١٧١
(٢) بن ماجة : ابو عبد الله محمد بن يزيد — سنن بن ماجة جـ١ ص٨ ٣بيروت ١٣٧٢
(٣) طبقات الحفاظ للذهبى ط ١ ص ٢٧
(٤) المصدر السابق
(٥) المصدر السابق
(٦) د . شعوط : ابراهيم — ص ١٧١

الفصل الثالث

بعض آراء (حتي) في عصر بني أمية وبني العباس والرد عليها

١

لقد أخذ (حتى) على معاوية عدة أمور منها :

أولا : حمله الحسن على التنازل .

ثانيا : جعل الخلافة ملكا عضوضا بتولية ابنه يزيد .

ەە

(واعتزل في المدينة الى حياة الراحة والمتعة وهو، خطوة اغراه بها ضمان معاوية بأن يقدم له هبة وعطاء عظيمين ، واشترط الحسن أن يحمل اليه خمسة ملايين درهم من بيت مال الكوفة) (*)

ەە

ان فيليب حتى حين قرأ ما روته بعض الكتب العربية من اغراء معاوية للحسن

(*) حتى : فيليب ـ تاريخ العرب المطول ـ ص ١٩٠ ـ (انظر النسخة العربية المترجمة ج ١ ص ٢٥٢)

بالمال نظير تنازله عن الخلافة ولم يدلل أن هذه الروايات التي وردت في الكتب التي نقل عنها لم تكن على درجة وافية من الحقيقة لوجود روايات أخرى بجانبها تناقضها ولم يكن رواتها ممن يشق بهم، فكان من واجبه كباحث أن يدرس المراجع الاخرى التي ذكرت ما يخالف ذلك حتى يصل الى حقيقة ثابتة .

ونحن نذكر الروايات التي تجاهلها " حتى " لنبين للقارئ أن ما ذهب اليه (حتى) غير صحيح فنثبت هذه الروايات التي تدل على أن الحسن قد تنازل عن حقه في الخلافة حقنا للدماء لا نظير مبلغ من المال يتقاضاه من معاوية .

ومن هذه الاقوال التي تثبت أن الحسن قد تنازل حقنا للدماء هي :

١ ـ ان الحسن أرسل الى معاوية يبذل له تسليم الامر اليه على أن تكون له الخلافة بعده، وعلى ألا يطلب أحدا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان أيام أبيه (دم عثمان) . (١)

٢ ـ لما رأى الحسن أن الامر عظيم تراق فيه الدماء ورأى اختلاف أهل العراق سلم الامر الى معاوية وعاد الى المدينة . (٢)

٣ ـ وكان الحسن يقول " ما أحببت أن ألي أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم على أن يراق في ذلك محجمة دم . (٣)

---

(١) بن الاثير: عزالدين أبو الحسن ـ أسد الغابة ـ ج ٢ ص ١٢ دار الشعب القاهرة .
(٢) أسد الغابة ج ٢ ص ٢١١
(٣) أسد الغابة ج ٢ ص ١٤

٤ ـ أن الحسن قال لعبد الله بن جعفر أني رأيت رأيا أحب أن تتبعني عليه قلت : ماهو قال : رأيت أن أعمد الى المدينة فانزلها واخلي الامر لمعاوية فقد طالت الفتنة وسفكت الدماء وقطعت السبل فقال عبد الله بن جعفر جزاك الله خيرا .(١)

٥ ـ فلما وافقه أخوه الحسين على التنازل لمعاوية ،بعد معارضة بسيطة قام الحسن وقال : " يا أيها الناس إني كنت أكره الناس لاول هذا الحديث وأنا أصلح آخره لذي حق أديت اليه حقه ، أحق به مني أو حق حدث به لصلاح أمة محمد صلى الله عليه وسلم .(٢)

٦ ـ ويقول ابن الجوزي " ثم بايع الناس الحسن بن على رضى الله عنهما ..ثم كره سفك الدماء فتخلى عن الامر لمعاوية وانخلع وبايعه ".(٣)

٧ ـ ويعلق المستشرق ولهاوزن على التنازل ويقول (ولم يكن الحسن يرغب في الحرب وأن من قواته أربعون ألف رجل يتحمسون للقتال) .(٤)

وهنا ظهرت المعجزة النبوية في قوله صلى الله عليه وسلم " ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فيئتين عظيمتين من المسلمين ".(٥)

---

(١) ابن حجر العسقلاني ـ الاصابة ـ جـ ١ ص ٣٣١، ويزيد تهذيب التهذيب جزاك الله عن أمة محمد خيرا وأنا معك على هذا الحديث جـ ٢ ص ٢٩٩

(٢) ابن الجوزي : جمال الدين أبو الفرج ـ تلقيح فهوم أهل الاثر ـ ص ٨٢ القاهرة ٧٥م

(٣) ابن حجر العسقلاني ـ تهذيب التهذيب جـ ٢ص ٣٠٠

(٤) ولهاوزن : يوليوس ـ الدولة العربية وسقوطها ـ ترجمة يوسف العشي ص ٨٧ دمشق ١٩٥٦م .

(٥) البخاري ـ كتاب "فضائل الصحابة " جـ ٤ ص ٢١٦

فهذا هو الدافع الذى دفع بالحسن الى التنازل وهو رغبة منه فى حقن دماء المسلمين ، ولم شعث الامة وجمع كلمتها وابعادها عن الفرقة التى تمزق أواصرها وليس العطاء المادى الذى ظنه (حتى) وغيره من المغرضين أو الناقلين ثم أى شرف أعظم من شرف من سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم " سيدا " فهذا يكفيه فخرا وشرفا من الخلافة .

ولم يكن تنازل الحسن عن الخلافة تخليا عن واجب أو اهمال حق الامة المحمدية أو تركها لغير كفوء فهو بتنازله هذا كان يرى فى معاوية الكفوء لهذه المسئولية الامين على مصالح الامة كما كان يرى ذلك فى نفسه .

وهذا ما يظهر من تعليق الحافظ بن حجر على حديث (ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فيئتين عظيمتين من المسلمين) فيقول ابن حجر " تساوى بينهم فى الاسلام وقال فيئتين — ولم يذكر مرجحا لاحدهما اعلاما باستوائهم فى أصل الثواب) . (١)

—•—

(١) ابن حجر الهيثمى — تطهير الجنان — ق ١٢

٢

(ورغم مناقب معاوية الا أنه لم يكن مفضلا عند كثير من المؤرخين الذين وصلت كتبهم الينا فقد اعتبروه أول ملك في الاسلام ... واتهموه بأنه جعل الخلافة ملكا (أى .. سيادة دنيوية) (*)

٥٥

ان (حتى) عندما نقل عن ابن خلدون فانه لم يفهم رأى ابن خلدون في هذا الموضوع أو فهمه ولكنه تجاهل ما قصده ابن خلدون .. تاركا واجبه كباحث يجب عليه النقل بأمانة حتى يظهر الحق ويذهب الباطل ..

فابن خلدون عندما ذكر هذا نراه يقول بعد ذلك " فقد رأيت كيف صار الامر الى الملك ، وبقيت معانى الخلافة ، من تحرى الدين ومذاهبه والجرى على منهاج الحق ". (١)

(*) حتى : فيليب ـ تاريخ العرب المطول ـ ١٩٧ (انظر النسخة العربية المترجمة ص ٢٦٠)

(١) مقدمة ابن خلدون ص ١٥

ونراه أيضا فى مكان آخر من مقدمته نفسها يعلل قيام معاوية بهذا الامر فيقول (ان الذى دعا معاوية لايثار ابنه يزيد بالعهد دون سواه انما هو مراعاة المصلحة فى اجتماع الناس ، واتفاق اهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد عليه حينئذ من بنى أمية وبنوا أمية يومئذ لا يرضون سواهم ،وهم عصبة قريش ، وأهل الملة أجمع ،وأهل الغلب منهم فآثره بذلك دون غيره ممن يظن أنه أولى بها ،وعدل عن الفاضل الى المفضول حرصا على الاتفاق ، واجتماع الاهواء الذى شأنه أهم عند الشارع). [1] ولكن (حتى) تجاهل هذا كله واكتفى بهذه الكلمة فقط محاولا الطعن فى خليفة مثل معاوية رضى الله عنه وفى الحقيقة أن البعض الذين حاولوا الطعن فى معاوية من هذه الزاوية ،قد وصفوه بالخروج عن المألوف فاعتبروا تولية معاوية لابنه يزيد الخلافة خروجا عن سابقيه وانه قد ابتدع بدعة لم يعرفها المسلمون وانه قد قضى على نظام الخلافة الاسلامى واستعاض عنه بنظام الملك الكسروى وبفعله هذا قد قام بعملين منكرين معا :

الاول : انه عين الخليفة قبل الوفاة .

الثانى : انه لم يختر غير ابنه يزيد مع وجود الصحابة .

وقبل أن نعرف الدوافع التى دفعت بمعاوية لسلوك هذا المسلك نرى أنه من الواجب علينا أن نعرف من هو معاوية ؟؟

ان المنصفين الذين تحدثوا عن معاوية فى ضوء العدل والحق يضعونه فى المكان اللائق به :

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٢١٠

١ ــ يقول القاضي ابن العربي " واما معاوية فعمر ولاه وجمع له الشامات كلها وأقره عثمان بل انما ولاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه لانه ولى أخاه يزيد واستخلفه يزيد فأقره عمر لتعلقه بولاية أبي بكر لاجل استخلاف واليه له فتعلق عثمان بعمر وأقره فانظروا الى هذه السلسلة ما أوثق عراها ولن يأتي مثلها أبدا بعدها ". [1]

٢ ــ ويذكر البلاذري " ان النبي صلى الله عليه وسلم ولى معاوية شيئا من عمله قبل أن يوليه أبو بكر وعمر ". [2]

٣ ــ ويقول عنه ابن عباس رضي الله عنهما " ما رأيت احدا أخلق بالملك من معاوية [3]

٤ ــ ويروى عنه سعد بن أبي وقاص وهو أحد العشرة (ما رأيت أحد بعد عثمان أقضى بحق من صاحب هذا الباب يعني معاوية). [4]

٥ ــ ويروى الامام الترمذي أن عمر بن الخطاب لما عزل عمير بن سعد الانصاري الاوسي عن حمص وولى معاوية مكانه قال الناس : عزل عمير وولى معاوية فقال عمير في خلفه على عمله لا تذكروا معاوية الا بخير فأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اهد به " [5] وعمير كان من الزهاد وقد وصفه عمر ابن الخطاب بأنه نسيج وحده ". [6]

---

(١) ابن العربي ــ العواصم من القواصم ص ٨١
(٢) البلاذري ــ فتوح البلدان ــ ص ٤٨
(٣) الطبري ــ جـ ٥ ص ٣٣٧
(٤) ابن كثير جـ ٨ ص ١٣٣
(٥) ابن العربي ص ٨٣ الهامش
(٦) المصدر السابق

٦ ـ ويقول الامام ابن تيمية عن معاوية (كانت سيرة معاوية مع رعيته من خيار سير الولاة وكانت رعيته يحبونه وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم ". (١)

٧ ـ ان معاوية رضي الله عنه يعد من رواة الحديث وقد روى عنه من الصحابة طائفة وجماعة من التابعين بالحجاز والشام والعراق (٢) .. فقد ذكر ابن حزم أنه روى مائة حديث وثلاثة وستين حديثا " . (٣)

ونحن عندما نجد أحدا من الصحابة راوية لحديث رسول الله لانحتاج لكثير من الجهد في اثبات عدالته وبلوغه صفة الكمال ، وانه قد بلغ حدا من الثقة التي لا تقبل شكا ولا يليق معها الجدل في شأن رواة الحديث وخاصة اذا كانوا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٤)

٨ ـ ويروي الاوزعي فيقول عن معاوية " ادركت خلافة معاوية جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينتزعوا يدا من طاعة ولا فارقوا جماعة وكان زيد بن ثابت يأخذ العطاء من معاوية . (٥)

٩ ـ ويصفه أبو الدرداء لاهل الشام فيقول (ما رأيت أحدا أشبه صلاة بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمامكم هذا ، يعني معاوية) (٦)

---

(١) منهاج السنة جـ ٣ ص ١٨٩
(٢) د. شعوط ـ اباطيل يجب أن تمحى من التاريخ الاسلامي ـ ص ٢٣٤
(٣) مخطوط أسماء الصحابة والرواة وما لكل واحد من العدد ـ بن حزم الظاهري رقم الايداع ٢٥٤ دار الكتب المصرية ص ١٢
(٤) د. شعوط ـ ص ٢٣٤
(٥) ابن عبد البر ـ الاستيعاب جـ ٣ ص ١٤٢ القاهرة ـ دار الشعب
(٦) احمد بن عبد الحليم ـ منهاج السنة جـ ٣ ص ١٨٥ ـ القاهرة ١٣٢١

١٠ــ ويروى ابن تيمية : قال كنا عند الاعمش فذكروا عمر بن عبد العزيز وعدلـــه : فقال الاعمش : فكيف لو أدركتم معاوية ؟ قالوا في حلمه ؟ قال لا والله في عدله ؟ . (١)

١١ــ ويقول بن حجر الهيثمي عن معاوية (فوجبت محبته ــ معاوية ــ لهـــذه الامور التي اتصف بها بالاجماع منها شرف الاسلام وشرف الصحبة وشـــرف النسب وشرف مصاهرته له صلى الله عليه وسلم المستلزمة لموافقته له صلى اللـــه عليه وسلم ولكنه معه فيها وشرف العلم والحلم والامارة ثم الخلافة بواحـــدة من هذه تتأكد المحبة لاهلها فكيف اذا اجتمعت) . (٢)

١٢ــ ويقول ابن حجر أيضا (وقد شكى أهل الاقطار كثيرا من ولاتهم الى عمـــر وعثمان فعزلا عنهم من شكوهم وان جلت مراتبهم وأما معاوية فأقام في امارتـــه على دمشق والشام هذه المدة الطويلة فلم يشك أحد منه ولا اتهمه أحـــد بجور ولا مظلمة) . (٣)

هذا معاوية وهذا وضعه بين صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبـــين معاصريه تقدير وثقة واعجاب فهل يجدر به أن يحيد عن الصواب ؟

أما عن اختياره خليفة له قبل وفاته فنقول انما الذى فعله من تعيين الخليفـة

---

(١) المصدر السابق
(٢) ابن حجر الهيثمي : تطهير الجنان واللسان عن الخطورة والتفوه بمثالب معاويـة ابن أبي سفيان ــ مخطوط رقم ٢٥٠ ايداع مكتبة الجامعة بمكة ق ٣
(٣) المصدر السابق ق ١٢

قبل الوفاة انما فعله وهو اقتداء بما فعل أبو بكر من اختيار الخليفة للمسلمين قبل وفاته . وبما قاله عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين قيل له اعهد بالخلافة فقال : (ان أعهد فقد عهد من هو خير منى وان أترك فقد ترك من هو خير منى) وانما فعل ذلك أبو بكر وعمر لعلمهما انهما مسئولان أمام الله عن اختيار خليفة المسلمين قبل وفاتهم .

وكذلك فعل معاوية خشية أن تقع الفتنة بعد وفاته فى اختيار من يخلفه فيتصدع بنيان الدولة وتتفرق وحدة الامة كما حدث بعد وفاة عثمان .

انما الذى فعله من تعيين الخليفة قبل الوفاة انما فعله بقوة ايمانه وصدق سريرته ولقد كان لديه الدافع لذلك وما يجيز له ذلك .. فلو أردنا أن نعرف ماهو الدافع الذى دفع بمعاوية للتعيين قبل وفاته ، وهل كان لديه دليل يعتمد عليه ، لتعيين خليفة للمسلمين قبل وفاته ، لوجدنا أن الدافع والدليل موجودان . وليس معاوية ذلك الذى يتخلى أو يحيد . فالدافع الذى دفع بمعاوية الى اختيار خليفة وتعيينه فى حياته هو قوة ايمان معاوية وحرصه الشديد على هذه الامة ، وانه وجد نفسه مكلفا بها فهو وليهم . والامين على صالحهم . فان كان هذا فى حياته فلابد من أن يسأل عنه حتى بعد وفاته ، ولابد له أن يطمئن على أمنهم .. وان يقوم على حفظ صالحهم .

فمعاوية كان يرى ذلك كله من واجبه ، فخاف أن يتخلى عن شىء منه وخشى على الامة أن تقع فى فتنة وافتراق كلمة ، مثلما حدث بعد عثمان وكان يريد أن يضع حلا لمسألة الخلافة وايجاد سلطة دائمة للاسلام وبصنيعه هذا أبعد الامة عن

شر الاختلاف. فهل ينكر عليه ذلك ؟ ..ان السابقين لم يضعوا قانونا لانتخاب الخلفاء ولم يرسموا قاعدة ثابتة يلتزم بها المسلمون ، فليس في تصرف معاوية خروج على المألوف ولا مجاوزة لقاعدة ـ لكنه اجتهاد ترسم فيه طريق من سبقوه وذلك ما فعله أبو بكر حين اختار عمر للخلافة من بعده ، بمحضر من الصحابة فأجازوه ولم ينكروه ـ وهو دليله في عمله هذا ـ فهم يعلمون أن طاعة الخليفة واجبة عليهم فيما يسرا صالحا لهم فهم راضون بأبي بكر راضون بمن اختاره لهم من بعده ، وهم أيضا رضوا بمعاوية ووثقوا به ، فلابد أن يثقوا فيما ينظر لهم من مصلحة .

ونعتمد في تأييد وجهة نظرنا هذه على ما أورده بن خلدون في مقدمته حيث قال (ولا يتهم الامام في هذا الامر أن عهد الى أبيه أو ابنه ، لانه مأمون على النظر لهم في حياته ، فأولى الا يحتمل فيها تبعة بعد مماته) .

ثم يقول : وان كان لا يظن بمعاوية غير هذا فعدالته وصحبته مانعة من سوى ذلك ، وحضور أكابر الصحابة لذلك ، وسكوتهم عنه ، دليل على انتفاء الريب عنه فليسوا ممن تأخذهم في الحق هوادة وليس معاوية ممن تأخذه العزة في قبول الحق فانهم ـ كلهم ـ أجل من ذلك وعدالتهم مانعة منه) . (١)

ولعل ما حمل معاوية من تولية ابنه يزيد انه لم يقدمه على غيره لمجرد أنه ابنه وان عاطفة الابوة هي التي دفعته الى ذلك وانما اختاره لما عهد فيه من كفاية وفضل وعدل فقد روى عنه أنه قال في احدى خطبه عند بيعة يزيد (اللهم ان كنت

---

(١) مقدمة ابن خلدون ج ٢ ص ٥٥٣

انما عهدت ليزيد لما رأيت من فضله فبلغه ما أملت وأعنه ، وان كنت انما حملني على ذلك حب الولد لولده وانه ليس بأهل فاقبضه قبل أن يبلغ ذلك) . (١)

ولماذا لم يختر معاوية الا يزيدا ولم يختر أحدا من الصحابة فنقول أن هذا لا ينقص صحة بيعة يزيد فقد قال الفقهاء في ذلك وأجازوا بيعة المفضول مع وجود الافضل . (٢)

-٠-

(١) العصامي : عبد الملك بن حسن : سمط النجوم العوالي جـ ٣ ص٤٥ المكتبة السلفية القاهرة .
(٢) ابن العربي ص ٢١١

٣

أما الفرية التي افتراها (حتى) على عبد الملك بن مروان فهي أنه :

(قد ابتنى في بيت المقدس قبة الصخـــــرة
وكان غرضه أن يحول اليها أفواج الحجاج مـــن
مكة والتي استعرتها منافسة بن الزبير) (*)

٥٥٥

قبل أن أبدأ في الرد على (حتى) رأيت أن أبين من هو عبد الملك بـــن مروان في أوثق المراجع وعند أعدل الرواة .

١ ــ قيل لابن عمر من نسأل بعدكم قال : ان لمروان ابنا فقيها فسلوه . (١)

٢ ــ وقال عنه ابن عمر أيضا "ولد الناس أبناء وولد مروان أبا " . (٢)

٣ ــ ويصفه صاحب فوات الوفيات أنه كان عابدا ناسكا . (٣)

٤ ــ ويدعوه أهل الاثر أنه من أفقه أهل المدينة فقال أبو الزناد " فقهاء المدينة أربعة : سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وقبيصة بن زويب وعبد الملك بن مروان " (٤)

(*) حتى : تاريخ العرب المطول ــ ٢٢٠ (انظر النسخة العربية المترجمة ص ٢٨٦)
(١) ابن حجر ــ تهذيب التهذيب ــ جـ ٦ ص ٤٢٢
(٢) الكتبي ــ محمد بن شاكر ــ فوات الوفيات جـ ٢ ص ٣٢ بيروت ١٩٧٣ ، ابن كثير جـ ٩ ص ٦٢
(٣) المصدر السابق جـ ٢ ص ٣١
(٤) ابن الاثير جـ ٤ ص ٥٢٠ ، فوات الوفيات جـ ٢ ص ٣١

٥ ـ وقال جوير بن حازم ، سمعت نافعا يقول " لقد رأيت المدينة وما بها أشد تشميرا ولا أفقه ولا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك " وقال " ولا أطول صلاة ولا أطلب للعلم " . (١)

٦ ـ ويروى ابن حجر في تهذيب التهذيب أيضا عن اسماعيل بن خالد قال :
" ما جالست أحدا الا وجدت لي الفضل عليه الا عبد الملك فأني ما ذاكرته حديثا الا زادني فيه " (٢)

٧ ـ وهذا مالك (٣) رضي الله عنه قد احتج بقضاء عبد الملك بن مروان في موطئه وأبرزه في جملة قواعد الشريعة . (٤)

هذا هو عبد الملك كما تراه أوثق المراجع وأعدل الرواة .

ثم بعد ذلك نرد على افتراءات (حتى) ونقول :

ان (حتى) في فريته هذه قد اعتمد على ما انفرد به اليعقوبي (٥) من هذه الرواية فلم يذكرها أحدا غيره ، فلا ينبغي الاخذ به لما عرف من تشيع هذا الكاتب وما عرف من الخصومة القائمة بين أهل السنة والشيعة .

---

(١) ابن الاثير ج ٤ ص ٥٢٠ ،
(٢) ابن كثير ج ٩ ص ٦٢
(٣) هو مالك بن أنس بن مالك الاصبحي الحميري (٩٣ـ١٧٩ هـ) أمام دار الهجرة والیه تنسب المالكية (انظر الاعلام ج ٦ ص ١٢٨)
(٤) موطأ مالك ج ٢ ص ٦١١ ، ص ٦٤١ ـ القاهرة ١٣٧٠
(٥) اليعقوبي : احمد بن اسحاق ـ تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٦١ بيروت ١٣٧٩

تلك التهمة التافهة أملاها على اليعقوبى حقده على بنى أمية وبصفة خاصة — على عبد الملك لان اليعقوبى شيعى متطرف يعمل دائما على طمس كل مكرمة لبنى أمية [١]

وانما اعتبرنا ما نقله (حتى) فى هذه القضية فرية لانه من مصدر غير موثوق به وكان جدير به أن يرفضها لمجرد أن ناقلها هو اليعقوبى ولكن رغبته فى تشويه سمعة عبد الملك بن مروان هى التى جعلته يركز على هذه الرواية دون تحقيق .

ومع ذلك فان أحد الذين تأثروا بالمستشرقين فى كتبهم وهو الدكتور عبد المنعم ماجد ففى هذه الرواية يقول (ونحن لا نستطيع أن نقبل الرواية القائلة أن عبد الملك قصد من بناء مسجد الصخرة جعل الناس تحج اليه ومنعهم من الحج الى مكة من أجل ابن الزبير فليس لدينا أى اشارة عن ذلك فى سير عبد الملك ،ولا سيما أنه كان لبنى أمية أيام ابن الزبير لواء يحجون فى ظله) . [٢]

ويذكر المقدسى أن سبب بناء عبد الملك لمسجد الصخرة هذه ألا يترك المسلمين يبهرون ببناء كنيسة القيامة . [٣]

فاتهام (حتى) لعبد الملك بتحويل الحجيج الى بيت المقدس ، يؤدى الى تكفير عبد الملك لانه صرف الناس عن البيت الى مكان آخر كما أراد أن يصنع أبرهة . ومع ذلك لم يذكر أحد من المسلمين أن عبد الملك خرج عن الاسلام واذا كانت قبة

---

(١) د . ابراهيم شعوط — أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ — ص ٣١٣

(٢) د . ماجد : عبد المنعم — التاريخ السياسى للدولة العربية — جـ ٢ ص ١٨٩
انظر طبقات ابن سعد جـ ٥ ص ١٠٤

(٣) المقدسى : ابوعبد الله محمد بن احمد — أحسن التقاسيم — هامش ص ١٦٨ — ١٩٠٦

الصخرة تحل محل الكعبة فأين الصفا والمروة الذى لا يتم الحج الا بالسعى بينهما ٠
وأين عرفان الذى قال فيه المصطفى (الحج عرفة) ٠

ه ه

ونجد بعد ذلك اتهام (حتى) لعبد الملك وابنيه الوليد وهشام فى صفحة ٢٢٧ بتناول الخمر حيث يقول عن عبد الملك : (*)

(أما عبد الملك فيشرب الخمر فى الشهر
مرة بكثرة يجعله لا يفيق نفسه الا باستخدام
المغنيات)

ويقول عن الوليد :

(فكان فيما روى يشرب يوما ويدع يوما)

وعن هشام :

(واعتاد هشام الشرب يوم الجمعة بعد الصلاة)

ه ه

فواضح أن هذه فرية مردودة عليه لاننا لو نظرنا الى مرجع (حتى) الذى اعتمد عليه لوجدناه أبو الفرج الاصفهانى فى كتابه " الاغانى " الذى قال فيه انه

(*) حتى — ص ٢٢٧ (النسخة العربية المترجمة ص ٢٩٥)

كتاب يتوخى مافيه رونق بروق الناظر ويلهى السامع" فما دام هذا هو شأن صاحب الاغانى وفيليب حتى يعرفه هذا الطابع فما كان ينبغى أن يجعلها قضية ويزكوهـا هو فى كتابه لتشيع بين قراء هذا الكتاب سواء باللغة العربية أو الانجليزية ،ويكفينا هذا ردا على حتى فى هذه القضية ومن هنا تنهار كل اتهاماته فى موضوع شرب الخمر الذى نحاه على عبد الملك ، والوليد ، وهشام ،لان المصدر الوحيد الذى اعتمد عليه وهو نفس المصد ر الذى يعلم أن صاحبه لا يقصد منه ذكر الحقائق التاريخية انما يقصد أن يذكر مافيه من رونق يروق الناظر ويلهى السامع .

ـ • ـ

٤

يذكر (حتى) فى معرض حديثه عن الاسطول الاسلامى فى عهد معاوية بن أبى سفيان فيقول :

(وليس هناك مجال للشك فى أن بحارة هذا الاسطول كانوا من الشاميين اليونانيين الذين مارسوا ركوب البحر . أما اعراب الحجاز دعامة الاسلام ، فقد كان لديهم المام بسيط بركوب البحر) (*)

٥٥

هذه القضية الذى ينكر فيها عروبة أهل الشام تقتضينا أن نرد على (حتى) بأن أهل الشام كانوا من الجنس العربى منذ القدم وكانت تقوم فى بلاد الشام دولة عربية من قبل الاسلام وهى دولة الغساسنة وهؤلاء كان لهم علم كبير بأمور البحر ، وان دخولهم فى سلطان الدولة اليونانية أو البيزنطية لا يخرجهم عن جنسيتهم العربية المعروفة ، ويكفينا لاثبات عروبة أهل الشام وعلمهم بالبحر ما ذكره جوستاف لوبون حيث قال (انه لا أحد ينكر مهارة عرب الشام فى تجارة ... البحر الابيض) (١)

(*) حتى ـ تاريخ العرب المطول ص ١٩٤ ـ (انظر النسخة العربية المترجمة ٢٥٦

(١) جوستاف لوبون ـ ص ٤٦٥

أما لو كان قصده من ذلك هو تقسيم أهل سوريا وجعلهم أرواما وعربا وخص معرفة أمور البحر بالاروام وانكرها على العرب السوريين ،فكفانا أن نقول أنه لاأحد ينكر مهارة عرب الشام فى تجارة البحر الابيض وانهم قاموا خير قيام بعمل الوسطاء بين تجار الشرق والجنوب وبين تجار أوربا فى الشمال ، كما أن أهل سوريا بحكم الموقع الجغرافى على البحر المتوسط وامتداد السواحل على هذا البحر بحكم الطبيعة ينشىء عندهم العلم بالبحر وطريقة استغلاله فى استخراج مافيه من ثروات سمكية واستعماله للتجارة والاتصال بالبلاد الواقعة على هذا البحر فهم بحق سادة البحر الابيض المتوسط .(١)

أما الفرية الاخرى وهى دعواه بأن أهل الحجاز لم يكن لديهم الهام بشئون البحر ويدعى كما ادعى غيره أنهم لا يعرفون البحر ولا علاقة لهم به ، وان سفنهم هى الجمال فقط وان بحارهم هى الرمال ..وقالوا ان الجمل هو سفينة الصحراء ، ومن هذه العبارة استنتج المستشرقون منها وفهموا أن العرب لا يعرفون شيئا عن السفن ولا ركوب البحر .. والحقيقة أن تشبيه العرب للجمل بالسفينة لا يعنى عدم معرفتهم بالبحار بل هو نفسه دليل على المعرفة الحقة لانهم لو لم يعرفوا قيمة السفينة ماشبهوا الجمل بها فتشبيههم اياه بها دليل على ادراك قيمتها وهو بالتالى دليل على معرفتهم بالبحر وخبرتهم فيه ، نضيف الى ذلك الموقع الجغرافى للبلاد الواقعة على البحر وان امتداد ساحل البحر الاحمر من شمال الجزيرة الى جنوبها يزيدهم معرفة بعلم البحار وان العرب فى الجزيرة العربية كانوا على علم تام بأمور البحار فى سفرياتهم وفى معاشهم ومنافعهم المادية .ونجد فى القرآن الكريم آيات لاحصر لها فى

---

(١) جوستاف لوبون ص ٥٥٨

فى ذكر البحر وفضل الله على العرب فى تسخير البحر لهم ليأكلوا منه لحما طريا ويستخرجوا منه حلية يلبسونها .

كما أن القرآن الكريم الذى أنزله الله على نبيه - صلى الله عليه وسلم - يخاطب به العرب الذين يعيشون فى الجزيرة العربية قد ذكر البحر ومنافعه ومافيه من خيرات فى سورة المكية والمدنية مخاطبا بها المؤمنين وبدهى أن ذكر هذه الآيات التى اشتملت على ذكر البحر تؤكد لنا علم هؤلاء المخاطبين به وانتفاعهم منه .

فاننا نجد القرآن الكريم قد أشار فى السور المكية والمدنية على السواء الى معارف العرب عن البحر والسفن .. فقال تعالى :

" قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين "[١] (مكية)

" وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر ، وقد فصلنا الايات لقوم يعلمون "[٢] (مكية)

" هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذا لنكونن من الشاكرين "[٣] (مكية)

---

(١) سورة الانعام - آية ٦٣
(٢) سورة الانعام - آية ٩٧
(٣) سورة يونس - آية ٢٢

" الله الذى خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الانهار " [١] (مكية)

" وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون " [٢] (مكية)

" ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيما " [٣] (مكية)

" واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه ، فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا " [٤] (مكية)

" امن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أءله مع الله ، تعالى الله عما يشركون " [٥] (مكية)

" ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله ليريكم من آياته " [٦] (مكية)

" ومن آياته الجوارى فى البحر كالاعلام " [٧] (مكية)

---

(١) سورة ابراهيم ــ آية ٣١ ــ ٣٢
(٢) سورة النحل ــ آية ١٤
(٣) سورة الاسراء ــ آية ٦٦
(٤) سورة الاسراء ــ آية ٦٧
(٥) سورة النمل ــ آية ٦٣
(٦) سورة لقمان ــ آية ٣١
(٧) سورة الشورى ــ آية ٣٢ ــ ٣٤

" الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ". [١] (مكية)

" وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه ، وهذا ملح أوجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله و لعلكم تشكرون " [٢] (مكية)

" ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون " [٣] (مدنية)

" ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الارض والفلك تجرى فى البحر بأمره و يمسك السماء أن تقع على الارض إلا باذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم " [٤] (مدنية)

" وله الجوار المنشآت فى البحر كالاعلام " [٥] (مدنية)

فهذه الايات كلها قد نزلت فى أهل الحجاز وما نزلت فيهم الا لتذكرهم بنعمة الله عز وجل عليهم ولولا انهم يعرفون البحر ولهم فيه طول باع ومصالح تعود عليهم

---

(١) سورة الطور ـ آية ٦
(٢) سورة فاطر ـ آية ١٢
(٣) سورة البقرة ـ آية ١٦٤
(٤) سورة الحج ـ آية ٦٥
(٥) سورة الرحمن ـ آية ٢٤

بالنفع والخير العميم لما ذكرهم بفضل البحر عليهم ولكن ماكان ذلك الا لمعرفتهم به ولحاجاتهم الماسة اليه ولاتصالهم الدائم به بحكم الموقع الجغرافي واحاطة البحر بالجزيرة العربية من نواحيها الشرقية والجنوبية والغربية .

وهذه الايات السالفة الذكر هى التى تخص أهل الحجاز فقط بينما يوجد الكثير الذى فيه لفظ بحر ولكن لم آذكرها لانها لا تخص أهل الحجاز ولكن لو لم يكن أهل الحجاز يعرفون البحر لما قص الله عليهم قصص الاقوام الاخرين الذين لهم علاقة بالبحر .

فمن هذه الايات الشريفة يتضح لنا مدى علاقة أهل الحجاز و مكة بالبحر وقوة صلاتهم وغزارة معرفتهم به .

ويقول الدكتور جواد على فى هذا الصدد : ولجزيرة العرب سواحل طويلة تحيط بها من جميع جوانبها الثلاثة ... وقد عرف أهل السواحل البحر وعركوه ، وعملوا على استغلال ثرواته قدر طاقاتهم ، وتعاملوا مع أهل السفن الذين كانوا يقصدونها من مسافات بعيدة ، وركب جمع منهم السفن للاتجار مع السواحل المقابلة لهم فباعوا فى أسواقها واشتروا . (١)

وفى الواقع أن مكة بالذات كان لها عظيم صلة بأمور البحر وبأهله فقد كان الحجاز جسرا يربط بلاد الشام وحوض البحر المتوسط باليمن والحبشة والصومال .. والسواحل المطلة على المحيط الهندى وكان لذلك أعظم الاثر فى قيام مدن تجارية

---

(١) جواد على ـ المفصل فى تاريخ العرب جـ ٧ ص ٢٤٤

بالحجاز تعتبر محطات تجارية واقعة على هذا الطريق البرى وفى قيام موانى تجارية بالحجاز مثل الشعيبة (*) فقد كان مرفأ أهل مكة . (١)

كما كان أهل مكة يقومون بدور الخفارة على التجارة البحرية المتجهة الى الشمال (٢) فكانت لهم علاقة مع أهل الشمال من غير العرب فقد سعى أهل بيزنطة للاستعانة بالقرشيين كوسطاء للتجارة الهندية . (٣)

وكانت مكة ذاتها تسعى للحصول على ضمانات لتأمين تجارتها البحرية مع الدول المجاورة لبلاد العرب (٤) وقد نجحوا فى ذلك مع بيزنطة (٥) وكانت على علاقة تجارية بحرية مع أهل مصر من قبل الاسلام . (٦)

وليست هذه العلاقات البحرية الحجازية قاصرة على أهل الشمال ، فقد كانت لمكة وأهلها علاقات بحرية قبل الاسلام مع أهل الحبشة أيضا .

فكانت مكة على اتصال وثيق ببلاد الحبشة ويدل على ذلك وجود طائفة من الصناع تعرف بالاحابيش أو عبدان مكة . (٧)

(*) الشعيبة : مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز والشعيبة كان مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جدة . وقال ابن السكيت : الشعيبة قرية على شاطىء البحر على طريق اليمن (ياقوت الحموى ـ معجم البلدان ج ٣ ص ٣٥١ بيروت ١٩٥٧ م)

(١) الازرقى : ابو الوليد محمد بن عبد الله ـ أخبار مكة ج ١ ص ١٠١ القاهرة ١٣٥٢ هـ جواد على ـ المفصل ج ٧ ص ٢٥٩

(٢) زيدان : جورجى ـ العرب قبل الاسلام ص ١٨٠ دار الهلال القاهرة

(٣) سالم : عبد العزيز ـ تاريخ العرب قبل الاسلام ص ٢٢٤ الاسكندرية ١٣٩٣

(٤) المصدر السابق ص ٢٢٤

(٥) المصدر السابق

(٦) المقريزى ـ الخطط ـ ج ٢ ص ٢٩

(٧) عبد العزيز سالم ص ٢٢٣

ولو أن البعض ينكر أن الاحابيش كانوا من أهل الحبشة ، الا أن المستشرق اليسوعي الاب لامانس يؤكد أنهم من الاحباش . (١)

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما رأى الحليس بن علقمة وهو سيد الاحابيش وقد أرسلته قريش للتفاوض مع الرسول يوم الحديبية قال (ان هذا من قوم يتألهون) ـ أى يتعبدون ـ ذكر ذلك الامام الطبري في هامشه . (٢) وهذا يعني أنه من غير بقية القوم . أى قريش .

وعن الاحباش عرف أهل الحجاز أيضا بعض الادوية . (٣)

واننا نلاحظ أن أثر هذه العلاقات الحبشية القرشية قد تجلى في الهجرة الى الحبشة ، فالمسلمون عندما اضطهدوا من قبل أهليهم الذين لم يصدقوا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لم يكن منهم الا أن لجأوا الى الحبشة .. فلماذا لم يلجأ أولئك العرب الا الى الحبشة ؟ .. ان تصرفهم هذا يعني أنهم ما أقدموا على الهجرة الى الحبشة الا وهم عارفون سبلها والطرق المؤدية اليها فهم لم يذهبوا الى بلد يجهلونه ولكن لابد أن تكون لهم به علاقات حسنة يستطيعون بواسطتها أن يهيئوا لانفسهم جوا هادئا آمنا فيه .. كما كانوا يعرفون حالة الامن فيها وعدالة ملكها ولذلك نصحهم الرسول بقوله (لو خرجتم الى أرض الحبشة فانها بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا) . (٤)

---

(١) د . العبادي : عبد الحميد ـ مجلة كلية الاداب عدد مايو ٢ ٥ مجلد ١ ج١ ص٩٥
(٢) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢٠٠ ، تاريخ الطبري ج ٢ ص ٦٢٨
(٣) البازري : أبو الحسن احمد بن يحيى ـ انساب الاشراف ج ١ ص ٦٤ ، القاهرة ٩٥٩ م
(٤) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٨٠

ولو لم يكن لاهل الحجاز عزيز صلة باهل الحبشة ، وعظيم قدر عند أهلها من الناحية الاقتصادية لما تجرأ القرشيون على تبليغ التهديدات للنجاشي بتسليمهم اللاجئين (المهاجرين) (١)

فأهل الحجاز كانوا على صلة دائمة بالبحر وأهله وكانوا أهل بحر وتجار بحر والا لما كانت هذه العلاقات البحرية البيزنطية القرشية الحبشية القرشية .. لو لم يكن لاهل الحجاز كبير المام بأمور البحر لما كان النصر المؤزر في معركة ذات الصواري التي حصلت في عهد عثمان وكان معظم جندها من الصحابة من مهاجرين وأنصار أي من أهل الحجاز .

أما الاقوال التي تذكر أن عرب الحجاز كانوا يخافون البحر معتمد بن على تردد عمر بن الخطاب في بادئ الامر في فتح مصر فليس لها أصل يعتمد عليه .. لان عمر لم يكن يخاف البحر بل كان التردد بسبب رغبته في دعم الجيش الاسلامي في بلاد الشام لمحاربة الروم فخشى عمر أن يوزع قوة المسلمين في جبهتين بعيدتين في وقت واحد . (٢)

أما رواية ابن خلدون التي ذكرها على لسان عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب بوصف البحر فليس لها ما يؤيدها من الواقع وخاصة وبعد ما سردنا من الادلة من آيات القرآن الكريم وآراء بعض من المؤرخين والجغرافيين ومما نلاحظه أن عمر بن الخطاب لم يكن بحاجة الى من يعلمه بشئون البحر وقد كان سفيرا لقريش في الجاهلية يذهب

---

(١) سرور : جمال الدين ـ الحياة السياسية في الدولة العربية ـ ص ٤٧

(٢) عثمان : حسين ـ البحر الاحمر كطريق تجاري في عهد البيزنطيين والعرب والمماليك ص ٦٨ القاهرة ١٣٥٨

الى الشام واليمن والحبشة مارا بالبحار المختلفة . كما أنه شارك فى غزوة تبوك حيث عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سكان خليج العقبة صلحا .

ولو كان عمر يخاف البحر لما طلب من عمرو بن العاص بعد الفتح اعادة فتح القناة القديمة التى كانت تصل القلزم ـ البحر الاحمر ـ بالنيل لارسال القمح الى الحجاز (١) ، فعمر هو اول من حمل الطعام فى السفن من البحر .

وهنا أيضا يسعفنا " بروكلمان " الذى نرد على افتراءاته بما يؤيد رغبة عمر فى فتح مصر وعلمه ببحارها وانهارها ، فقال : (بعث عمر بالزبير ، أحد أصحاب رسول الله المقدمين ـ على رأس قوة مؤلفة من خمسة آلاف رجل ابتغاء نجدة عمرو) (٢) .

ـ • ـ

(١) طبقات ابن سعد جـ ٣ ص ٢٨٢
(٢) بروكلمان ص ١٠٠

٥

أما عن الدولة (العباسية) فيذكر (حتى) فى حديثه عن البرامكة وقصة العباسة أخت الرشيد وزواجها الصورى من جعفر البرمكى ، ليحل له النظر وما أسفر عنه الزواج من انجاب طفل دون علم الرشيد ويجعل (حتى) هذه القصة سببا من أسباب النكبة فيقول :

(والسبب الذى يذكره المؤرخون عادة أن الخليفة الرشيد سمح لجعفر ، باعتباره نديما له ، بأن يتزوج اخته المفضلة العباسة دون أن يمسها ، ولكن الرشيد اكتشف بعد ذلك عندما حج أن العباسة قد ولدت سرا من جعفر غلاما وانها أخفته عند حواضن فى مكة) ، (*)

٥٥

وللرد على هذه الفرية ــ ونقول فرية لانه اشترك مع المفترين فى ترويجها دون التحقق فى مدى صحتها ــ نقول :

(*) حتى : فيليب ــ تاريخ العرب المطول ص٢٩٦ (انظر النسخة العربية المترجمة ص ٢٢)

ان قصة العباسة وزواجها من جعفر قد لاقت رواجا فى مجال الادب الرخيص وقد جعل كتاب القصة منها أساسا لقصصهم ومنهلا يستقون منه الخيال لكتابة القصص الغرامية الخرافية التى لا أساس لها من الصحة .. لا فرق بين عربى ومستشرق فنرى جورجى زيدان يكتب بالعربية فى كتابه (العباسة) ولا هارب بالفرنسية وفون هامار بالالمانية .[١]

وفى الواقع أن نكبة البرامكة قد أذهلت الناس خاصة أن الرشيد لم يذكر لها سببا حتى مات ودفن سره معه ،فهو القائل " لو أعلم أن قميصى يعلم ذلك لاحرقته "[٢]

فالسبب الرئيسى لنكبة البرامكة لم يستطع أحد أن يعرف حقيقته الى الوقت الحاضر .. وكل ما ذكر من أسباب ليس الا توهمات ،وتوقعات ،طرأت لدى البعض فأسند تلك الحادثة الى تلك التوقعات ،ويقول د . حسن الباشا فى ذلك " والاسباب المباشرة لهذا التحول وتلك النكبة غير معروفة على وجه التحقيق . كما أن دوافعه الكامنة أو الاسباب غير المباشرة وتفسيراتها ذكرت فيها آراء مختلفة[٣] بل أن معظم الذين ذكروا هذه القصة لم يؤكدوا صحتها مثل : الطبرى (فنراه يؤكد الاختلاف فى صحتها[٤] ويقول ابن كثير " ومن العلماء من أنكر ذلك "[٥] وكذلك بعض المؤرخين الذين يعرفون العراق وأخباره لقربهم من عهد الرشيد لا ذكر لها فى كتبهم مثل الدينورى .[٦]

(١) عبدالله عنان : محمد ــ تراجم اسلامية ــ ص ٢٠ ــ هامش الكتاب القاهرة ١٣٩٠هـ
(٢) ابن كثير جـ ١٠ ص ١٨٩
(٣) الباشا :حسن ــ دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ص٣٢ القاهرة ١٩٧٥م
(٤) الطبرى جـ ٨ ص٢٨٧ ــ تاريخ الطبرى .
(٥) ابن كثير ــ البداية والنهاية ــ جـ ١٠ ص١٨٩
(٦) الدينورى ــ الامامة والسياسة ــ جـ ٢ ص١٩٩ القاهرة ١٣٨٨هـ .

ويقول الجهشياري " قال عبيد الله بن يحيى بن خاقان : سألت مسرور الكبير وهو الذى قتل جعفر بيده بأمر من الرشيد ـ أيام المتوكل وكان قد عمر اليها ومات فيها ،عن سبب قتل الرشيد لجعفر وابقاء بالبرامكة فقال كأنك تريد ما تقول العامة فيما ادعوه من أمر المرأة ، فقلت له ما أردت غيره فقال : لا والله مالشئ من هذا أصل " .

وأبطلها ابن خلدون حيث قال : " انما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجابهم أموال الجباية " .(٢)

ويروى الجاحظ " ان مسرور الخادم قال : (أشهد بالله لكنت من الرشيد وهو متعلق بأستار الكعبة بحيث يمس ثوبي ثوبه ،وهو يقول فى مناجاته ربه " اللهم انى استخرتك فى قتل جعفر بن يحيى " ثم قتله بعد خمس سنين أو ستة ".(٣)

وفى العقد الفريد أن الرشيد شك فى البرامكة لفرية ما ، وكان قتلهم بعد ست سنوات من ذلك اليوم .(٤)

وذكر د . شاكر مصطفى " ان النكبة لم تكن بسبب ثورة طائفية ،ولكن اصرار الرشيد عليها منذ سنة ١٨٧ الى سنة ١٩٣ لايدع مجالا لمثل هذا الفرض.. فهم لم

---

(١) الجهشياري : أبوعبد الله محمد بن عبوس ـ الوزراء والكتاب ،القاهرة ١٣٥٧
(٢) مقدمة ابن خلدون ص ١٥
(٣) الجاحظ: أبوعثمان عمر بن بحر ـ التاج فى اخلاق الملوك ص٦٦ القاهرة ١٣١٢
(٤) ابن عبد ربه : احمد الاندلسي ـ العقد الفريد ـ ج ٣ ص ١٦٣ ـ بيروت دار الشروق .

يقتلوا جميعا فلم يقتل جعفر فقط ، وقد بقى منهم ومن أنصارهم فى السجون حتى موت الرشيد فلو كان الامر نزوات نفسية لسكنت هذه النزوات فى الست السنوات التى تلت النكبة ." (١)

فلو كان سبب القتل تدنيس شرف وهتك عرض لما انتظر الرشيد هذه الفترة التى تتراوح بين خمس سنوات وبين ست .. وكذلك أنكرها المحدثون من المؤرخين مثل محمد عبد الله عنان حيث يرجع النكبة الى استئثار البرامكة بكل سلطان فى الدولة ولا نراه يذكر شيئا عن قصة العباسة .. (٢)

واننا نقف مع (فيليب حتى) ومن سار فى ركابه فنقول أن هذه التهمة الخاصة بنكبة البرامكة عن طريق زواج العباسة واتصالها بجعفر سرا دون علم الرشيد قد ذكرتها بعض المراجع العربية نقلا عن روايات غير موثوق بها وقد انكرها بصورة قاطعة عدد كبير من المراجع والمصادر العربية الموثوقة ،فكانا لزاما على (حتى) وهو يكتب بطريقته العلمية الحديثة أن يستوعب ما قيل فى المراجع العربية حتى يمكن معرفة الحقيقة فى هذه القضية .

لكنه اعتمد على روايات لا أصل لها ،رغبة منه فى التشنيع على المسلمين والاساءة الى الاسلام فى شخص خليفة المسلمين هارون الرشيد .

ومن أجل ذلك نحمله مسئولية نشر هذه الفرية باعتباره يتحمل وزر نشرها دون التحقق من صحتها .

---

(١) د .مصطفى : شاكر ـ دولة بنى العباس جـ١ ص٤٦٦

(٢) محمد عبد الله عنان ـ تراجم اسلامية ص٢٤

هذا الذى ذكرناه يدحض هذه الغرية من الناحية النقلية ٠٠ ولو نظرنا الى المسألة من زاوية العقل والمنطق السليم ، لرأيناها متنافية مع الواقع والرشيد الرجل الفاضل الصالح الذى ذكر الرواه صلاحه وقوة ايمانه وانه كان يصلى فى كل يوم مائة ركعة الى أن مات ٠٠ ويتصدق من صلب ماله كل يوم بألف درهم ويحج عاما ، ويغزو عاما ٠٠ والرشيد الورع المتمسك بدينه والعالم ـ الفقيه ـ ذو الصحبة الفاضلة من أهل العلم ٠٠ يكفيه ذلك مانعا من أن يقدم على عمل مثل هذا بأن يمنع زوجا شرعيا من أن يتصل بزوجته ويجعله زواجا صوريا من الناحية الشكلية فقط ليجعل من ذلك وسيلة لجلوس العباسة مع جعفر فى مجلسه وهذا أمر تأباه الشريعة الاسلامية كما تأباه على حالته هذه الغيرة العربية ٠

وفى مجال التحقيق العلمى قد ابعدها المؤرخون المحدثون وبعض المؤرخين القدامى ، فلم يجدوا من الادلة ما يجعل هذه القصة ذات بال حتى يثبتوها فى كتبهم ونذكر من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر من القدماء القلقشندى فى كتابه "مآثر الانافة" وسيد أميرعلى فى كتابه " مختصر تاريخ العرب" ، واحمد الرفاعى " عصر المأمون " وجمال الدين سرور "تاريخ الدولة الاسلامية" وأسعد طلس وبوجينا غيانه فى كتابها " تاريخ الدولة الاسلامية " ٠

فنكبة البرامكة لاسباب بعيدة كل البعد عن مسألة العباسة ٠

ـ٠ـ

القسم الثانـــــي

بعض آراء (كارل بروكلمان) في التاريخ الاسلامي والرد عليها

الفصل الاول : بعض آراء بروكلمان في عصر الرسول (ص) والرد عليها

الفصل الثاني : بعض آراء بروكلمان في عصر الخلفاء الراشدين والرد عليها

الفصل الثالث : بعض آراء بروكلمان في عصر بني امية وبني العبـاس والرد عليها

٥٥

الفصل الاول

بعض آراء (بروكلمان) في عصر الرسول (ص) والرد عليها

١

يقول كارل بروكلمان عن الحجر الاسود وهو يتكلم عن الكعبة :

(وفي ركنها ـ الكعبة ـ الشرقي الحجر الاسود الذي هو بحق أقدم وثن معبود هناك) (*)

٥٥

أحب أن أبدا حديثي هنا بتعريف الوثن .. وهو كل قطعة من خشب أو حجر أو فضة ينحت ويعبد من دون الله ولم تكن له صورة . (١)

لعل هذا التصوير للوثن قد يكون هو الدافع لبروكلمان بأن يجعل الحجر الاسود من ضمن الاوثان التي تعبد ، وهو قد يعني بذلك أو يحاول أن يثبت وجود العبادة الوثنية في هذه البقعة من الارض الاسلامية والمعروف أن الوثنية والاسلام ديانتان أو عبادتان متباعدتان كل البعد عن بعضهما فالوثنية هي عبادة الاحجار

(*) بروكلمان : كارل ـ تاريخ الشعوب الاسلامية ص ١١ (انظر النسخة العربية المترجمة ص ٣١)

(١) ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ـ لسان العرب ـ ج١٢ ص ٣٤٩ بيروت ـ دار صادر

والاصنام المتعددة والاسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له وهذا مالا يخفى على عاقل ، فكتب التاريخ مليئة بتلك الحروب التى خاضها المسلمون ضد الوثنيين ، فكيف يكون فى أرض الاسلام ومنبته وثن أو عبادة وثن ، ومعلوم أيضا أن الاسلام قد سعى جاهدا فى محاربة الوثنية القرشية من بداية الدعوة وحطم أصنام قريش وازال أوثانها ودنس آلهتها المتعددة ، ولو كان الحجر الاسود أحد الاوثان لما أبقى عليه الاسلام .

فالحجر الاسود موجود مع وجود الكعبة ولم يتجه اليه أحد من العرب بالعبادة ولم يكن يوما من معبودات العرب فهو حجر لم تقدسه العرب ولهذا لم يعرف ضمن الاصنام ولا الاوثان التى كان العرب يعبدونها ومن أجل ذلك لم يأمر النبى بتحطيمه كما حطمت الاصنام والاوثان لانه لم يخطر على بال أحد من العرب أنه يعبد كما تعبد الاصنام والاوثان .

وكل ما فعله الاسلام هو أنه جعل الحجر فى منزلة الكعبة من التقديس فحيث يعظم البيت يعظم هذا الحجر .

وهو أمر تعبدى ليس للعقل فيه مجال وانما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم فوجب على المسلمين الاقتداء به .

ومن أجل ذلك قال عمر عندما قبله (والله انى أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك) .[1]

---

(١) النيسابورى : أبو الحسن مسلم بن الحجاج ــ صحيح مسلم ــ ج ٤ ص ٦٧ ــ دار الفكر ــ بيروت .

فليس كل حجر يوجد في بلاد العرب يعتبر معبودا لهم أو وثنا يعبد ،فهناك حجر في منى يرجم في الوقت الذي يقبل فيه هذا الحجر فلو كان الامر أمر حجر فقط لقدست جميع الحجارة في بلاد العرب •

لكن الذي نهى الله عنه هو ماكان معبودا لهم قبل الاسلام •

قال تعالى " فاجتنبوا الرجس من الاوثان " (١) " يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون " (٢)

ويذكر ابن الاثير أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما طاف بالكعبة يوم الفتح وكان عليها ثلاثمائة وستون صنما وكان بيده قضيب فكان يكسر به الاصنام وهو يقرأ (وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا) وأمر فأخذت وكسرت • (٣)

فلو كان الحجر الاسود منها لكسر معها ،كما أن العبادة والدعاء والطلب كانت لله ولم يحدث أن المسلمين قد طلبوا ودعوا الحجر الاسود في يوم من الايام لقضاء حاجة من حوائجهم بل لا يدعون ولا يلجأون الا الى الله عز وجل •

ولعلنا نقبل من (بروكلمان) عذره اذا اعترف بعجزه عن ادراك الحكمة الالهية لوجود الحجر الاسود • •وتقبيله • • لان عمر بن الخطاب على علو في مكانته وغزارة علمه وعمق تفكيره عجز عن ادراك هذه الحكمة وعبر عن عجزه بقوله (لولا أني رأيت رسول الله (ص) يقبلك ماقبلتك) • (٤)

---

(١) سورة الحج آية ٣٠

(٢) سورة المائدة ـ آية ٩٠ ـ

(٣) ابن الاثير ـ الكامل ج ٢ص ٢٥٢ ، ابن كثير ـ البداية والنهاية ج ٤ ص ٣٠١ ابن خلدون ـ ج ٢ ص ٤٤

(٤) صحيح مسلم ج ٤ ص ٦٧

وهذا هو الفارق بين عمر " نموذج الاهتداء " وبين بروكلمان "نموذج الادعاء "

روى ابن ماجة فى سننه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ليأتين هذا الحجر يوم القيامة وله عينان يبصر بهما ولسان ينطق به ،يشهد على من يستلمه بحق " .[1]

ويروى ابن ماجة أيضا عن عمر قال : " استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجر ثم وضع شفتيه عليه يبكى طويلا ثم التفت فاذا هو بعمر بن الخطاب يبكى فقال " يا عمر هنا تسكب العبرات " .[2]

أما عن أصله ومن أين أتى به فقد اتفقت معظم المراجع والروايات العربية على أنه ياقوتة نزلت من الجنة مع آدم عليه السلام وقد أودعها الله جبل أبى قبيس اثناء طوفان نوح عليه السلام[3] فيروى الترمذى فى سننه مايثبت ذلك عن ابن عباس قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (نزل الحجر الاسود من الجنة وهو أشد بيضا من اللبن فسودته خطايا بنى آدم) .[4]

وعن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولم يطمس نورهما لاضاءتا مابين المشرق والمغرب .[5]

---

(١) ابن ماجة جـ ٢ ص ٩٨٢

(٢) ابن ماجة جـ ٢ ص ٩٨٢

(٣) الازرقى جـ ١ ص ٣٢٩ ـ القرشى : جمال محمد بن ظهيرالله ـ الجامع اللطيف فى فصل مكة واهلها وبناء البيت الشريف ص ٣٣ بيروت ١٣٩٢ ، ابن احمد الضباع : محمد ـ تحصيل المرام فى اخبار البيت الحرام ـ (مخطوط) رقم ٦٨ ص ٥ ، ابن حسن العجيبى : على ـ تاريخ مكة والمدينة والطائف ـ مخطوط رقم ٦١ بمكتبة الحرم ق ٥

(٤) الترمذى : ابو عيسى محمد بن عيسى ـ سنن الترمذى جـ ٣ ص ٢١٧ القاهرة ١٩٦٥ م

(٥) المصدر السابق .

ويذكر الشيخ عبد الكريم بن محب الدين أن ابراهيم لما قام ببناء الكعبة انتهى الى مكانه فقال ابراهيم لاسماعيل ائتني بحجر أضعه هنا ليكون علما للناس يبتدون منه الطواف فذهب اسماعيل فى طلبه فجاء جبريل الى سيدنا ابراهيم بالحجر الاسود . [1]

وعلى كل حال ففكرة وثنية الحجر الاسود هى فكرة غريبة بثتها حركة الاستشراق فى كتب التاريخ الاسلامى وسعت لترويجها منذ زمن بعيد ولم يكن بروكلمان مبتدعا لها فقد سبقه اليها امثاله من المستشرقين مثل "درايكت" حيث يقول (الحجر الاسود وتقبيله من بقايا الوثنية القديمة) [2] بل ان البعض من هؤلاء المستشرقين يعد الكعبة نفسها وثنا من الاوثان .. مثل (بوشورت سمث) حيث يقول : (لكن المقدس الاكثر شهرة وقدما فى القطر كان هو الكعبة وكان يدعى بيت الله وكان مبنيا على هيئة مكعب ويشكل الالهة الحقيقية لجميع الجزيرة العربية) . [3]

فليس أبعد عن الحقيقة والرسوخ فى الظلم والبهتان من محاولة الصاق طقوس الوثنية بالاسلام أو مهادنته لعبدة الاوثان أو اعترافه بهذه الالهة .. فالحجر الاسود لم يعامل كوثن .. والمسلم يعتبره حجرا لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر

---

(١) ابن محب الدين الحنفى ـ: عبد الكريم ـ اعلام العلماء الاعلام ببناء المسجد الحرام مخطوط رقم ٩٣ ق ٧ مكتبة الحرم المكى .

(٢) G.M.Draigcatt, Mohamet founder of Islam London 1916 P.2

(٣) R.Bosuiath Smith, Mohommedan Mahnedanism , P.86

ولا يعتقد فيه أبدا ما يعتقده النصراني في "الايقونات" [1] ولقد كانت شعائر المسلم ومفتاح دخوله الاسلام منذ نزل على رسوله قوله تعالى " يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر " [2] وهى ثاني ما نزل من القرآن — شعار دخوله الاسلام قوله " لا اله الا الله محمد رسول الله " والرجز المأمور بهجره هو عبادة الاوثان والاشراك بالرحمن وكم حاول مشركوا مكة أن يجدوا تساهلا من الرسول صلى الله عليه وسلم تجاه آلهتهم ليكفوا عنه ، ساوموه على صلح أن يعبدوا الهه ويعبد آلهتهم فقال له ربه : " قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين " [3] [4]

—•—

(١) الايقونة هى كلمة يونانية تعنى الصورة أو التمثال — اشارة الى الصورة الموجودة في الكنائس — المنجد ص ٢٢ بيروت ١٩٦٠ .

(٢) سورة المدثر : آية ١ — ٤

(٣) سورة الكافرون

(٤) أحمد حمانى — مجلة جوهر الاسلام — العدد الخامس من السنة الخامسة ص ٤٤ ، انظر ابن هشام — السيرة النبوية ج ٢ ص ١٠

٢

ثم يتحدث بروكلمان عن مدى ايمان النبى صلى الله عليه وسلم بالله عز وجل فيقول :

(ان العقيدة فى الله كانت تملأ قلبه أكثر فاكثر وقد جعلته يرى أن الآلهة الاخرى لاوجود لها (باطلة) ولكن فى السنوات الاولى من دعوته لابد أنه اعترف بآلهات الكعبة الثلاث اللائى كان مواطنوه يعتبرونها بنات الاله . وقد وصفها فى احدى تجلياته كأنها كائنات عالية (غرانيق) ترجى شفاعتها) (*)

هذا رأى بروكلمان كغيره من الزنادقة الذين وضعوا هذه الفرية ومن شايعهم من المستشرقين الذين روجوا لها وسعوا جاهدين فى محاولتهم للطعن فى أهم دعائم هذا الدين ـ القرآن ـ ومحاولتهم أن يتسرب اليه الشك فى قلوب المسلمين حتى يضعف ايمانهم به مثل درايكوت . (١)

(*) بروكلمان : كارل ـ تاريخ الشعوب الاسلامية ـ ص ١٣ (انظر النسخة المترجمة ص ٣٤)

(١) انظر 9.M. Draycatt, OP,Cit, P83

اما نحن المسلمون فلا ينبغي لنا أن نقل هذا ، فمسألة الغرانيق مسألة مردودة ومكشوف قلدى كل باحث في هذا الباب ، فهي فرية واهية ، ذكرت في بعض كتب التفسير عند تفسير آية " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته "[1] .. وبعض كتب السير والتاريخ عند ذكرهم رجوع المهاجرين الاول من الحبشة[2] ، فما كان ينبغي لبروكلمان أن يعتمد على هذه الرواية بدون تحقيق .

ومناسبة هذه القصة عند مروجيها من المفسرين وتفسيرهم الخاطيء لآية " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في أمنيته " من سورة الحج ومن تبعهم من المؤرخين ، فيقول (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أعرض عنه قومه وشاقوه وخالفته عشيرته ولم يشايعه على ما جاء به تمنى - لفرط ضجره من اعراضهم ولحرصه وتهالكه على اسلامهم - ألا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقا الى استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنادهم ، فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة (النجم) وهو في نادي قومه وذلك التمني في نفسه فأخذ يقرؤها .. فلما بلغ قوله " ومناة الثالثة الاخرى - (القى الشيطان في أمنيته) التي تمناها أي ، وسوس اليه ما شايعها به ، فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط الى أن قال : " تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ."[3]

---

(١) سورة الحج - آية ٥٢
(٢) الحلبي : علي بن برهان الدين - السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٣٤ بيروت دار الفكر سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٢ .
(٣) الزمخشري - تفسير الكشاف ج ٣ ص ١٩ تفسير سورة الحج ، طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٨٨ ، الكامل لابن الاثير ج ٢ ص ٥٣

ثم بعد ذلك جاء جبريل ليستعرض معه سورة والنجم وبلغ الكلمتين (تلك الغرانيق العلى وأن شفاعتهن لترتجى) فقال له ما جئتك بهاتين [١] فاستدرك الرسول وحزن حزنا شديدا .. فقال واضعوا هذه الفرية أن الله أنزل عليه قوله تعالى " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته "[٢] فسروا كلمة (تمنى) فى الاية بمعنى (قرأ) وهذا مالا يوجد فى فصيح لغة العرب ثم حاولوا أن يدعموا رايهم هذا ببيت من الشعر وضعوه لهذا الغرض لا محالة وهو :

تمنى كتاب الله أول ليلة .. تمنى داود الزبور على رسل [٣]

وقالوا : أنزل عليه أيضا قوله تعالى : " وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا "[٤] فخاضوا فى هذه الفتنة وزعموا بأن هذه الوسوسة التى تمناها صلى الله عليه وسلم أنه سجد فى نهاية سورة النجم وسجد كل من كان فى النادى من مسلم ومشرك فقالوا ان الصلح تم بين الرسول ومشركى قومه ،واتخذوا من رجوع المهاجرين الى الحبشة دليلا على صحة دعواهم . [٥]

نقول : كان على بروكلمان أن يستعمل الاسلوب العلمى الحديث فى تفنيد هذه الرواية .

---

(١) طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٣٧ (٢) سورة الحج ـ آية ٥٢

(٣) ارجع فى هذه القصة وتفسير كلمة تمنى لكتاب " اباطيل يجب أن تمحى من التاريخ " للدكتور ابراهيم شعوط ص ٥٨ ـ ٦١

(٤) سورة الاسراء ـ آية ٧٣

(٥) تفسير القرطبى ـ ج ٦ ص ٨٠

هكذا قالوا .. **وهذه أدلتنا لتفنيد أباطيلهم :**

أولا سياق الايات فى سورة النجم : ان سياق الايات فى سورة النجم يجرى على نمط واحد وهو ذم وتحقير للاوثان والاصنام بدون انقطاع هكذا قال تعالى " أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الاخرى ، الكم الذكر وله الانثى ، تلك اذا قسمة ضيزى ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان أن يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ". (١)

فنرى أن موضوع الايات تحقير للالهة .. فكيف يجوز له فى القرآن أن يمجد هذه الالهة ثم يبالغ بعد ذلك فى تحقيرها والسخرية بها ؟ فاذا تجاوزنا المعنى الى الاسلوب لنقارن بين القرآن وبين ما قالوا (وان كانت المقارنة غير واردة) لرأينا عجبا ..

القرآن ببلاغته ـ فى ذلك التقطيع بين الجمل وتوافق الفواصل ـ وهذا الانكار الساخر وتلك المقابلة بين الذكر والانثى .. والتعبير بكلمة (ضيزى) عن القسمة غير العادلة .. وما فى الكلمات من موسيقى وأسلوبى القصر المؤكدان للفكرة ـ هل يتناسب ذلك السمو البلاغى المعجز فى آيات القرآن ـ مع هذا الزيف المسف الذى ادعوا كذبا أنه جزء من التنزيل ؟ (تلك الغرانيق العلا .... الخ) .

أليس من التناقض أيضا ـ قولهم " ان زعماء قريش قد سجدوا فى نهاية

---

(١) سورة النجم ـ آية ١٨ ، ٢٣

فالشيطان هنا شيطان الانس والضمير فى أمنيته عائد على الشيطان أى فى أمنيته نفسه ، ومفعول ألقى محذوف لفهم المعنى وهو الشر والكفر .. ومعنى فينسخ الله مايلقى الشيطان أى يزيل تلك الشبه شيئا فشيئا حتى يسلم الناس كما قال تعالى : " ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ". (١)

ثانيا وبعيد كل البعد بل مستحيل أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد غير فيما أنزل عليه من وحى .. تلاوة أو فهما .. قال تعالى : " ولو تقول علينا بعض الاقاويل ، لاخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين ، وانه لتذكرة للمتقين " (٢)

وقد وصفه الله تعالى بقوله : " وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى " (٣) وكما قال تعالى : "قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى أن أتبع الا ما يوحى الى أنى أخاف أن عصيت ربى عذاب يوم عظيم " (٤) فكيف بعد هذه الايات البينات يخطر على بال أحد من المنصفين أن يغير رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فيما أوحى اليه ، فضلا عن أن الموحى هو الشيطان الذى ليس له سبيلا على المؤمنين .

ثالثا لاتناسق ولا ترابط بين أطراف القصة المفتراه ، من الناحية الزمنية فسورة النجم صورة مكية والقصة التى نسجت حولها كانت مكة محيطها (٥) ، وآية

---

(١) بن حيان : محمد بن يوسف ــ تفسير البحر المحيط ــ جـ٦ ص ٣٨٠ ، ٣٨١ ــ بيروت ــ ١٣٩٨

(٢) سورة الحاقة ــ آية ٤٤ ــ ٤٧

(٣) سورة يس ــ آية ١٧ (٤) سورة النحل ــ آية ٣٥

(٥) الزركشى : بدر الدين ــ البرهان فى علوم القرآن ــ جـ ١ ص ٩٣ القاهرة ١٣٧٦

العزاء في نظرهم — " وما أرسلنا من قبلك من رسول " هي في سورة الحج وهذه السورة مدنية [1] بالاجماع ومع ذلك سمحت لهؤلاء المفترين سماجتهم أن يقولوا : ماقالوا .[2] فاذا كانت سورة الحج نزلت — كما زعموا — عزاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون العزاء بعد الحادث بسنوات وفي مكان غير المكان الذى نزلت فيه ؟ .. ؟

رابعا | وقول المؤرخين أن عودة مهاجري الحبشة كانت نتيجة هذا الصلح ونحن نقول لهم أن عودة المهاجرين من أرض الحبشة لم تكن بسبب ذلك الصلح المزعوم لكنها كانت لاحد احتمالين : اما لعلمهم باسلام عمر بن الخطاب ويقينهم بأن عمر سيكون شديدا على الكفار مثلما كان شديدا على المسلمين في كفره وفي هذا سند لهم وعون .. يمكنهم من أداء عباداتهم في طمأنينة وأمن .

واما أن تكون لتلك الثورة التى حصلت يومئذ على النجاشي بالحبشة وقد يكون من أسبابها ان لم يكن سببها الوحيد ما أبداه من عطف على المسلمين [3] وخير دليل على عدم وجود الصلح أنه لم يدخل أحد من المهاجرين مكة الا مستخفيا [4] بل عادوا الى الحبشة مرة ثانية وانضم اليهم عدد كبير من المعذبين الذين فروا بدينهم من قريش .

---

(١) المصدر السابق ص ١٩٤

(٢) احمد الحماني — مجلة جوهر الاسلام ص ٤٥

(٣) هيكل — حياة محمد ص ١٦٣

(٤) ابن هشام — السيرة النبوية ج ٢ ص ١٢

اذن لا صلة البتة بين مسألة الغرانيق وبين عودة المسلمين من الحبشة .

خامسا هناك سبب اخر ذكره المرحوم الشيخ محمد عبده حين كتب عن قصة الغرانيق فقال (ان وصف العرب لآلهتهم بأنها الغرانيق لم يرد في نظمهم ولا في خطبهم ولم ينقل عن أحد أن ذلك الوصف كان جاريا على ألسنتهم .. وانما ورد الغرنوق والغرانيق على أنه اسم لطائر مائي أسود أو أبيض ، والشاب الابيض الجميل ولا شيء من ذلك يلائم معنى الالهة أو وصفها عند العرب) . (١)

سادسا الفرية تتعارض مع العصمة النبوية ومع صفات النبوة وهي الصدق والامانة والتبليغ والفطانة .

ه ه ه

فبعد ما قدمنا من الادلة والبراهين على كذب هذه القصة التي جعل الشيطان سبيلا لوجودها في تاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم مع اننا قد عرفنا من القرآن الكريم أن الشيطان ليس له سبيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا على المؤمنين من منطوق هذه الاية " انه ليس له سلطان على الذين آمنوا " . (٢)

وقال تعالى " ان عبادي ليس لك عليهم سلطان " (٣)

وقال تعالى " وما تنزلت به الشياطين "

---

(١) هيكل ـ حياة محمد ص ١٦٥ ، انظر لسان العرب جـ ١٠ ص ٢٨٦

(٢) سورة الحجر ـ آية ٤٢

(٣) سورة الحجر ـ آية ٤٢

وأخيرا ، فكل ما تهدف اليه هذه القصة ويقصد اليه خصوم الاسلام هو أن يشككوا المسلمين فى الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه — القرآن الكريم — لانه اذا ثبت أن الشيطان قد وضع كلمة أو حرفا فانه ستصبح كل كلمة فى القرآن فى مظنة أنها من وضع الشيطان .. وحاشى لله أن يحدث ذلك .

—•—

٣

يقول بروكلمان فى التشكيك فى رسالة النبى صلى الله عليه وسلم :

(فكان يضج فى نفسه هذا السؤال : الى متى
يمدهم الله فى ضلالهم ، مادام هو عز وجل قد
تجلى آخر الامر للشعوب الاخرى بواسطة أنبيائه ؟
وهكذا نضجت فى نفسه الفكرة أنه قد يكون مدعوا
الى أداء هذه الرسالة .. رسالة النبوة ..
حتى أعلن ما ظن أنه سمعه كوحى من عند الله) (*)

٥٥

محمد الرسول - فى نظر بروكلمان - مدع - نضجت فكرة النبوة فى ذهنه ورأى نفسه صالحا لها وصدق نداء نفسه الداخلى وأعلن هذا الظن على الناس على أنه وحى من عند الله .

وقد تصدى للرد على بروكلمان عدد من كتاب المسلمين بوسائلهم وأساليبهم المختلفة .

فيقول الدكتور عمر فروخ فى هامش كتاب بروكلمان نفسه : (١)

(*) بروكلمان : كارل - تاريخ الشعوب الاسلامية - ص ١٣ (انظر النسخة العربية المترجمة ص ٣٦)

(١) بروكلمان ص ٣٦ هامش الكتاب .

(وما ذلك الا من قبيل التعصب الدينى المبنى على عداء سياسى ٠٠ انهم ينكرون أن يكون محمد ذا نبوة صحيحة بينما هم يقرون بهذه النبوة نفسها لجميع أنبياء بنى اسرائيل) ٠٠

كما يقول الشيخ الغزالى معلقا على نفس الموضوع :

" ونحن نتساءل هل هذا المستشرق ينكر الوحي جملة ؟ ان كان الامر كذلك فلا نبوات البتة ، وسقطت ديانته قبل أن تسقط الديانة التى يهاجمها ٠٠ وان كان يؤمن بالوحى ويصدق أنبياء اليهودية والنصرانية وحدهم قلنا له ماسر هذه التفرقة ؟ ٠٠ أهو تعصب لما ورثت عن آبائك وقومك ؟ لك ذلك - ولكن لانسمى هذا المسلك علما نزيها ولا بحثا محايدا ". (١)

لو أنكر بروكلمان نبوة محمد أو أراد أن يتجاهلها ٠٠ فلماذا لم ينكر غيرها من النبوءات ولماذا لم يتجاهل نبوءات بنى اسرائيل أو لان محمد لم يكن من بنى اسرائيل أو لان محمد أتى بكتاب كذب فيه افتراءات كتبهم وأبطل كل مافيها من حشو وضعوه هم بأيديهم من أجل اشباع رغباتهم وقضاء مطامعهم التى يزعمونها ٠

أم لأن محمد أتى بكتاب بقى هذه الفترة من الزمن وهى مايزيد عن ألف وثلاثمائة سنة دون أن يمسه شئ من التغيير وبقى معجزة اعترف بها العدو وقبل الصديق ، أم لان محمدا أتى بدين جعل من معتنقيه سادة على أهل الارض قرونا عدة ٠

---

(١) الغزالى : محمد - دفاع ضد مطاعن المستشرقين - ص ٢٣

أم كان لبروكلمان دليل قاطع على صحة نبوة عيسى وغيره من أنبياء بنى اسرائيل وصحة كتبهم ولم يكن لديه الدليل بذلك على صحة نبوة محمد . (١)

أم من أجل أن نبوءات بنى اسرائيل كانت خاصة وجاءت رسالة محمد عامة فحسدوها ولم يقبلوها من محمد صلى الله عليه وسلم.

أفمن أجل هذا لم يستطع بروكلمان أن يصدق نبوءة محمد أو أنه صدقها الا أن التعصب الدينى أو الدوافع السياسية هى التى أجبرته على هذا الادعاء من انكار نبوته صلى الله عليه وسلم .

ونحن حين نرد على بروكلمان لا نعتمد فى ردنا على القرآن الكريم لانه لا يؤمن به وانما نرد عليه بآراء بعض المستشرقين الذين لم يتاثروا بالتعصب الاعمى ثم نرد على اهل التوراة بما جاء فيها وعلى اهل الانجيل بما جاء فيه .. أما ردنا ببعض آراء المستشرقين فى هذا الصدد فهو كما يأتى :

١ ـ ذكر المستشرق جونسون عن حقيقة دعوته صلى الله عليه وسلم فى كتابه " الديانات الشرقية " فقال : وجاء بشريعة عامة اجتمع فيها ما تفرق من أنوار الهداية التى نزلت على قلوب الانبياء وهذه الرسالة هى الرسالة التى أداها بهمة وغيرة لا تعرف الانانية ـ فلو ادعاها لما كانت جلية الشأن حتى نفخت الحياة فى شعب غرق فى سباته وجمع بها شتات القبائل المتنازعة وخلق منها أمة يحدوها العمل ويطبعها بالنعيم الابدى).

---

(١) الغزالى : محمد ـ دفاع ضد مطاعن المستشرقين ـ ص ٢٣

٢ ــ ويقول اللورد هدلي أن رسالة محمد رسالة الاهية صادقة لاريب فيها هدى للمتقين أوحى الله بها اليه فجاءت مخففة لصرامة أحكام التوراة مكملة لكتاب المسيح .

٣ ــ ويقول (أرنست رينان)[1] في كتابه (تعليقاتي على تواريخ الاديان) لقد دلتني تحرياتي العلمية والتاريخية على أنه لا صحة مطلقا لما أريد الصاقه بالنبي محمد من كذب وافتراء مصدرهما بعض المباينات العرفية والعادات القومية التي أراد بعض المتحاملين أن يتوجهوا بها الى الناحية التي تشفي سقام أذهنتهم الوقحة وتعصبهم الذميم " .

٤ ــ ويذكر المستشرق الانجليزي (هزج ويلز) " ان من أرفع الادلة على صدق محمد كون أهله وأقرب الناس اليه يؤمنون به فقد كانوا مطلعين على أسراره ولو شكوا في صدقه لما اتبعوه " .

٥ ــ أما الشاعر الفرنسي (لامارتين)[2] فيقول عن صدق دعوته أن حياة مثل حياة محمد وقوة كقوة تأمله وتفكيره وجهاده وثباته .. ان كل ذلك أدلة على أنه لم يكن خداعا أو يعيش على باطل .. ومؤسس دين لا فرية فيه .. وفاتح دولة في السماء من ناحية الروح والفؤاد .

---

(١) فيلسوف فرنسي دخل المدارس اللاهوتية ، وتضلع في اللغات الشرقية ، رحل الى لبنان ، عني بالعقائد الاسلامية ، ذكر له ثمانية وسبعين كتابا ، وقال لولا ابن رشد لمافهمت فلسفة ارسطو . من اثاره تاريخ اللغات السامية تاريخ الاديان ، تقدم الاداب الشرقية (العقيقي جـ١ ص٢٠٢)

(٢) شاعر وروائي فرنسي ولد ١٧٩٠ وتوفي ١٨٦٩ اشغل مناصب سياسية كثيرة كان يؤمن بمبادئ الديمقراطية والعدالة الاجتماعية والسلام العالمي واصبح رئيسا للحكومة المؤقتة بعد ثورة فبراير . من اثاره اعترافات صدر في ١٨٤٩م ، رواية جرازيلا ١٨٤٨م ، سقوط الملاك ١٨٣٨م ، (الموسوعة العربية الميسرة ١٠٤٣)

٦ ــ وللفيلسوف الروسى (تولستوى) [1] رأى فى صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اذ يقول ٠٠ ويكفيه فخرا أنه هدى مئات الملايين الى نور الحق ٠٠ الى السكينة والسلام وفتح للانسانية طريقا للحياة الروحية العالية وهو عمل عظيم لا يقوم به الا شخص أوتى قوى والهاما وعونا من السماء ٠) [2]

هذه طائفة من اراء بعض المستشرقين الذين شهدوا بالحق وأدركوا بالبراهين الواضحة صدق رسالة النبى صلى الله عليه وسلم ٠

٥٥٥

ويبقى لنا أن نرد على أهل التوراة بما جاء فى توراتهم ونرد على أهل الانجيل الذين منهم بروكلمان بما جاء فى انجيلهم أن كان يؤمن بما فى الانجيل ٠

وأما ردنا على اهل التوراة فهو كما يأتى :

فى التوراة

ورد فى سفر ملاخى فى الاصحاح الثالث عدد "١" من النسخة المحفوظة لدى اليهود نقلا عن الاستاذ محمد الطهطاوى " ها أنا سوف أرسل رسولى فيعزل طريقا بحضورى وحينئذ يأتى الى هيكله الولى الذى أنتم تلتمسون ورسول الختان الذى أنتم راغبون هو ذا آت قال الله رب الجيوش ". [3]

---

(١) روائى وفيلسوف روسى ، ولد سنة ١٨٢٨ وتوفى ١٩١٠ م التحق بالجيش سنة ١٨٥١ م ، مر بازمة روحية كانت نتيجتها ارتداده الى الايمان بالمحبة المسيحية ، اثاره الطفولة / الصبا / الشباب / وملحمة سماها الحرب والسلام وله كتابا آخر اسماه البعث ــ سنة ١٩٠٠ م (الموسوعة العربية الميسرة ٥٦١) القاهرة

(٢) ميخائيل : بشرى زخارى (محمد رسول الله هكذا بشرت به الاناجيل)ص ٤٦ ــ ٥٤

(٣) الطهطاوى : محمد عزت اسماعيل ــ محمد رسول الله فى التوراة والانجيل والقرآن ص ٢٧ القاهرة ١٩٧٢ ٠

والمقصود برسول الختان هو محمد بن عبد الله . [١]

في الانجيل

وردنا على أهل الانجيل بما جاء في انجيلهم ، فان انجيل يوحنا جاء فيه قوله " وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية من ذاك يمجدني لانه يأخذ من مالي ويخبركم " . [٢]

وهذه اشارة وبشارة للرسول عليه الصلاة والسلام حيث لم يأت نبي يمجد المسيح الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو الذي مجد المسيح واعترف به .. هذه البشارة تعني بأن الرسول الذي سيأتي بعد المسيح لا يختلق ما يقوله لانه أمي لا يقرأ ولا يكتب ولكنه لا يتكلم الا بما يلقى عليه من وحي وانه سيخبر بأمور آتية .. وقد تحقق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام مثل قوله تعالى : " غلبت الروم في أدنى الارض " .

هذا هو محمد بن عبد الله في كتبهم وحسب آراء كتابهم ومؤرخيهم ، فلم يبق بعد ذلك مجال لتصديق ما زعموه بعد ما ذكرنا من الادلة ومن نصوص التوراة والانجيل .

-.-

---

(١) المصدر السابق
(٢) انجيل يوحنا اصحاح ١٦ عدد ١٣ـ ١٤

٤

يقول كارل بروكلمان :

(وليس يجوز أن نطلق الحكم على دين محمد على أساس القرآن وحده طبعا ٠٠ وليست المسألة مسألة نظام مرتب ، اذا لم تكن الدقة والتماسك الفكرى أقوى جوانبه على الاطلاق ولم يكن علمه الفكرى من ابداء الخاص الا الى حد صغير ، فقد انبثق فى الدرجة الاولى عن اليهودية والنصرانية فكيفه محمد تكييفا بارعا وفقا لحاجات شعبه الدينية ٠) (*)

٥٥

فى عبارة بروكلمان تناقض واضح ـ فصدرها يناقض عجزها كيف لا يكون التماسك الفكرى والدقة قوية فى القرآن ٠٠ بينما يكون محمد صلى الله عليه وسلم قد كيف معلوماته عن اليهودية والنصرانية تكيفا بارعا ، أليس من المنطق ان يكون القادر على تكييف معلوماته تكييفا بارعا قادرا أيضا على تحقيق الدقة ٠٠ والا فكيف يكيفها ؟

(*) بروكلمان : كارل ـ تاريخ الشعوب ـ ص٣٢ (انظر النسخة العربية المترجمة ص٦٨) ٠

فاذا تجاوزنا ذلك التناقض لترد على الشطر الاول من الادعاء لوجدنا أنــه ادعاء غير قائم ، فالذين يمكنهم القول بهذا هم القادرون على فهم البلاغة فهمــا صحيحا يؤهلهم للتصدى لهذه القضية الخطيرة .. قضية النقد الادبى .. وليس بروكلمان منهم لأن ثقافته العربية ثقافة غير أصيلة .

ماذا يقصد بالتماسك الفكرى ؟ .. هل الفكرة مهلهلة ؟ .. لا يجمعهــا جو نفسى واحد ؟ .. أينتقل الفكر القرآنى من موضوع الى موضوع آخر قبل اكمالــه ؟ ماذا يعنى بالدقة ؟ .. أليس الاخبار فى القرآن مطابقا لما حدث وأخبر به ومطابقــا لما لم يحدث وأخبر به قبل حدوثه ؟ .. ما المقصود بالدقة ؟ ..

أسئلة كثيرة تتوارد على ذهن السامع لان العبارة عامة ليس لها مفهــوم معين حتى نركز عليه فى الرد تركيزا مباشرا .

لو أن هناك نقاطا محددة وأمثلة معينة لفصلنا القول فيها ردا وتفنيدا أمــا ان عالمه الفكرى وما شرعه من الاحكام قد انبثق عن اليهودية والنصرانية وهو الشطــر الثانى من العبارة فهذا أيضا قول غريب .. لان الاديان جميعها واحدة فى جوهرهــا .. دعوة الى التوحيد .. ودعوة الى الاصلاح .. فاذا تشابهت اليهودية والنصرانية مع الاسلام فهل فى هذا التشابه ما يدعو الى العجب ؟ أليس الله وحده صاحبها وهــو الذى أرسل رسله مبشرين وهل يجوز لنا أن نقول أن دعوة المسيح عليه السلام انبثقــت عن دعوة موسى عليه السلام .

وبقول الشيخ الغزالى فى هذا الصدد : ان محمدا الذى قدم للعالم أنفــس

العقائد والشرائع فى أرقى أسلوب وأنصع بيان ، لو كان أتى بهذا الدين من عند نفسه لا من عند الله لكان معنى هذا أن البشر أقدر على صنع الاديان من رب البشر والا كيف يتصور أن القرآن ومحتوياته عمل انسانى ، وان العهدين القديم والجديد عمل الهى . (١)

ويقول الاستاذ أحمد محمد جمال (على أنه لاضير أن يتفق الاسلام فيما جاء به قرآنا وسنة مع الديانات السابقة ، فى الاصل الاصيل لكل ديانة سماوية ، وهو التوحيد أو فيما ندعو اليه من مكارم الاخلاق) . ثم يستطرد ويقول (ولكن الشمول والسعة والاحاطة بكل حاجات البشرية ومصالحها على مدار الزمن ، وفى كل الاوطان ، ولكل بنى الانسان ، قد انفرد بها الاسلام من دون الاديان الاخرى بلاجدال) .(٢)

اذا ان ماجاء به محمد من شرع ليس من صنعه ولم يأخذه من اليهودية أو النصرانية حتى يكيفه حسب ما يراه من ظروف ترضى عنها اليهود والنصارى وغيرهم ممن لا يدينون بالاسلام ليرضى به قومه .

انما ينهج محمد فى أقواله وافعاله منهجا حميدا رسمته له السماء ونزل به جبريل .. صداقا لقوله تعالى : " أن اتبع الا ما يوحى الى " .

---

(١) الغزالي : محمد ـ دفاع عن العقيدة ص ٣٥
(٢) جمال : أحمد محمد ـ مفتريات عن الاسلام ـ ص ٣٦

ثم يدعى بروكلمان ان الرسول كيف تشريعه للصيام ليرضى به اليهود أو أنه اقتبسه من احدى الفرق الدينية مثل الغنوصية فيقول :

(غلبت على الاهتمام الديني للنبي في الاوقات الاولى من اقامته في المدينة علاقته باليهود ، ولا بد أنه كان يأمل بوصوله (الى المدينة) ان يدخلوا في دينه ، لذلك حاول ان يوفق بين شعائر شيعته في كثير من المسائل وبين شعائرهم فقد شرع صيام عاشوراء في اليوم العاشر من المحرم حسب صيام اليهود في يوم الغفران في اليوم العاشر من شهر تشرين . ولكنه أضاف الى ذلك صوما لا يزال معمولا به حتى اليوم وهو صوم شهر رمضان بكامله ، وهو الشهر التاسع من السنة القمرية ، وليس من الواضح اذا كان قد اقتبس هذه الفريضة من أحد الفرق الغنوصية)(*) (١)

٥٥

وللرد على ذلك نقول :

الصيام فريضة قديمة عرفتها كل الامم وكلفت بها كل الاديان .. قال تعالى :

(*) بروكلمان ـ تاريخ الشعوب ص ٢٠ ـ (انظر الترجمة العربية ص٤٨)

(١) الغنوصية هي حركة فلسفية ودينية ، نشأت في العصر الهلينيقي وأساسها ان الخلاص يتم بالمعرفة اكثر مما يتم بالاعمال الخيرة والايمان ، وتأثر بالغنوصيين بعض الفرق اليهودية مثل الاسنيين كما انها اثرت في المسيحية فحملتها على تحديد العقيدة ومحاربة الهرطقة ، الا ان أمرها انتهى باد ماجها في المانيوية (الموسوعة العربية الميسرة ص ١٢٥٨)

" يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون "[1]
فالصيام عبادة مفروضة على جميع الاديان وصوم عاشوراء كان معروفا لدى العرب قبل الاسلام .. روى البخارى [2] بسند عن عائشة أن قريشا كانت تصوم يوم عاشوراء فى الجاهلية وقد أمر الرسول بصيامه فى مكة .. وعندما انتقل الى المدينة كان صيام عاشوراء معروفا لديهم أما صيام رمضان فقد فرض فى المدينة عندما قويت جذور الاسلام ووضحت وانتقل من مرحلته الاولى الى مرحلته الثانية بعد أن استقر الاسلام وقويت شوكته ثم فرض الصيام على المسلمين ليعلمهم التقوى كما فرض على الذين من قبلهم ، وأى غرابة فى فى أن يقر الاسلام مبدأ روحيا فيه طهارة للنفس وزكاء للفرد .

أما صوم رمضان فقد تنزلت فيه آيات الكتاب " شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه " هذا نص الكتاب الاسلامى .. فمحمد عليه السلام منفذ لما نزل عليه وليس مقتبسا من الديانات الاخرى .. ثم ان الصيام لم يكن من ضمن العبادات الفارسية التى زعم بروكلمان أن الرسول اقتبس منها الصيام . [3] فمن أين جاء بروكلمان بهذه الدعوى ـ دعوى اقتباس الرسول عباداته من أحد الفرق الفارسية .

ثم ما هو الهدف الذى يهدف اليه الرسول صلى الله عليه وسلم والذى من أجله سعى الى ادخال عبادة ليست موجودة فى شرعه أمن أجل أن يدخل نفر من اليهود كانوا يعلمون من كتابهم ما دعاهم اليه ، فكل جهاده معهم هو أن يردهم

---

(١) سورة البقرة ـ آية ١٨٣
(٢) البخارى ـ كتاب الصيام جـ ٢ ص ٢٢٦
(٣) الشهرستانى : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ـ الملل والنحل ـ جـ ١ ص ٢٤٤ القاهرة ١٣٨٧ .

الى كتابهم سواء كانوا يهودا أو نصارى لانهم اذا آمنوا بما فى كتبهم فسيوصلهم ذلك الى الايمان به من غير أن يحتاج الى استمالتهم بشىء جديد يدخله فى دينه وهم قد أمروا أن يفتحوا التوراة والانجيل ويعملوا بما فيها كما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبين لهم ما حاولوا اخفائه من كتبهم مصداقا لقوله تعالى :

" يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب وما انزل اليكم من ربكم " .

" قل يا أهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والانجيل " (٢)

٥
٥٥

---

(١) سورة المائدة — آية ١٥
(٢) سورة المائدة — آية ٦٨

ويقول بروكلمان :

(بينما كان محمد واصحابه يصلون فى مكـــة مرتين فقط وفى المدينة ثلاثة مرات ، قضت الشعائر المتأخرة تحت تأثير فارس بأن تكون خمسة مواعيـد للصـــلاة) . (*)

ه ه

وبروكلمان يستمر فى تسطير الاباطيل دون أن يعتمد على دليل ويسجل علـــى نفسه تعصبا مقيتا ضد الاسلام .. ولا يكتفى بالخلط فى العبادات عند الصوم بـــل يتجاوز ذلك الى الصلاة فيدعى أن محمدا اقتبس الصلوات الخمس من الفرس .

الصلاة معروفة عند العرب من قبل مجىء الاسلام والمقصود بها الدعاء (١) فلا داعى لاقتباسها من الغير ، ولما جاء الاسلام فرض على اتباعه صلاتين فى مكة وكانـــت قاصرة على ركعتين بالغداة وركعتين بالعشى ، والى ذلك الاشارة الى قوله تعالـــى " وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار " (٢) كما فهمه بعض المفسرين (٣) وظلـــت على هذا الوضع حتى حدث الاسراء والمعراج وهو قبل الهجرة حيث فرض الله علـــى عباده المسلمين الصلوات الخمس ، وقد فرضت فى مكة ولم تفرض فى المدينة فى أوقات متأخرة كما زعم بروكلمان .

(*) بروكلمان ـ تاريخ الشعوب ص٦٣ (انظر النسخة المترجمة العربية ص٤٧)
(١) الخضرى ـ تاريخ التشريع ص٣٥
(٢) سورة غافر ـ آية ٥
(٣) الخضرى ـ تاريخ التشريع ـ ص٣٧

وقد تناول الرد على بروكلمان فى هذا الموضوع الاستاذ أحمد الحمانى ، يقول (ان بروكلمان لا يجهل أن المسلمين كانوا يصلون بمكة خمس صلوات فى اليوم والليلة ، فقد فرضت الصلوات الخمس بمكة ليلة الاسراء والمعراج ونزل فرضها فى قوله سبحانه " فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون " والاية من سورة الروم وهى بالاجماع سورة مكية .. فما الذى يحمل بروكلمان على تزوير التاريخ وتشويه الحقائق ؟ .. وانه يحاول أن يهاجم الايمان فى صدور ابنائنا ليزعزع العقيدة ويتركهم مذبذبين) . (١)

فمن أين عرف بروكلمان أن الرسول أخذ الصلاة عن الفرس أو المجوس بعدما اتضح أنه لم يعرف ما عند المسلمين .. فلا هو عرف ما عند المسلمين ولا عرف ما كان عند الفرس لانهم مجوس عبدة نار ، ليس لهم عبادة تذكر كالصلاة . (٢)

-.-

---

(١) الحمانى : احمد ـ مجلة جوهر الاسلام ص ٤٨
(٢) انظر الشهرستانى ص ٢٣٣ ج ١

٥

وحينما يتحدث بروكلمان عن العقيدة نراه يتطرق للايمان باليوم الاخر ويعطى ذلك اليوم وصفا مجملا حسب ما ورد فى القرآن ثم بعد ذلك يحاول أن يعطى للمرأة صورة مشوهة عن نصيبها فى ذلك اليوم حتى يتمم الصورة التى رسمها امثاله الذين أعطوا للمرأة المسلمة تلك الصورة المشوهة لمكانتها فى الاسلام بالنسبة للرجل فى الحياة الدنيا ٠ولكن بروكلمان جاء ليتم هذه الصورة فى الحياة الاخرة فقال بعد وصفه مباهج الجنة :

(ومباهج الجنة هذه ــ كما هو واضح ــ
تتوجه الى خيال الرجال دون غيرهم ــ النساء) (*)

٥٥

والحقيقة أن الله عز وجل حينما وصف الجنة وعد بها الذين آمنوا عامة ولم يخص بها الرجال دون النساء ٠٠٠ وانما وضع لها قاعدة واضحة المعالم قال فيها " من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون " . (١)

(*) بروكلمان ــ تاريخ الشعوب ــ ص ٣٥ (انظر النسخة العربية المترجمة ٧٢)
(١) سورة النحل ــ آية ٩٨

قال تعالى " من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن " ..

وعلى هذه القاعدة كان الوعد القرآني بالجنة للذين آمنوا ، من الرجال والنساء على السواء .. فالوعد والخطاب للكل وللجميع ولم يقصد النداء القرآني ان الذين آمنوا هم الرجال فقط ، لكن الذين آمنوا من رجال وأناث .

هذه طبيعة اللغة العربية ، فاذا كان الجمع خليطا من ذكور وأناث كان النداء والتحدث لهم بصفة جمع الذكور من باب التغليب وهذا ما غاب عن بروكلمان أستاذ اللغة العربية وآدابها .

القرآن لم يخص بلفظ (الذين آمنوا) الرجال دون النساء بالنسبة لمتاع الآخرة .

كما أود أن أوضح في الرد على بروكلمان أن القرآن قد أوضح في بعض الايات التي تبين أن نعيم الجنة لا يكون قاصرا على الرجال دون النساء بل ان المرأة والرجل مشتركان في المتاع بمباهج الجنة اذا كانوا مؤمنين ولكن هذا المتاع مبني على العمل .

قال تعالى :

" يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم " .[1]

---

(١) سورة الحديد – آية ١٢

" ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ". (١)

" جنات عدن يدخلونها ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ". (٢)

" الذين امنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ، أدخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون " (٣)

" ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون ، هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون ". (٤)

من هذه الايات القرآنية يتضح أنه لا فرق بين الرجال والنساء فى نعيم الجنة ..

أما قوله أن الله قد وعد الرجال بمصاحبة حور العين (٥) ، ولم يعد النساء بمصاحبة الرجال فهذا بديهى من الناحية الاخلاقية فطبيعة المرأة وحياؤها وخجلها الذى فطرت عليه بانسانيتها جعل من غير المعقول أن يعدهن بوعود مثل هذه من أمور الجنس كما أن العرب لم تتعود ذلك فى طبائعها ومن البديهى أن يكون القرآن نموذجا للخلق وقدوة للخلق ، فالمرأة بطبيعتها التى فطرها الله عليها تستحى ، وتخجل من سماع ذكر هذه الامور .

(١) سورة النساء آية ١٢٤ (٢) سورة الرعد آية ٢٣
(٣) سورة الزخرف آية ٦٩ ــ ٧٠ (٤) سورة يس ــ آية ٥٥ ، ٥٦
(٥) بروكلمان ــ تاريخ الشعوب ص ٣ انظرا لنسخة المترجمة ص ٧٢

كما أن الحور العين التى وعد الله عباده الصالحين بهن فى الجنة قد يكن هن نساء الدنيا فيخلقهن الله تبارك وتعالى خلقا جديدا فيصبحن هن الحور العين الموعود بهن الرجال الصالحون من أزواجهن أيضا .(١)

كما أن بروكلمان لما لجأ الى التفرقة بين الرجال والنساء فى الوعد بالجنة وقال ان الوعد بالمتاع بالجنة فى الاخرة كان موجها الى الرجال دون النساء لم يقل ان الوعيد بالعذاب لمن كذب فى الاخرة للرجال دون النساء ، أليست الاداة واحدة بالنسبة للوعد والوعيد مثلما قال الحق "الذين آمنوا " ، " الذين عملوا الصالحات " بالنسبة للوعد قال " الذين كفروا والذين لا يرجون لقاء ربهم " وغير ذلك بالنسبة للوعيد ،فلماذا لم يقل أن الوعيد بالنار كان موجها للرجال دون النساء ،أم أنه أظهر صورة وأخفى غيرها حتى يبلغ هدفه .

-.-

---

(١) تفسير الخازن جـ ٤ ص ١١٤

الفصل الثانـــي

بعض آراء (بروكلمان) في عصر الخلفاء الراشدين والرد عليها

١

ويتحدث بروكلمان عن الاحداث التي جرت في عهد خلافة أبي بكر الصديـــق ويتناول حركة الردة التي تعرضت لها شبه الجزيرة فيقول :

(بيد أنه لم تلبث أن اجتاحت بلاد العرب بأكملها روح الردة ولم يكن للدوافع الدينية فــي ذلك دور يذكر ، وانما أريد فقط التخلص مـــن سيادة المسلمين غير المربحة في المدينة) . (*)

ءء

ان بروكلمان لو كلف نفسه شيء من العناء ودرس أسباب الردة وظواهرهـــا لوجد ان أقوى الدوافع وأخطرها ، كانت متركزة على الناحية الدينية ، وسنبين ذلك للقارىء فيما يأتي :

---

(١) بروكلمان ــ تاريخ الشعوب ــ ص ٤١ انظر الترجمة العربية ص ٤٨)

دوافع الـــــردة

(١) الرغبة في التحلل من قوانين الدين الاسلامي والرجوع الى الاباحية الجاهلية :

وهذا الذي عناه بروكلمان في قوله سلطة المسلمين الغير مريحة ، فالمرتدون عندما رغبوا في التخلص من الدين الاسلامي وقيود الشريعة الاسلامية ، الرجوع الـــى شهواتهم والى التمادي في ارتكاب المنكر وممارسة الحياة الحيوانية التي كانـــــوا يعيشونها كل ذلك لانهم لم يعرفوا الاسلام على حقيقته ، ولم يعرفوا حقيقة الرسـول ولا جوهر الدين الذي أتى به ولم يعرفوا فوائده وأهدافه .. هذا كله بسبب بعدهـــم عن منبعه ولذلك كان ايمانهم به ضعيفا .. وذلك في قوله تعالى :

" قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فـــي قلوبكم ، وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم ، انمـــا المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيـل اللــه أولئك هم الصادقون ". (١)

فهؤلاء الاعراب الذين كان ايمانهم سطحيا صعب عليهم ترك ملاذ الدنيـــا وشهواتهم وسعوا جاهدين في التخلص من الدين حتى يتمتعوا ويعودوا الى ماكانـــوا عليه مبتعدين عن أى قانون يطبق عليهم أو يمنعهم مما يرغبون فيه . ولا يتم لهم ذلـــك الا بابتعادهم عن السلطة المركزية الموجودة في المدينة وانهم يعرفون تمام المعرفـــة أن السلطة الدينية الموجودة في المدينة هي سلطة سياسية أيضا فالسياسة والديـــن

---

(١) سورة الحجرات ــ اية ١٤

لايكاد ينفصل أحدهما عن الاخر عند المسلمين فسعوا للتخلص من الناحية السياسية حتى يتمكنوا بعد ذلك من التخلص من القيود الدينية .

وهذا ما ذكره كثير من المؤرخين فقد أوجد الاسلام نظما دينية وسياسية ونظما اجتماعية وخلقية كانت هذه النظم جديدة على العرب لم يألفوها فى جاهليتهم فكان من الصعب على كثير منهم أن يخضعوا لها . (١)

(٢) ردة من أجل المال — وهو سبب دينى أيضا :

وهذا الفريق من المرتدين فهموا — لجهلهم حقيقة الاسلام — ان الزكاة انما كانت تدفع لمحمد علامة على خضوعهم له من الناحية السياسية ولم يعرفوا حقيقتها فى الاسلام وكيف انها تؤخذ عن أغنيائهم لترد على فقرائهم سعيا الى تحسين الاوضاع الاجتماعية لديهم ولم يعرفوا أن الزكاة لم توزع بعيدا عنهم ، لكنها توزع بين أفراد القبيلة نفسها .

وهذا مايظهر من قول قرة بن هبيرة لعمرو بن العاص (لا ياهذا ان العرب لاتطيب لكم نفسا بالاتاوة ، فان أعفيتموها من أخذ أموالها فستسمع) . (٢)

ولم يفهم البعض قوله تعالى " خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم " (٣) وقالوا لسنا ندفع زكاتنا الا الى من كانت صلاته سكنا لنا " (٤)

---

(١) الخربوطلى : على حسن — الدولة العربية الاسلامية — ص ٦٥ القاهرة ١٩٦٠
(٢) الطبرى ج ٣ ص ٢٥٩ ، ابن الاثير ج ٢ ص ٣٥٢ .
(٣) سورة التوبة — اية ١٠٣
(٤) ابن كثير — البداية والنهاية ج ٦ ص ٣١١

وارادوا بذلك أن الزكاة كانت محصورة على شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام وهذا خطأ فاحش .

وقد أوجدت هذه الفرقة من المرتدين حركة فى المدينة ، اذ قام بعض المؤمنين يقولون بعدم قتالهم وهذا كان رأى عمر رضى الله عنه أنه لا داعى الى قتال مانعى الزكاة وقال لابى بكر علام نقاتل هؤلاء ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (امرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فان قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها) [١] فقال ابو بكر والله لو منعونى عناقا وفى رواية عقالا كانوا يؤدونها الى الرسول لقاتلتهم على منعها ؟ [١] وقال والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال . [٢] ثم قال أبو بكر لعمر : الا بحقها وحق الشهادة اداء بقية الفرائض .

وكان رأى ابى بكر هنا أن الغاء ركن من أركان الاسلام يعنى هدما للاسلام فلو تساهل ــ رضى الله عنه ــ فى ركن من اركان الاسلام لضاعت بقية أركانه ولتهدم بنيانه وقد استبان ذلك فيما بعد للقائلين بعدم قتال مانعى الزكاة ، فقال عمر ــ رضى الله عنه ــ فوالله ماهو الا أن قد شرح الله صدر أبى بكر رضى الله عنه فعرفت أنه الحق [٣] وقال عبد الله بن مسعود لقد قمنا بعد رسول الله مقاما ــ بالنسبة لقتال المرتدين ــ كدنا نهلك فيه لولا أن الله من علينا بأبى بكر . [٤]

---

(١) الطبرى ج ٢ ص ٢٤٤ ، ابن الاثير ــ الكامل ج ٢ ص ٣٤٤ ، ابن كثير ج ٦ ص ٣١١

(٢) ابن كثير ــ البداية والنهاية ج ٦ ص ٣١١

(٣) ابن كثير ــ البداية والنهاية ج ٦ ص ٣١١

(٤) ابن الاثير ــ الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ٣٤٢

(٣) الخوف من سيطـرة قريـش :

بعد ما انتقل الرسول الى جوار ربه فكر الذين لم يتمكن الايمان فى قلوبهم فكرة خاطئة وهى انه مادام الرسول قد توفى فمن يخلفه فى هذا الدين ، واعتقدوا أن قريشا اذا وليت هذا الامر سوف تحوله الى ملك عضود فسعوا جاهدين لكى يفوتوا هذه الفرصة على قريش ويقاسموهم ملك الجزيرة ظانين أنهم بذلك سيحدون من سيطرة قريش .. وخافوا ان تفرض عليهم سلطانها وتستبق بمركز السلطة بالجزيرة

فكانوا يعتقدون أنه اذا توفى محمد وهو الشخصية النادرة فى العدل ، فمن المحتمل أن من سيخلفه من قريش سيحكم بهواه ويحكم هو وأهله وعشيرته فيعلى بذلك شأن قريش وتضيع سمعة قبائلهم ويحرمون هم من شرف السلطة .

(٤) الذين تنبأوا فى حياة الرسول :

منهم من خشى سيطرة قريش بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم وسعوا الى سلبهم هذه السيطرة بطرق شتى منها أن بعضهم قد ادعى النبوة فبعد ما قضى النبى صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ظهر الاسود العنسى باليمن ومسيلمة باليمامة وطليحة بن خويلد فى بنى أسد وادعى كل منهم النبوة فكانت ردة هؤلاء قبل وفاته صلى الله عليه وسلم .

كان هدفهم من ذلك كما ذكرنا الرغبة فى السيطرة ومشاركة قريش السلطة على بلاد العرب وهذا ما يظهر فى كتاب الكذاب مسيلمة .. الى رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله ، السلام عليك ، أما بعد فأنى قد اشركت فى الامر معك وان لنا نصف الارض ولقريش نصف الارض ، ولكن قريشا قوم يعتدون) .

ثم كتب الرسول اليه جوابا : (من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب ، السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) . (١)

فمن هذا يتضح أن الدافع الى ارتدادهم رغبتهم فى تضييق نطاق السلطة لقريش بالنسبة للجزيرة العربية وسعيهم فى مشاركتها فى السيطرة .

ان هذه الدوافع لو دققنا فيها النظر لوجدنا انها ترجع الى جهلهم بالدين فلو تمكن منهم الدين على حقيقته وعرفوا جوهره لما فكر كل فريق منهم فى التخلص منه بالطريقة التى اتبعوها لارتدادهم ، ولهذا أيضا سعى الرسول الى قتالهم وكبح جماح من تنبأ فى عهده ــ حتى يكون الدين لله وحده ، وسعى بعده أبو بكر وعلى نفس النمط فى دحض مفترياتهم وكبت رغباتهم المنحرفة وارجاعهم الى الصراط الذى ارتضاه لهم ربهم ونبيهم محمد صلى الله عليه وسلم .

هذه هى حركة الردة التى يصفها بروكلمان بأنها حركة لادخل لها فى الدين بل هى مجرد حركة أراد القائمون بها التخلص من سلطة المدينة الغير مريحة فلم تكن سلطة المدينة سلطة متعبة بل كانت سلطة تسعى الى خير البشرية واخراجها من ظلمات الجهل والاستعباد الى النور والعلم والحرية الحقة فظنها الجاهلون بحقيقتها سلطة تمنعهم من التصرف فى حقوق صورها لهم جهلهم أنه من حقهم التصرف فيها بينما هى فى الواقع تؤدى بهم الى السير فى المسالك التى تؤدى بالمجتمع الى الانحطاط .. وتمزيق أواصره .

---

(١) ابن هشام جـ ٤ ص ١٨٣ ، ابن خلدون جـ ٢ ص ٥٧ ، الطبرى جـ ٢ ص ١٤٦

٢

يذكر بروكلمان :

(وعندما ظهر خالد بن الوليد فى منطقة تميم ، وجد الطاعة فى كل مكان تقريبا ، الا أن مالك بن نويره ، سيد يربوع ، أحد بطون حنظلة ، الذى انفصل عن المدينة عقب وفاة محمد مباشرة ظل مؤمنا بسجاح ، بيد أنه عندما حاصره خالد بفصائله ، عرض هو أيضا استسلامه ، ومع ذلك سمح خالد بالقضاء عليه "بقتله" مع رجال آخرين وذلك لانه اشتهى زوجته الجميلة كما يروى) . (*)

٥٥

ان هذه التهمة قد نقلها بروكلمان من اليعقوبى وأبى فرج الاصفهانى ، وقد قلنا سابقا ان بروكلمان أو حتى معا اذا نقلا احدهما رواية ولم يحققها تحقيقا علميا بمراجعة مصادر أخرى ، فان كلاهما يكون مسئولا عن الرواية المفتراه وشريكا للمفترين .

فتهمة خالد بقتل مالك بن نويرة ونزوته على امرأته قد كثر فيها الغلط وتشعبت

---

(١) بروكلمان — تاريخ الشعوب — ص ٤٣ (انظر النسخة المترجمة ص ٨٦)

فيها الاراء واختلفت وتعددت الروايات .. وان اختلاف الروايات وتعددها في هذه القضية من أهم الاسباب في اضعاف صحتها .

ولو استعرضنا بعض الروايات التي قيلت في موقف خالد من مالك ، لوجدنا أن لكل رواية ما يدحضها ويظهر زيفها .

لما قدم خالد البطاح بعث السرايا وأمرهم بداعية الاسلام وأن يأتوه بكل من لم يجب ومن امتنع أن يقتلوه ، وكان أبو بكر قد أوصاهم أن يؤذنوا اذا نزلوا منزلا فاذا أقاموا الصلاة سألوهم عن الزكاة وأن أبو فليقاتلوهم .

فجاءته الخيل بمالك ، واختلفوا في أمر اسلام مالك ومن معه فكان أبو قتادة ممن شهد باجابتهم للاذان ، ولكن بقية من كان مع أبي قتادة لم يذكروا انهم سمعوا رد الاذان من مالك وقومه .. ، فلما اختلفوا في أمرهم أمر بهم خالد فحبسوا في ليلة باردة فنادى منادى خالد أن (دافئوا أسراكم) وكان على الاسرى ضرار ابن الازور ، وهو من كنانة ، وكانت كلمة دافئوا في لغة كنانة معناها القتل ، فقتلهم ضرار وسمع خالد بذلك فخرج وقال اذا أراد الله أمرا أصابه .[1]

وكثرت الروايات في هذا الامر حيث صارت لغطا ، ليس للعقل فيه مجال وتدخل الدساسون من خلال هذا اللغط ، ليضعوا في سيرة الرجل مايشينه ويحط من قدره ، ونقلها الرواة المسلمون من غير تدبر ولا تفكير .[2] فيقول اليعقوبي (فأتاه مالك

---

(١) ابن الاثير ج ٢ص ٣٥٨ ، ابن كثير ـ البداية والنهاية ج ٦ص ٣٢٢ ، ابن خلدون ج ٢ص ٧٤ ، الطبري ج ٢ ص ٢٧٨

(٢) د. ابراهيم شعوط ـ اباطيل يجب أن تمحى من التاريخ الاسلامي ـ ص ١٢٧

ابن نويرة يناظره واتبعته امرأته فلما رآها خالد أعجبته فقال والله لانلت مافي مثابتك حتى اقتلك ، فنظر مالكا فضرب عنقه ، وتزوج امراته .) (١)

ويذكر أبوالفرج الاصفهاني في الاغاني انه لما تنبات "سجاح" اتبعها مالك ثم اظهر أنه مسلم ، فضرب خالد عنقه فطعن عليه جماعة من الصحابة لانه تزوج امرأة مالك بعده ، وقد كان يقال أنه كان يهواها في الجاهلية واتهم لذلك بأنه قتل مسلما ليتزوج امراته من بعده . (٢)

وفي رواية اخرى يقول فيها (ان ليلى كانت مع زوجها ــ مالك وهو يناظر خالدا ، فلما سمعته يقول أني قاتلك ، ووالله لاقتلنك ، ألقت بنفسها على قدمي الفاتح تلتمس منه العفو وقد انسدل شعرها على كتفيها وبلل الدمع منها عينين زانهما الحور فزادهما سحرا ، ونظر خالد الى وجهها البارع وهي ترنو اليه مستعطفة مسترحمة نظرة هوى واعجاب فصاح مالك انني مقتول لا محالة وأجاب خالد : ما لهذا والله انما قضى عليك كفرك ، وأمر بضرب عنقه) . (٣)

ان من الرواية نفسها يتضح لنا عدم اسلام مالك كما أن أمر خالد للسرية أن يأتوه بمن لم يجب لداعية الاسلام وأن مجيء الخيل بمالك يدل على عدم اسلامه واجابته للدعوة ، فلو صح اسلام مالك لذهب الى قائد المسلمين طائعا مختارا معلنا اسلامه . (٤)

---

(١) اليعقوبي جـ ٢ ص ١٣١
(٢) الاصفهاني : أبو الفرج ــ الاغاني جـ ١٤ ص ٦٤
(٣) المصدر السابق ص ٦٦
(٤) عرجون : صادق ــ خالد بن الوليد ص ١٤٦

كما أن زيف هذه الرواية يظهر فى عدم تناسقها فلو أن قوم مالك أتوا مع المسلمين كما قال أبو قتادة لانتفى الخلاف لانهم كانوا فى الصلاة جماعة ، فكيف يكون هناك خلاف وكلهم كانوا فى صلاة واحدة فيذكر أبا قتادة أنهم صلوا مع المسلمين ويذكر بقية الفصيلة أنهم لم يصلوا فهذا تناقض غير واضح ولا يمكن أن يقع على هذه الصورة ، ولو علم الجيش بأمر أبى قتادة لما احضروا قوم مالك الى خالد ، وأيضا لما وضعهم خالد حتى يتحقق من أمر اسلامهم .

(موقف الصديق والفاروق من سيف الله)

يذكر المؤرخون أنه لما وصل أبو قتادة الى أبى بكر فأخبره بمقتل مالك قال عمر لابى بكر أن سيف خالد فيه رهق ، وأكثر عليه فى ذلك فقال : هيه يا عمر تأول خالد فاخطأ ، فارفع لسانك عن خالد فأنى لا أشيم سيفا سله الله على الكافرين وودى مالكا وكتب الى خالد أن يقدم عليه ، ففعل ، ودخل المسجد وعليه قباء وقد غرز فى عمامته اسهما فقام اليه عمر فنزعها وحطمها وقال له : قتلت امرأ مسلما ثم نزوت على امرأته والله لأرجمنك بأحجارك (.. وخالد لا يكلمه فظن أن رأى أبى بكر مثله ودخل على أبى بكر فأخبره الخبر واعتذر اليه فعذره وتجاوز عنه فخرج خالد وعمر جالس فقال هلم الى يابن أم سلمة فعرف عمر أن أبا بكر قد رضى عنه فلم يكلمه . (١)

لو استعرضنا مقام الرجلين فى الحفاظ على دين الله وفى اتباع سنة رسول الله والجرأة فى الحق ، وعدم الخشية الا من الله - لو استعرضنا كل ذلك لوجدنا أن أبا بكر

---

(١) الطبرى ج ٢ ص ٢٨٠ ، ابن الاثير ج ٢ ص ٣٥٩ ، ابن كثير ج ٦ ص ٣٢٥

لا يمكن أن يدافع عن انسان انتهك حرمة من حرمات الله ..ولا يمكن أن يفرط في حد من حدود الله مهما كانت الاحوال والظروف .

كما أن عمر يسير معه على هذا المنهج ، فلا يمكن أن تأخذ واحدا منهما رأفة على جان أو مذنب ولا ينبغى أن يكون للمركز الادبى أو الاجتماعى أثر فى تقدير الجريمة أو توقيع العقوبة .

ونستطيع بعد ذلك أن ندرك أن عرض صورة الخلاف بين أبى بكر وعمر فى هذا الشأن لا ينبغى أن يكون .. لان خالدا اما أن يكون بريئا فى نظر الرجلين فلا تثريب عليه ، واما أن يكون مسيئا فلا يصح لأبى بكر أن يتلمس له المعاذير مع وقوعه فى الجريمة مهما كانت حاجة الدولة اليه ومهما كان بلاؤه .

ثم لماذا صور الرواة موقف عمر وحده ضد خالد ، مع أن هذه القضية من الخطورة بحيث يكون اعلام الصحابة جميعا لهم رأى فيها ؟ (١)

فالمسألة ليست هى مسألة اجتهاد فى أمر مشتبه فيه بل الاختلاف فى أمر واضح صريح .. ثم أن الحادث ـ قتل خالد لمالك ـ وهو مسلم ، قد علم به بعض أهل السرية أو الفرقة كلهم وكلهم من الصحابة من مهاجرين وأنصار وكان ايمانهم هو ايمان أبو قتادة فلو رأوا خطأ خالد لكان موقفهم هو موقف أبى قتادة من انكاره للحادث لانهم كلهم صحابة رسول الله وكلهم على درجة واحدة من الايمان بحيث لا يقبلون ظلما ولا جورا ولا اعتداء على مسلم برىء .

---

(١) انظر أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ الاسلامى ص ١٣٣

ثم ان الرواية تقول أن أبا بكر ودى مالكا فنقول نحن اذا كان أبو بكر ودى ، مالكا فقط والرواية نفسها تقول ان مالكا قتل مع اصحابه اعتمادا على قول خالد دفئوا اسراكم فلم لم يودى أبو بكر بقية أصحاب مالك وهم قتلوا على حكم واحد . ورأيهم كان على راى سيدهم مالك فمن الواجب أن يكون حكمهم فى الدية هو حكم سيدهم .. حتى لو اختلف مقدار الدية .

وما الفرق فى رأى عمر بين اسلام مالك واسلام اصحابه فلماذا كان غضب عمر على قتل مالك ولم ترو القصة أنه غضب على قتل البقية ، أما كان غضبه على الجماعة اولى ؟

وأبو قتادة نفسه لماذا لم ينكر على خالد الا قتله مالكا . ولم ينكر عليه قتل الجماعة . أما كان قتل الجماعة أولى بالغيرة على قتل الفرد ؟

(مالك بن نويرة لم يكن مسلما)

هنا فلننظر الى رواية ابن الاثير للحديث الذى جرى بين عمر ومتمم بن نويرة أخى مالك ــ فيقول ابن الاثير " ولما قدم ــ متمم ــ على عمر قال له مابلغ بك الوجد على أخيك ؟ قال : بكيته حولا حتى اسعدت عينى الذاهبة عينى الصحيحة .. الخ فقال عمر أنشدنى بعض ما قلت فيه فأنشده مرثيته التى يقول فيها :

وكنا كندمانى جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأنى ومالكا ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

فقال عمر لو كنت أقول الشعر لرثيت أخى زيدا فقال متمم : ولا سواء يا أمير

المؤمنين لو كان أخى صرع مصرع آخيك لما بكيته .. فقال عمر : ما عزانى أحد بأحسن مما عزيتنى به — فهذا دليل من أخيه على موته كافرا —. (١)

وتزعم بعض الروايات أن عمر قال : " لئن وليت الامر لاقيدنك به " .

وحقق الله أمنية عمر وولى الامر بعد أبى بكر ،فأين وعد عمر باقامة الحد وأين جرأة عمر وقوة ايمانه فليس هو بالذى يثنيه شئ عن اقامة حد أو اداء واجب فما دلالة هذا ؟ هذا يدل على أن عمر كان مقتنعا براءة خالد من تهمة قتل مالك ابن نويرة وهو مسلم لانه لم يقم عليه الحد بعد أن أصبح خليفة للمسلمين .

(براءة خالد)

اما موضوع أم تميم وقصة زواج خالد بها فقد اختلفت الروايات فى ، كيفية اتصال خالد بأم تميم أرملة مالك بن نويرة كما اختلفت فى مقتل مالك . فبعض الروايات تقول أن أم تميم كانت مسلمة وقد انفصلت (٢) عن مالك بمجرد ارتداده الا أنها ظلت محبوسة عنده .

وثانية تقول بأن خالدا قد اشتراها من الغئ وبنى بها . (٣)

وأخرى تقول بأنه تركها حتى ينقضى طهرها . (٤)

---

(١) ابن الاثير — الكامل ج ٢ص ٣٦٠

(٢) صادق عرجون ص ١٥٥

(٣) المصدر السابق ص ١٥٧

(٤) الطبرى ج ٣ص ٢٧٨، ابن كثير ج ٦ ص ٣٢٢ ، ابن الاثير ج ٢ ص ٣٥٨

فعلى كل حال قد كان زواج خالد بأم تميم زواجا شرعيا بدليل أن أم تميم بقيت مع خالد حتى رجع الى اليمامة . [١]

أما ما قيل من أن خالد خالف التقاليد الشرعية وزواجه من أم تميم فى ميدان القتال فلعل خالدا اقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم بزواجه من السيدة صفية بنت حيى بن أخطب فى غزوة خيبر .

-٠-

---

(١) العقاد : عبقرية خالد — ص ٩٨

٣

ويذكر كارل بروكلمان فى كتابه "تاريخ الشعوب" عن سيدنا عثمان فيقول :

(وقد يكون أصله الارستقراطى هذا ، الذى عادل عند النبى نقص الكفاءات الشخصية) . (*)

ە ە

لاندرى ماذا يريد بروكلمان من هذا النص الذى كتبه حول عثمان بن عفان ، فهل يريد أن يقول أن النبى صلى الله عليه وسلم اختار عثمان — رضى الله عنه — ليكون صهره بسبب غناه وثروته ومظهره الارستقراطى ، كما يقول بروكلمان ، واعتبر الرسول أن ثراء عثمان يعادل نقص كفاءته الشخصية وعلى ذلك عقد معه مصاهرته على كريمتيه (رقية وأم كلثوم) . ؟؟

وهذه رمية من غير رام ، لان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن ينظر فى معاملة اصحابه الى شىء غير التقوى والصلة الخالصة بالمولى سبحانه وتعالى والعمل الصالح والخلق الفاضل .

---

(١) بروكلمان ص٥٧ — انظر النسخة المترجمة ص١١٠

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم راضيا كل الرضا عن عثمان لتقواه وعمله الصالح فقال مرة اللهم ارضى عن عثمان فانى عنه راض ، ولما توفيت زوجته الثانية قال له الرسول عليه الصلاة والسلام [زوجوا عثمان لو كانت عندى ثالثة لزوجته وما زوجته الا بوحى من الله عز وجل] [1]

فاذا دققنا فى القضية التى ذكرها بروكلمان نجد أن الدافع لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى علاقته بعثمان ورضاه عنه لم يكن لشىء من أمور الدنيا كما أن عثمان لم تكن تنقصه الكفاءة الشخصية فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعد وفاته والا لما اختاره أهل الشورى الذين عينهم عمر لاختيار من يخلفه .. فاختياره من الستة دليل واضح على أنه أكفأ الموجودين وأصلحهم لرعاية شئون المسلمين .

فكيف يقال أن اصله الارستقراطى هو الذى عادل نقص كفاءته بعد النبى صلى الله عليه وسلم .. !

٥٥

(١) الهيثمى : نور الدين على بن ابى بكر — مجمع الزوائد ومنبع الفوائد جـ ٩ ص ٨٢ بيروت ١٩٦٧م

ثم يستطرد بروكلمان فى نفس الصفحة فيقول :

(وليس من شك أيضا فى أن أعضاء المجلس آثروا اختياره رغبة منهم فى أن يروا على رأس المسلمين رجلا يستطيعون توجيهه والتعامل معه فى سهولة ويسر) . (*)

ه

أما عن المعنى الذى قصده بروكلمان من أن اختيار الصحابة لعثمان لانه كان ضعيفا بحيث يمكن توجيهه والسيطرة عليه فهذا قول لم يقله أحد ولم يكن له واقع فى التاريخ . فان أعضاء المجلس الذى عينه الخليفة الراحل لم يكن أحد منهم يعرف من منهم سيكون الخليفة الى آخر لحظة وهذا ما يظهر من قصة الشورى ... وسأوردها حتى يتضح الامر أكثر وهى أن عمر دعا عليا وسعدا وعثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير ، فقال لهم أنى نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم ، لا يكون هذا الامر الا فيكم وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنكم راضى .

فان أعضاء مجلس الشورى الذين اختارهم أمير المؤمنين ورأى أنهم أفضل القوم ممن بقى من الذين ذهب الرسول وهو عنهم راض ، هؤلاء الستة رأى فيهم عمر أنهم هم أفضل القوم وهم الذين يخافون ربهم ، يتقونه حق تقاته ولم يكن لهم منهج

(*) بروكلمان ــ المصدر السابق

يسيرون عليه سوى منهج الرسول صلى الله عليه وسلم . ثم أمرهم أن يتشاوروا ثلاثة أيام ولا يأتي اليوم الرابع الا وعليهم أمير منهم ، وبناءا على رغبة أمير المؤمنين عمر في سرعة البت في هذه القضية أخرج عبد الرحمن بن عوف نفسه من هذا الامر على أن يكون حكما يختار من يراه أقوى وأصلح لولاية أمر المسلمين . وعرض أعضاء مجلس الشورى عن عبد الرحمن بن عوف وأخذوا منه ميثاقه على أن يؤثر الحق ولا يتبع الهوى ولا يخص ذا رحم ولا يألوا الامة نصحا .

كما أعطوه مواثيقهم على أن يكونوا معه على من يبدل أو يغير وأن يرضوا على من يقع اختياره عليه .

وبذل عبد الرحمن بن عوف جهده في التحري عن الاصلح والاقوى لحمل مسئولية الخلافة ، وانحصرت الاراء كلها في رجلين من الستة هما عثمان وعلي بن أبي طالب ، فأصبح موقف عبد الرحمن بن عوف دقيقا جدا في تفضيل أحد هذين الرجلين على الاخر

فدعا عليا وقال عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده .. قال أرجو أن أفعل فأعمل بمبلغ علمي وطاقتي ، ودعا عثمان فقال له مثلما قال لعلي نعم نعمل .. فرفع رأسه الى سبق المسجد ويده في يد عثمان ، فقال اللهم اسمع واشهد اللهم أني قد جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان فبايعه ". (١)

فمن سياق هذه الاحداث تبين أن اختيار عثمان خليفة للمسلمين لم يكن

---

(١) انظر الطبري ج ٤ ص ٢٣٨ ، ابن الاثير ج ٣ ص ٦٥ـ٧٦ ، ابن كثير ج ٧ ص ١٤٤ـ١٤٧

الا لانه أقوى وأصلح من يتحمل المسئولية أمام الله وأمام المسلمين .

وهنا تسقط دعوى بروكلمان من أولها الى آخرها لعدم وجود سند يعتمد عليه فيما يزعم .

ـ • ـ

الفصل الثالث

بعض آراء (بروكلمان) في عصر بني أمية وبني العباس والرد عليها

١

ويتعرض بروكلمان لسيرة الصحابي الجليل المغيرة بن شعبة فيصفه بأوصاف تشبه السباب فيقول عنه :

(وهو رجل انتهازي لا ذمة له ، ولا زمام ، اضطر في شبابه الى أن يغادر مسقط رأسه الطائف بسبب جريمة قتل ، حتى اذا كانت سنة ٦٢٩ وفد على محمد في المدينة ثم أنه حطم آلهة البلدة بأمر من الرسول وأظهر من التقوى ما جعله في جملة الارستقراطية الاسلامية الجديدة)

ثم يعود فيستطرد ويقول :

(وقد عينه عمر بن الخطاب على البحرين ثم البصرة الا أنه عزلسه من منصبه من سوء السيرة الاخلاقية ـ الزنا ـ .) (*)

ه ه

(*) كارل بروكلمان ص ٦٤ـ٦٥ ـ انظر الترجمة العربية ص ١٢١

دائما نقف مع بروكلمان أمام كل رواية خاطئة وكل فرية ذكرها المغرضون فـي الاسلام لنقول أنه كان ينبغي على بروكلمان أن يتحقق من صحة الاكذوبة التي ينقلها عن بعض المراجع العربية وليس لها من القوة ما يقف أمام النقد العلمي ، فقد نقل في كتابه عن المغيرة بن شعبة انه رجل انتهازي لا ذمة له ولا زمام وأخذ عليه أنـه ارتكب جريمة قتل قبل اسلامه .

ثم ذكر أنه اظهر من التقوى ما جعله من الصفوة المختارة عند الرسول صلى الله عليه وسلم . فلو كان بروكلمان صاحب نية حسنة أو باحث أكاديمي لعلم أن في جمع هذه الرواية أمورا لا ينبغي تسجيلها في صحيفة أحد الصحابة ، وكان يجب أن يعرف أن سيرة الصحابة في جاهليتهم لا يقام لها وزن بعد اسلامهم ، فقد أصبح المغيرة بن شعبة بعد اسلامه موضع ثقة الرسول عليه الصلاة والسلام ثم صحابي من بعده ، فولاه عمر البحرين ثم البصرة ثم الكوفة [1] وأقره على ذلك عثمان من بعده ، ثم معاوية . [2]

ثم هو فوق هذا كله يحمل شهادة من القرآن الكريم بأنه من الذين رضي الله عنهم في قوله تعالى " لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة " [3] فهو ممن حضر بيعة الرضوان في الحديبية وكان له موقف مع عروة بن مسعود الثقفي الذي كان يتناول لحية الرسول عليه الصلاة والسلام اثناء حديثه فيقرع المغيرة يد عروة ويقول له أكفف يدك من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . [4]

---

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ جـ ٢ ص ٢٠ ، ابن الاثير أسد الغابة جـ ٥ ص ٢٤٨
(٢) ابن حجر العسقلاني : تهذيب التهذيب جـ ١٠ ص ٢٦٢
(٣) سورة الفتح آية ١٨
(٤) ابن هشام جـ ٣ ص ٢٠٠ ، الطبري : التاريخ جـ ٢ ص ٦٢٧ ، ابن الاثير ـ الكامل جـ ٢ ص ٢٠١ ، ابن كثير جـ ٤ ص ١٦٧ .

فاذا كان القرآن قد ذكره فى بيعة الرضوان فمعنى ذلك أنه كان من الصفـــوة المختارة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن كما قال بروكلمان انه انتهازى لا ذمة له ولا زمام .. !

ونحن نذكر بعض مواقف المغيرة من الاسلام فى بعض المراجع العربية مما يدحض زعم بروكلمان ويجعلنا لا نقيم وزنا لما يذكره خصوم الاسلام ..

فالمغيرة بن شعبة شهد اليمامة وفتح الشام وذهبت عينه باليرموك وشهـــد القادسيـــة وفتح نهاوند وهمدان .(١)

واعتزل الفتنة بعد مقتل عثمان (٢) وآثر البعد عن الخوض فيها ويصفه بروكلمـــان بأنه لا ذمة له ولا زمام.

أما اتهام المغيرة بن شعبة بأن سبب عزله عن البصرة لسوء سيرته الاخلاقيـــة فهى تهمة لا نصيب لها من الحقيقة ويكفى لنفيها وكشف زيفها تولية عمر له على الكوفـــة بعد البصرة فلو صحت هذه التهمة عند عمر لما جدد له العهد برعاية أمور المسلمين حين يوليه على مصر مثل الكوفة ثم كيف يتطرق الشك الى صحابى مثل المغيرة وهـــو من رواة الحديث الذى لا يتطرق الشك اليهم .(٣)

—•—

(١) ابن الاثير — أسد الغابة ج ٥ ص ٢٤٨ ، تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٢٦٢
(٢) المصدران السابقان .
(٣) ابن حجر العسقلانى : تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٢٦٢

٢

ويتطرق بروكلمان لشخصية عبد الله بن عباس أثناء حديثه عن قيام الدولة الأموية ، قال :

(وكان عبد الله بن عباس قد استولى قبل ذلك على ما فى بيت مال البصرة وانضم الى صفوف معاوية) . (*)

٥٥

نعود فنقول ان بروكلمان وامثاله يدسون أنوفهم فى كتب التاريخ ويبحثون عن الروايات الهذيلة التى رواها المغرضون .. ثم يعرضونها على الناس لينتقصوا بها من قدر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان المفروض أن مثل بروكلمان يعرض هذه القضية على موازين التحقيق العلمى ويفحص روات القصة قبل أن يصدر حكمه عليها ، فقصة عبد الله بن عباس وما قيل عنه من أنه أخذ ما فى بيت مال البصرة لم نجد لهذه الرواية سوى نقلها عن أبى الاسود الدؤلى فى كتب التاريخ الاولى التى تعتمد على نقل الخبر دون فحص أو تدقيق كما أنها وجدت فى بعض كتب الادب مثل العقد الفريد . (1)

(*) بروكلمان ص ٦٤ ـ انظر الترجمة العربية ص ١٢١

(١) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد جـ ٥ ص ١٠١

وقد ذكرت سابقا بعدم وجوب قبولنا هذه الاخبار التى اختصت بها كتب الادب ونقلتها كتب التاريخ من غير تحقيق ٠٠ بل يجب علينا أن نضعها تحت مجهر الحقيقة والواقع وننظر اليها بمنظار عصرها التى جرت فيه ونقدمها بذلك لمجال الجرح والتعديل ٠

ولا ينبغى علينا أن نأخذ بها كما نقلها المغرضون وروجوا لها وحاولوا الباسها ثوب الحقيقة هادفين بذلك الاساءة الى الاسلام ورجاله ٠٠فرواية استيلاء ابن عباس على مال البصرة هى من ضمن هذه الروايات المختلقة فى كتب الادب والتاريخ فحاول زعماء الاستشراق اصطيادها وعرضها على الملأ بالصورة التى يرغبون ٠

فلو أبعدنا شخصية عبد الله بن عباس عن واقعها الحقيقى من حيث ايمانه وعلمه ونسبه وصحبته ولننظر الى القضية نظرة مدققة دون اعتبار لاى ناحية من نواحى شخصيته رضى الله عنه لتظهر لنا الحقيقة ٠

فالذين ذكروا القصة يتفقون على رأى واحد وهو أن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قد مر على أبى الاسود الدؤلى وكان على بيت مال البصرة وقال له : لو كنت من البهائم لكنت جملا ، ولو كنت راعيا لما بلغت المرعى ٠٠ فكتب أبو الاسود الى على أن ابن عمك أكل ما تحت يده بغير علمك [1] ويتفقون أيضا على أن المكاتبة لم تحصل الا فور المشاحنة التى حصلت بين بن عباس وأبى الاسود ٠

---

(١) الطبرى ج ٥ص ١٤١ ــ ، بن الاثير ج ٣ ص٣٨٦ ، ابن خلدون ج ٢ ص ١٨٢

والظاهر من الرواية أن ابن عباس قد مر بأبي الاسود ووبخه على أمر ما ، فأساء ذلك الى أبي الاسود فحاول الانتقام لنفسه فما كان منه الا أن سلك هذا المسلك ، ذلك لان الرواية لم تذكر أي حديث قد دار بين ابن عباس وأبي الاسود .. حول المال أو بيت المال .. ومعنى ذلك أنه لو صحت هذه الرواية ، ولم تحدث المغاضبة ما كتب أبو الاسود مثل ما كتب . (١)

ثم تقول الرواية أنه قد جرت هناك عدة مراسلات بين علي بن أبي طالب من جهة ، وبين ابن عباس وأبي الاسود من جهة أخرى يظهر منها اقتناع الامام على برأي أبي الاسود ، واصراره على ابن عمه بارجاع المال أو تبيان مقدار المبلغ ووجه انفاقه . (٢)

ولو نظرنا الى هذه الناحية من القضية فهل من المعقول أن علي بن أبي طالب يتهم ابن عمه العباس باختلاس بيت مال المسلمين بمجرد وصول الخبر اليه من أبي الاسود .. ولنفترض أن الخبر من أبي الاسود قد وصله بالتأكيد لم لم يقم سيدنا علي بتحري القضية والاستفسار عن مدى صحتها وهذا مالم تذكره كتب التاريخ هل كان أبو الاسود مصدقا عند علي أكثر من ابن عباس لدرجة أنه بمجرد أن يصله الخبر يبادر بارسال كتاب لابن عمه يطلبه باحضار المال .

كما أن بروكلمان يقول " ان ابن عباس قد انضم الى معاوية وترك عليا .. " .. ولسنا نعرف من أين أتى بروكلمان بهذه القضية فلم أجد لها صحيح سند في كتب

(١) د . شعوط : ابراهيم - اباطيل يجب أن تمحى من التاريخ الاسلامي ص ٢١٢
(٢) الطبري ج ٥ ص ١٤٢ ، ابن الاثير ج ٣ ص ٣٨٦

التاريخ وكل ما ورد فى هذا الصدد هو أن ابن عباس هدد عليا بالانضمام الى معاوية وهذا ما ذكره ابن عبد ربه فى كتابه الادبى " العقد الفريد " حيث قال : " والله لئن لم تدعني من اساطيرك لاحملنه الى معاوية يقاتلك به فكف عنه على " . (١)

أما الانضمام الفعلى الى معاوية الذى يزعمه بروكلمان فليس له من الحقيقة نصيب .

ولو استوعب بروكلمان كل ماقيل فى ترك ابن عباس البصرة لوجد ما يدحض زعمه . فالكل متفق على أن ابن عباس قد خرج من البصرة الى مكة ولم يلحق بمعاوية فى الشام (٢)

كما أن هناك عدة روايات تنفى هذه القصة المختلقة .. فيروى ابن الاثير أن ابن عباس لم يزل عاملا على البصرة لعلى حتى قتل على . (٣)

ويذكر فى رواية أخرى أن ابن عباس كان على مقدمة الجيش الذى أظهره الحسن لاخذ البيعة من معاوية (٤) . ويروى السيوطى فى بقية الدعاة أن ابن عباس هو الذى استخلف أبا الاسود على البصرة عند شخوصه الى الحجاز فظل فيها حتى قتل على . (٥)

---

(١) ابن عبد ربه ـ ج ٥ ص ١٠١

(٢) الطبرى ج ٥ ص ١٤٢ ، الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٨٧ ، ابن كثير ـ البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٢٢ ، ابن خلدون ج ٢ ص ١٨٥

(٣) ابن الاثير ج ٣ ص ٣٨٦

(٤) ابن الاثير ج ٣ ص ٤٠٤

(٥) السيوطى : جلال الدين ـ بقية الدعاة ج ١ ص ٤٥٨ ـ القاهرة ١٣٨٤

ويروى ابن خلكان ان ابن عباس هو الذى استخلف أبا الاسود على البصرة عند سفره الى الحجاز ولم يذكروا قصة الاختلاس[1] كما أن بعض المراجع لم تورد هذه القضية مثل ابن حجر [2] ولا ابن الاثير [3] فاختلاف الروايات دليل على عدم التاكد من الموضوع ذاته ولكن ينبغي علينا أن نأخذ بالاقرب للواقع والمنطق والمطابق لواقع العصر والشخصية ذاتها .

وبعد هذا يتضح لنا عدم صحة فرية الاختلاس وفرية الانضمام الى معاوية .

ثم لو نظرنا الى الشخصيات التى تدور حولها هذه الفرية لبدأ الامر أكثر وضوحا .. فشخصية ابن عباس ومكانتها من ناحية التقوى والعلم والنسب وهذا ما سأذكره فيما بعد .. كانت على نقيض شخصية أبى الاسود الدولى المشكوك فى سلامتها .[4]

كان أبو الاسود معروفا بالبخل ، وكان يقول لو أطعمنا المساكين فى أموالنا كنا أسوأ حالا منهم وقال لبنيه لا تجاودوا الله عز وجل ، فانه أجود وجود ، لو شاء أن يوسع على الناس كلهم لفعل ، فلا تجهدوا أنفسكم فى التوسع فتهلكوا هزالا .[5]

انه اذا كان هذا القول صحيحا من أبى الاسود فقد سقطت شهادته فلا تقبل على عبد الله بن عباس لان أبا الاسود بناء على هذه الرواية صارح وجاهر بأمر كان يجاهر به الكفار والمشركون حين كانوا يقولون (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ؟)[6]

---

(١) ابن خلكان : ابو العباس ـ وفيات الاعيان ج ٢ ص ٥٣٨ ـ بيروت دار صادر
(٢) تهذيب التهذيب (٣) أسد الغابة
(٤) د . شعوط ـ أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ الاسلامى ص ٢١٢
(٥) ابن خلكان ـ وفيات الاعيان ج ٢ ص ٢١٨
(٦) د . شعوط ـ ص ٢١٣

ثم يعود بروكلمان ويتطرق لابن عباس أثناء حديثه عن ظهور الدولة العباسية :

(وكان جدهم عبد الله بن عباس وهو ابن عم
الرسول ، وان لم يجد سبيلا الى تمثيل دور سياسي
ما فقد صرف همته الى الحديث يدرسه
ويتزود فيه بالخيال الطياش والاستمداد من
القصص التلمودي الذي قربه اليه نفر من اليهود
الداخلين في الاسلام) . (*)

ەە

حقا ان ابن عباس لم يمثل دورا سياسيا في الدولة الاسلامية سوى ولاية البصرة في خلافة علي بن أبي طالب الذي ما لبث أن توفي الامام علي حتى ترك ابن عباس البصرة واختار الاقامة في مكة بمحض ارادته كما تقدم .

وما نعرف عن ابن عباس أنه في يوم من الايام قد سعى لنيل مركز سياسي فسدت في وجهه السبل ، كما يزعم بروكلمان ، بل أن هناك مواقف عدة توضح تجنب ابن عباس عن هذه المواقف ورغبته في عدم السعي لطلب أي دور سياسي .. وها هو ذا ابن عباس يقول لمعاوية بعد ما أخذ البيعة من أهل المدينة لابنه يزيد "يا معاوية أني لخليق أن أنحاز الى بعض السواحل ، فأقيم به ثم انطلق بما تعلم حتى أدع الناس كلهم خوارج ". (١)

(*) بروكلمان ص ٩٣ (انظر الترجمة العربية ص ١٦٦)
(١) ابن الاثير جـ ٣ ص ٥١٠

ان هذا افتراء وكذب ورمى بن عباس بأنه يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخترع احاديث من محض خياله أو متأثر بقصص التلمود وما وضعه اليهود فى كتبهم من الكذب والافتراء فأى رمية هذه التى رمى بها بروكلمان هذا الصحابى الجليل حبر الامة وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصدق من روى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقد شهد له أهل العلم من الصحابة بصدق مايروى وتحريه دائما وجه الصواب بحيث اطلق عليه علماء الحديث انه من الرواة المحدثين المتخصصين فى رواية الحديث واعتبروه فى الدرجة الاولى من الرواة والمحدثين مع أبى هريرة وابن عمر وانس بن مالك وعائشة رضى الله عنهما وابن مسعود وهؤلاء جميعا لا يتطرق الشك اليهم فى حسن تقديرهم لابن عباس .. ومرويات بن عباس المسجلة فى الكتب الصحاح قد بلغ عددها (١٦٦٠) حديثا . (١)

فهذا ابن عباس وفى مقدوره أن يفعل مايفعل ولكن لا يريد من هذا الامر شيئا وها هو ذا معاوية عند وفاته يوصى ابنه يزيد فيقول (وانى لست أخاف عليك أن ينازعك هذا الامر الا أربعة نفر من قريش : الحسن بن على ، وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن أبن أبى بكر) . (٢)

ولم نر من ضمن هؤلاء الاربعة أنه قد ذكر ابن عباس فقد كان معاوية عارفا تمام المعرفة من ناحية ابن عباس بأنه لا رغبة له فى الامر بل كل همه العلم والتحصيل والبعد عن ذلك الدرب .

---

(١) أبو زهو ــ الحديث والمحدثون ص ١٤٠

(٢) ابن الاثير ــ جـ٤ ص ٦ ، الطبرى جـ٥ صفحة ٣٢٢

ويروى ابن الاثير أيضا أن ابن عمر كان هو وابن عباس بمكة فعادا الى المدينة فلقيهما الحسين وابن الزبير فسألاهما : ما وراءكما ؟ فقال : موت معاوية وبيعة يزيد . فقال ابن عمر : لا تفرقا جماعة المسلمين . وقدم هو وابن عباس المدينة فلما بايع الناس بايعا . (١)

يعنى أن ابن عباس لم يعارض ولم يمانع ولم يدع لنفسه ما لغيره من أمور الخلافة فابن عباس كان رجلا زاهدا فى هذا المجال من الحياة لم يسع لطلبه ولم يسع لتسهيل سبله حتى يصل اليه .

فلو كان بروكلمان قد اكتفى فى رمى ابن عباس بالكذب والاعتماد على الخيال فيما يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاكتفينا بهذا الرد . وانما أضاف الى هذه التهمة تهمة أخرى وهى أنه اعتمد على قصص التلمود وعلى ما أملاه عليه نفر من اليهود الداخلين فى الاسلام .

ونحن ازاء هذه التهمة لابد لنا من الرد على بروكلمان لان ما رواه ابن عباس من احاديث كان كله فى فضل العلم والحث على طلبه والسعى فى الحصول عليه والعمل من أجل الاخرة . هذه المعانى كلها لم تكن معروفة لليهود قبل الاسلام كما أنها لم توجد فى كتب التلمود الموجودة بين ايديهم . فكيف يذكر بروكلمان أن ابن عباس تزود من القصص التلمودى فيما روى من أحاديث .. ولم يضع ابن عباس من الاحاديث التى تبين أحقيته فى الخلافة كبعض زعماء الشيعة مثلا .

---

(١) ابن الاثير جـ ٤ ص ١٧

ومع هذا فاننا لو نظرنا الى نشأة ابن عباس وتربيته فى صغره وملازمته لرسو ل الله صلى الله عليه وسلم وحب رسول الله له لوجدنا من أحاديث رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم ما يدل على مدى صدق ابن عباس فيما يرويه عن الرسول الكريم ، فقد دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم فى عدة مناسبات .. عن ابن عباس قال ضمنى رسول الله صلى اللـه عليه وسلم وقال : اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب ". (١)

وقال صلى الله عليه وسلم اللهم آته الحكمة اللهم بارك فيه وانشر منه " (٢) وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اعطه الحكمة وعلمه التأويل اللهم احشى جوفه حكما وعلما .(٣)

وقد بلغ ابن عباس من صغر سنه مركزا مرموقا بين كبار الصحابة فقد كان عمـــر يدخله مع أشياخ بدر فى مجلسه وكان عمر على مهارته وحذقه واجتهاده لله والمسلمين كان اذا جاءته قضية معضلة قال لابن عباس انها قد طرأت علينا قضية عضل .. فانت لها ولامثالها ويأخذ بقوله . (٤)

كما يروى ابن عبد البر أن عمر كان يسحبه ويدنيه ويقربه ويتشاور مع أهلـــه من الصحابـــة ويقول عنه أن ابن عباس من الكهول له لسان قئول وقلب عقول . (٥)

ويروى أيضا عن مسروق أنه قال فيمترجمان القرآن ابن عباس لو أدرك اسناننـــا ما عاشره منا رجل . (٦)

---

(١) ابن ماجة
(٢) حليتالاوليا جـ ١ ص ٣١٥
(٣) حلية الاوليا جـ ١ ص ٣١٦
(٤) ابو زهو ـ ص ١٤٠
(٥) الاستيعاب جـ ٣ ص ٩٣٥
(٦) الاستيعاب جـ ٣ ص ٩٣٥

وقال القاسم بن محمد ما رأيت فى مجلس ابن عباس باطلا قط وما سمعت فتوى أشبه بالسنة من فتواه . [١]

وعن عائشة رضى الله عنها سئلت من استعمل على الموسم العام قالوا : ابن عباس قالت هو أعلم الناس بالحج . [٢]

كان عطاء اذا حدث عنه قال حديثني البحر ، وابن مهران ، اذا ذكر عنده ابن عمر وابن عباس قال كان ابن عباس افقههما . [٣]

وقال ابن عمر أنه قد آثر علما ، وقال لقد رأيت من ابن عباس مجلسا ، لو ان جميع قريش فخرت به لكان لها فخرا . [٤]

هذا هو ابن عباس فى رأى الصحابة والتابعين رضى الله عنهم .

والخلاصة أن ابن عباس لم يستعمل خياله الطياش ولم يستمد من القصص التلمودى الذى قربه اليه نفر من اليهود كما يقول بروكلمان لان ابن عباس أولا : قد عرف عنه التحرى فى أخذ الرواية من أصلها ، فقد وردت عدة روايات تبين مدى تحرى ابن عباس فى أخذ الرواية من أصلها فيروى أبن الاثير عن عبد الله ابن أبى رافع قال كان ابن عباس يأتى الى رافع فيقول ما صنع النبى صلى الله عليه وسلم يوم كذا ومع ابن عباس من يكتب ما يقول . [٥]

---

(١) الاستيعاب ج ٣ ص ٩٣٦
(٢) الشيرازى : ابو اسحاق ـ طبقات الفقهاء ص ١٨ ـ بغداد ١٣٥٦
(٣) المصدر السابق (٤) حلية الاوليا ؟ ج ٢ ص ٣٢٠
(٥) الاصابة ج ٢ ص ٣٢٠ ، ابو زهو ص ١٣٩

وثانيا : ان تحرى ابن عباس فى روايته لم يجعله يثق بالاسرائيليات ولا بما نقله اليهود فى كتبهم لانه كان دائما يتحرى عن سند كل رواية تصل اليه .

ويروى الدارمى فى مسنده عن ابن عباس أنه كان يأتى باب احد الانصار وهو قائل يقول " فأتوسد ردائى على بابه يسفى الريح على بالتراب فيخرج فيرانى فيقول يا ابن عم رسول الله ما جاء بك ؟ هلا أرسلت لى فآتيك فأقول : لا أنا أحق أن آتيك فأسألك عن الحديث ". (١)

—.—

(١) ابو زهو ص ١٥٠

٣

كما خاض بروكلمان بالنسبة للعصر العباسي في مسألة الزواج المزعوم بين العباسة وجعفر البرمكي فقال :

(وتعزو الروايات سبب الخلاف الاخير بين هارون الرشيد وجعفر البرمكي الى حادثة غرامية محصلها أن الخليفة عقد لجعفر على اخته العباسة عقدا صوريا حتى يكون في ميسوره أن يأنس بالاجتماع بهما في وقت معا ، ولكن جعفر أساء اصطناع هذه الحرية التي تمت له) . (*)

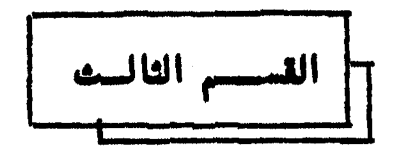
ثم زعم : (ان الذين دخلوا حديثا في الاسلام في العصر العباسي لم يرتاحوا ارتياحا كليا لشعائره الصارمة) . (١)

ﮦﮦﮦ

ولكني لم أقم بالرد على بروكلمان في هذه النقاط خشية التكرار فقد تعرض لها فيليب حتى من قبل ورددت عليه .

(*) بروكلمان ـ ص ١٨٧

(١) المصدر السابق ص ١٨٣


القسم الثالث

١

مقارنـــة
بين طريقة كل من المؤلفين في تصوير هذه الآراء والافتراءات وتبريرهـــا

وما دمنا بصدد المقارنة بين طريقة (حتى) وطريقة (بروكلمان) في ذكـــر المفتريات على التاريخ الاسلامي :

فاننا نذكـــر :

أولا : القضايا التي اتفقا على ذكرها ، فلسنا ندري كيف تم الاتفاق بينهما هل كـان ذلك بالصدفة أم توارد الخواطر أم أن أحدهما نقل عن الاخر ؟

ثانيا : القضايا التي انفرد بها فيليب حـــتي .

ثالثا : القضايا التي انفرد بها كارل بروكلمـان .

٥٥

أولا ـ القضايا التي اتفقا على ذكرها

١) سبب خروج السيدة عائشة في معركة الجمل :

فكلاهما قد ذكر أن السيدة عائشة قد خرجت في هذه المعركة لتشفـــــي مابصدرها من حقد على علي بن أبي طالب بسبب ماقيل أن عليا ذكره عنها في حادث الافك

ونلاحظ أن كلا المؤلفين يذكران هذه الفرية معتمدين على وجودها فـــي

المراجع العربية وخاصة فى كتب التاريخ القديمة مثل الطبرى وابن الاثيروغيرهما .

حقا ،لقد وردت هذه الرواية فى كتب التاريخ القديمة ،ولكن لم توجد وحدها بل وجدت كرواية من ضمن عدة روايات تذكر سبب خروج السيدة عائشة فمن ضمن هذه الروايات أن السيدة عائشة لم تخرج الا للصلح وقد أقيمت الادلة من المراجع الموثوق بها والادلة العقلية المتفقة مع المنطق على أن خروجها كان للصلح فكلاهما لا يأخذان الا بالرواية التى تشين السيدة عائشة ويتجاهلان الخبر الصحيح الذى يتفق مع اخلاق امهات المؤمنين على رأسهم السيدة عائشة .

فنلاحظ فى هذه النقطة مدى سوء النية فيما كتبه هذان الرجلان .

٢) اتهام الحسن بن على بأنه قد تنازل عن الخلافة مقابل رشوة قدمها له معاوية .

٣) اتهام عبد الملك بن مروان ببناء بيت المقدس لتحويل الحجاج اليه .

٤) مسألة العباسة وجعفر البرمكى .

وقد أقمنا الادلة على فساد ما ذهبا اليه وكشفنا سوء نيتهما وعداوتهما للاسلام وقلنا ان مجرد وجود هذه الاخبار فى كتب الادب لا يدل على صحتها لضعف سندها وسوء نية رواتها ، وقد وجد بجانبها روايات صحيحة تتفق مع اخلاق الصحابة والتابعين فكانت الامانة التاريخية والتحقيق العلمى يقتضيان أن يراجع كل من فيليب حتى وكارل بروكلمان جميع الروايات التى وردت فى هذا الموضوع فى كتب المسلمين ليتبين الحق امامهما دون أن يتورطا فيما وقعا فيه من الخطأ .

ولكن (حتى) كما قلنا نراه ينتقي أبشع الروايات ويثبتها في كتابه ويدعمهـــا بما ورد في الكتب العربية ليستدل بذلك على صحة وجهة نظره بشوه بعض الحقائـــق التاريخية في تاريخ المسلمين ويتلمس الاسباب الواهية ليتخذها حجة على سلامـــة رأيه في تغيير معالم التاريخ الاسلامي ويتخذ من الروايات المكذوبة في كتب التاريـــخ الاسلامي قضية مسلمة يبني عليها آراؤه ، وكان الاجدر به أن يعرض الروايـــــا ت التي اعتمد عليها على معايير البحث العلمي الحديث ليبين عدم صلاحيتها قبـــــل أن ينشرها على الناس .

أما (بروكلمان) فقد اعتمد في كتاباته على أمثاله من المستشرقين ، فهـــو لم يعتمد على الكتب العربية لاعتقاده بعدم صلاحيتها حيث قال في مقدمة كتابــــــه (أنها لم تخضع بعد للتحليل النقدي) [1]، واكتفى بالكتب الحديثة التي أشار اليهـا مثل : ولهاوزن ،كيتاني ،باتولد ،ومينورسكي ، ممن نقلوا هذه الاخبار من غــــير تمحيص علمي أو تحقيق تاريخي .

كما أنه يدعي أنه يلتزم في كتاباته طريقة البحث العلمي الحديث فلم لم يرجع الـــى الاصل ليطلع على الروايات المختلفة ثم ينتقي الافضل والاقرب للصواب لواقع العصر .

٥) اتهام خلفاء بني أمية وبني العباس بالمجون :

وفي هذه الافتراءات نجد بروكلمان لا يرجع فيها لمرجع موثوق به من كتب العرب وانما أخذها عن المستشرقين واعتبرها حقيقة ثابتة دون أن يستعمل هو معيـــــاره

---

(١) كارل بروكلمان = تاريخ الشعوب = مقدمة الكتاب ص٨

العلمي وأصول البحث الحديث .

أما (حتى) بسوء نيته ومكره يحاول ايهام القارىء العربي بحقيقة هـــذه الافتراءات لكونها قد وردت في الكتب العربية فهو عند ذكره هذه الافتراءات علـــى الشخصيات الاسلامية يحاول أن يدعم رأيه بكتب الادب العربي مثل كتابي الاغاني لابي الفرج الاصفهاني وكتاب التاج في أخلاق الملوك للجاحظ ، وكتاب العقد الفريـــد لابن عبد ربه ، وهذه المراجع حذرنا منها فيليب حتى نفسه ، فلماذا يعتمد عليهـــا فيما ذكره الا أنه يريد أن ينشر البلبلة والشك في التاريخ الاسلامي .

٦) جعل الناحية الاقتصادية هي الدافع الاساسي للفتوحات الاسلامية :

نرى بروكلمان في هذه القضية لم يغير في أسلوبه فهو قد اعتمد على مـــن سبقه من المستشرقين الذين حاولوا أن يجدوا دوافع غير حقيقية للفتح ويجردوه مـــن حقيقته التي قام عليها فهو ينقل عنهم بدون تحقيق .

أما حتى فسار مع بروكلمان في أن المسلمين كانوا يقصدون من الفتح البحـــث عن أماكن خصبة ليرفعوا من مستوى معيشتهم ولم يكونوا يقصدون نشر الدعوة الاسلامية الا أن حتى اراد أن يدعم رأيه في هذا الموضوع بالرجوع الى الكتب العربية ، لكنـــه لم يكن أمينا في الاستشهاد بالايات القرآنية ولا بالروايات التاريخية .

فلما أراد أن يبرهن على صدق دعواه في أن المسلمين اتخذوا من الفتح وسيلـــة للحصول على أموال من البلاد المفتوحة في صورة الجزية التي يدفعها الذميون ، فذكـــر بعض آية من القرآن الكريم ليستدل بها على صدق دعواه ، فلو كان أمينا لذكر الايـــة

كاملة حتى يعلم الحكمة التى من أجلها فرضت الجزية على أهل الكتاب فهذه الايـــة هو قوله تعالى ((قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حـرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يـد وهم صاغرون)) (١)

ولكنه اختصرها وقال (قاتلوا ... من الذين اتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) .

فاى بلاهة وأى سخرية من فيليب حتى حين يتلاعب بآيات القرآن الكريـــم ويطوعها ليعزز بها رأيه .

ونراه أيضا فى مرة أخرى يرجع أسباب الفتح لعوامل اقتصادية ويرجع لنـص يبتر منه الجزء الذى يوضح أهداف الفتح ،فينقل من كتاب فتوح البلدان للبلا زرى أن رستم قائد الفرس قال للمغيرة بن شعبة مندوب قائد المسلمين : (قد علمـت أنه لم يحملكم على ما أنتم فيه الا ضيق المعاش وشدة الجهد ونحن نعطيكم ماتشبعون به ونصرفكم ببعض ما تحبون) نقل الى هنا فقط ولم ينقل بقية الخبر وفيه جواب المغيرة لرستم حيث يقول : (ان الله بعث الينا نبيه صلى الله عليه وسلم فسعدنا باجابته وأمرنا بجهاد من خالف ديننا (حتى يعطو الجزية عن يد وهم صاغرون) ونحن ندعوك الى عبادة الله وحده والايمان بنبيه صلى الله عليه وسلم فان فعلت والا فالسيـف بيننا وبينكم) . (٢)

---

(١) سورة التوبة ــ آية ٢٩
(٢) البلازرى ــ فتوح البلدان ص ٢٥٧

ثانيا ـ القضايا التي انفرد بها فيليب حتي

١) سبب زواجه صلى الله عليه وسلم بالسيدة زينب بنت جحش وانه بدافع الحب .. وقد اعتمد فيليب حتي في هذه القضية على الاسرائيليات التي وردت في بعض كتب التفسير ودست على اصحابها ولم يرجع الى القرآن الكريم الذي يفند هذه الروايات ويمنع من قبولها فلو فهم (حتي) مدلول قوله تعالى " ولما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا ". (١)

لو اطلع فيليب حتي على هذه الاية لما وقع فيما وقع فيه من الخطأ ولما سقط هذه السقطة كما سقط فيها غيره من الذين لا يعقلون .

٢) زعمه أن خلافة ابي بكر كانت نتيجة اتفاق ثلاثي بين أبي بكر وعمر وأبي عبيدة .. وهذه الفرية لم يذكرها أحد من المؤرخين المسلمين وانما الذي ذكرها هم بعض المستشرقين وهي فكرة تافهة لانه لا يوجد دليل ولا شبه دليل على وجود هذه المؤامرة لعدة أسباب قد بينتها في ردنا على (حتي) عندما ذكر هذه الفرية .

٣) جلافة العرب قبل الاسلام :

لقد اعتمد في هذه الفرية على ما قرأه في مقدمة ابن خلدون عن طبيعة عرب أهل الحجاز ولم يعرف فيليب حتي ما الذي يقصده ابن خلدون من هذه الرواية ، هل يقصد أن يتحدث عن عرب الحجاز بهذه الصورة في جميع العصور الاسلامية أم ان ابن خلدون يتحدث عن عرب الحجاز المعاصرين له .

٤) تحويل معاوية الخلافة الى ملك :

في هذه النقطة أيضا نرى (حتى) يرجع لمقدمة ابن خلدون ، الا أنه لا ينقل بأمانة وصدق ، فهو عندما يريد أن يدعم رأيه بما رواه ابن خلدون ومع ذلك لم يفهم عبارة ابن خلدون أو أراد أن يحرفها على هواه لان عبارة ابن خلدون : (لا يعهب على معاوية فعلته كما فعل حتى بل يقول (فقد رأيت كيف صار الامر الى الملك وبقيت معاني الخلافة ، من تحرى الدين ومذاهبه والجرى على منهاج الحق). (١)

٥) هجوم الاسلام على كل من خالفه .

٦) انكار المعجزات النبوية عدا القرآن .

٧) سياسة عمر الاشتراكية (كلمة اشتراكية لم تكن معروفة في صدر الاسلام)

٨) جهل العرب بأمور البحر .

هذه النقاط التي ذكرها (حتى) لم يبحثها بحثا علميا ولم يرجع فيها الى مراجع موثوق بها ، وانما ألقاها جزافا كأنها من الامور المسلم بها وقد ناقشناه في موطن الرد عليه في الرسالة .

ثالثا ــ القضايا التي انفرد بها بروكلمان

١) مسألة الغرانيق العلى :

أما قصة الغرانيق فقد اعتمد في ذكرها على ما دسه الاسرائيليون وخصوم

---

(١) مقدمة ابن خلدون جـ ١ ص ١٧٣

الاسلام فى بعض كتب المسلمين ليحاولوا التشكيك فى كتاب الله وفى أمانة رسول الله ولم يكلف بروكلمان نفسه العناء فى بحث هذه القضية بحثا علميا حتى يميز به بين الصواب والخطا وبين الروايات التى تتنافى مع العقل والمنطق ومخصوص القرآن الكريم وعصمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكنه ترك كل ذلك واستجاب لهواه ، وظن أنه بطريقته هذه قد طعن الاسلام طعنة قاتلة ليشفى به نفسه ونفوس إخوانه ممن أعماهم التعصب

٢) الطعن فى شخصية ابن عباس وعثمان بن عفان والمغيرة بن شعبة :

وكذلك تناول ابن عباس وعثمان بن عفان والمغيرة بن شعبة وهم صفوة الصحابة رضوان الله عليهم الذين عرفوا بالاستقامة والامانة والعلم وقوة الايمان والبعد عن الشبهات والمعاصى ، ولكنه أخذ يتلمس ما يشفى غلته وغلة اخوانه من الصاق بعض المعايب والتهم ، فلم يجدها الا فى كتب الادب ، وكتب اصحاب الفرق والمذاهب المختلفة ولم ترد فى كتب التاريخ الا عن طريق رواة غير موثوق بهم مثل أبى مخنف ولوط بن يحيى فى كتاب الطبرى .

٣) انكار نزول الوحى على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم .

٤) اتهامه الدين الاسلامى أنه قام على تقليد الديانات الاخرى وان الرسول قد كيف شعائر قومه بشعائر اليهود والنصارى من أجل كسبهم وتبدل الرسول للاسلوب القرآنى فى المدينة عن مكة .

٥) اعتبر الحجر الاسود وثنا عبد فى الجاهلية والاسلام .

٦) حركة الارتداد ودوافعها وسبل محاربتها .

فى هذه النقاط السابقة لم يكن بروكلمان مبتدعا وانما هى أفكار صليبية قديمة قدم الحملة الصليبية التى أخذ الصليبيون من يومها على تكذيب الرسالة والتشكيك فى أصلها ومضمونها وفى صدق ما جاء بها ، حتى يتسنى لهم احداث البلبلة فى نفوس المسلمين والعمل على اضعاف ايمانهم بهذه الرسالة المحمدية بعد أن أدركوا أن سبب قوة المسلمين وصلابتهم فى وجه خصومهم هو تمسك المسلمين بهذا الدين فكان هدفهم من وراء هذه الافتراءات والادعاءات الكاذبة هو تشويه صورة الاسلام فى نفوس المسلمين .

فجاء بروكلمان وهو أحد تلاميذ هذه المدرسة ليكمل بعض مهمتهم غير عابىء بما هو واجب على كل باحث وكاتب من تحرى الحقيقة والبحث عنها حتى يعطى كتاباته الصبغة الصحيحة والصورة اللائقة بالباحث الامين .

—•—

ب

واجب رجال التاريخ ازاء هـــذه الاراء

اذا كانت هذه الاراء والافتراءات قد وجدت فى كثير من كتب التاريخ الاسلامى الاول وبعض كتب التفسير فلابد من العمل على ازالتها بالوسائل التى يمكن اتخاذها لنتخلص من هذه الافتراءات وتطهير الكتب التاريخية وعقول الشباب المسلم من آثارها وهذا يرجع فى نظرنا الى أمور أربعة هى :

الامر الاول : بالنسبة لكتب التاريخ القديمة وما حوته من اسرائيليات وأخبار واهية وقضايا ضارة بالاسلام ، فهذه تحتاج الى جهد كبير للعمل على احباط مافيها من آراء ووسوسة على الاسلام والمسلمين وهذا المجهود لا يستطيع القيام به فرد أو جماعة الا اذا تضافرت الهيئات العلمية لاعادة كتابة التاريخ الاسلامى من جديد وتمحيص قضاياه وتسهيل الحصول على المراجع الجديدة التى خلت مما وضعه خصوم الاسلام لتحل محل الكتب القديمة بوسائلها الحديثة فى الاستدلال على زيف ما وضعه خصوم الاسلام بالادلة القاطعة من الاخبار الصحيحة والمنطق والعقل حتى يمكن اقناع قراء هذه الكتب بفساد ما ورد فى الكتب القديمة .

ورغم أن فائدة هذه الكتب الحديثة لن يظهر سريعا الا أنه بعد مرور زمن طويل يمكن أن تغطى هذه المؤلفات المحققة تحقيقا علميا على ماهو موجود فى الكتب القديمة .

الامر الثاني : مراجعة ما ألف وطبع حديثا من قبل الكتاب المسلمين الذين درسوا على اساتذة من الغرب ، كانوا قد تصيدوا بعض الاخبار المزيفة في كتب التاريخ الاسلامي والتفسير لينصبوا منها براهين يقومون بها آراءهم الفاسدة ضد الاسلام والمسلمين ، فيأتي هؤلاء الكتاب المسلمون يأخذون عن اساتذتهم وهم معصوبوا العين .. وهم بحكم مراكزهم كأساتذة في الجامعات الاسلامية ولهم الهيمنة على الكتب المقررة فيحملون الطلاب على قراءة ما انتجوه وما اعتمدوا فيه على آراء المستشرقين ، ولايقاف وصد هذا الاتجاه تقوم الهيئات العلمية بتأليف لجان من اعلام التاريخ الاسلامي الذين لهم خلفية دينية وغيرة على الاسلام بمراجعة الكتب المقررة على طلاب المدارس والجامعات حتى لا تنتشر هذه الاراء فتبلبل افكار الطلاب المسلمين وتشككهم في ماضيهم المجيد .

الامر الثالث : هو اختيار اساتذة ومدرسين للتاريخ الاسلامي ممن سلمت عقائدهم وتحصنوا بقدر كاف من الدراسات الاسلامية حتى وجدت عندهم الخلفية الاسلامية .. لان هؤلاء يستطيعون أن يرجعوا الى الكتاب والسنة وسير الصحابة ، فيعالجون بها ما يرونه غير متفق مع الكتاب والسنة أو غير لائق بمقام الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ومقام اصحابه رضوان الله عليهم وتنقية بيئتهم التي عاشوا فيها من صحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم واتباع هديه وسنته ، فاذا كانوا مؤمنين بتعاليم الاسلام فانهم يستطيعون ان يؤثروا في طلابهم تأثيرا روحيا يؤمنون به ايمانا قويا ويدرك الطلاب أمجاد الاسلام وطهارة رجاله في عصوره الاولى ومدى ما قدمه الاسلام للحضارة الانسانية

المتمثلة فى سلوك رجاله وماكانوا عليه من صفات كريمة ،نشرت الاسلام فـــى شرق الارض وغربها •

فاذا وجد للتاريخ الاسلامى اساتذة ومدرسون بهذه الصفة يمكـــن تربية جيل جديد ينهض بهذه الاعباء ويتحمل مسئولية تصحيح الاخطاء والرد على الافتراءات التى اصطنعها خصوم الاسلام •

الامر الرابع : فهو أن يجعل للتاريخ الاسلامى فى الجامعات العربية والاسلاميـــة قسم خاص منفصل عن بقية أقسام التاريخ الاخرى حتى تتميز شخصية التاريـــخ الاسلامى بأساتذته وطريقة تدريسه ومراجعه التى تعتمد أول ما تعتمد علـــى الكتاب والسنة ثم على المراجع الموثوق بها والروايات الصحيحة التى لا يستطيـــع أن يميزها عن غيرها سواء الاساتذة الذين لهم نصيب وافر من الدراســـات الاسلامية فهؤلاء وحدهم هم الذين يعرفون طرق الرواية ويستطيعون التمييـــز بين صحيحها وسقيمها •

فاذا تيسر للقائمين على أمر الجامعات تحقيق هذا الامر فانهـــم يضعون اللبنة الاولى للبناء الشامخ الذى يمكنه أن يصد تيارات الالحـــاد والاكاذيب التى يحاول خصوم الاسلام ادخالها فى عقول الشباب المسلم •

ـ•ـ

ج

بعض الكتب التي تأثرت بآراء وافتراءات بعض المستشرقين

ونحن نذكر على سبيل المثال لا الحصر عددا من أصحاب الكتب التاريخية الذين تأثروا بآراء المستشرقين خاصة بروكلمان وفيليب حتي ، ونشروا آراءهم في المحيط العلمي والجامعي بواسطة كتبهم أو محاضراتهم وهم :

١ ـ	طه حسين	في كتابه	(على هامش السيرة) و (علي وبنوه)
٢ ـ	عبد المنعم ماجد	"	(التاريخ السياسي للدولة العربية)
٣ ـ	أحمد شلبي	"	(التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية)
٤ ـ	علي حسني الخربطلي	"	(الدولة العربية الاسلامية)
٥ ـ	حسن ابراهيم حسن	"	(تاريخ الاسلام السياسي)
٦ ـ	بنت الشاطيء	"	(نساء النبي)

٥ ٥ ٥

أولا ـ الدكتور طه حسين : الفتنة الكبرى (علي وبنوه) :

١ ـ ما ذكره د . طه حسين عن موقف السيدة عائشة من خلافة علي فيقول في ص ٢٨/٢٩ من كتابه (الفتنة الكبرى علي وبنوه) (ولما علمت ـ عائشة ـ حقيقة الامر وأن عليا هو الذي تمت له البيعة في المدينة ضاقت بذلك ضيقا شديدا وأعلنت انها كانت تؤثر انطباق السماء على الارض قبل أن ترى عليا وقد أصبح للمسلمين اماما)

ثم يعود فيقول (كان معروفا أن عائشة رحمها الله لم تكن تحب عليا ولاتهوا ، بل كان معروفا أنها تجد عليه موجدة شديدة منذ حديث الافك حين أراد علـــى أن يواسى النبى صلى الله عليه وسلم فأشار عليه بأن يطلقها) .

ولم يقف عند ما أخذ عن المستشرقين بل زاد عليه من خياله ما شاء حيث قـــال فى صفحة ٢٩ من نفس الكتاب (وكانت تنكر على على ــ فيما أعتقد ــ أمرين آخريـــن أحدهما لم يكن لعلى فيه خيرة ، فقد تزوج فاطمة بنت رسول الله ورزق منها الحسن والحسين فكان أبا الذرية الباقية للنبى ولم يمنح لها هذا الولد من رسول الله) .

أما الامر الاخر فهو أن عليا قد تزوج أسماء الخثعمية بعد وفاة أبى بكـــر رحمه الله وأسماء الخثعمية هى أم محمد بن أبى بكر الذى نشأ فى حجر على فكانـــت عائشـــة تجد على على لهذا كله .

٢ ــ وعن بيعة طلحة والزبير ليزيد يقول طه حسين فى صفحة ٢٤٧ مـــن كتابه نفســـه :

(فالشئ المحقق هو أن معاوية قد استكره هؤلاء النفر على الصمت بعـــد أن لم يستطع أن يستكرههم على البيعة) .

ثم يقول (وكذلك استقر فى الاسلام لاول مرة هذا الملك الذى يقوم على البأس والبطش والخوف الذى يرثه الابناء عن الآباء) .

٣ ــ أما عن يزيد نفسه فيقول طه حسين فى صفحة ٢٥٨ (كان قبل ولايتـــه لعهد أبيه مسرفا على نفسه فى طلب اللذة والعكوف عليها والاستهتار بها حتى كـــر

حديث الناس فيه .. وكان الفتى مشغولا عن أبيه بسياسة شهواته الجامحة .. وقد أقبل على الملك دون أن ينصرف اليه عن لذاته أو يقلع عما كان عاكفا عليه من العبث واللهو والمجون) .

٤ - وعن ابن عباس يقول فى صفحة ١٣٤ (ورأى ابن عباس نجم ابن عمه فى أفول ونجم معاوية فى صعود فأقام فى البصرة ففكر فى نفسه أكثر مما يفكر فى ابن عمه وفى هذه الخطوب التى كانت تزدحم عليه وكأنه أثر نفسه بشىء من الخير وسار فى بيت المال سيرة تخالف المألوف من أمر على ومن آمره هو) .

٥ - فى كتاب (على هامش السيرة) صفحة ٣٢٧ حيث ذكر عنوان كبير بهذه الصورة " شوق الحبيب الى الحبيب " فيقول (واذ هو يمتحن فى ذلك نبيه ، ويمتحن فى ذلك زيدا ويمتحن فى ذلك المؤمنين الصادقين جميعا يلقى فى قلب النبى حب زينب زوج زيد ويلقى فى قلب زيد الانصراف عن زينب والنفور منها) .

ثم يقول عن النبى صلى الله عليه وسلم (وهذه نفس مضطربة أشد الاضطراب ممتنعة أشد الامتناع واجمة أشد الوجوم ترفض هذا الحب رفضا وتزود عنه ازدرا،ا ، واذا هى تنكره حتى على نفسها ولكن الله يبدى ما تخفى ويعرف الناس ما تنكره) . مع أن طه حسين ممن يقال عنهم أنه كان يحفظ القرآن الكريم ، ولكن تأثره بالمستشرقين منعه أن يرجع الى قوله تعالى " فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرجا فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا " .

ثانيا ـ الدكتور عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية :

١ ـ يتحدث الدكتور ماجد عن حياة العرب وهو متأثر بغيره من المستشرقين فيقول فى صفحة ٦١ / ٦٢ ج١ (وكان بعض الاعراب يذبحون الكلاب كقبيلة بنى أسد أو يأكلون لحوم الناس كقبيلة هذيل ، أو يأكلون الجراد كقبيلة طىء ، كما أن بعض الاعراب كانوا يأكلون الحيات والعقارب والجعلان والخنافس أو حتى القمل) .

٢ ـ وفى ص ٩٨ ج ١ يقول (وفجأة فى سن الاربعين يملك محمد موهبة النبى أو الرسول) .

٣ ـ وعن الحج فى الاسلام يذكر فى ص ١٢٥ ج ١ فيقول (وقد أناب فيه أبا بكر صديقه يقرأ عليهم سورة براءة التى يتبرأ فيها محمد ممن يحج من المشركين) كأن محمد هو الذى يتبرأ .

٤ ـ وفى ص ٢٥٠ ج ١ يقول (كما أن النبى كان ينسخ بعض الايات التى أملاها ويأتى بأخرى محلها) .

٥ ـ ويقول فى ص ١٢٨ ج ١ عن الدعوة وعن الرسول (وهو وان أرسل الى العرب الا أنه اعتبر نفسه أنه مرسل لكافة الناس) .

٦ ـ وفى ص ١٣٤ ج ١ يقول عن الزكاة (وانه من الخطأ أن نتصور أن اهتمام الاسلام بالزكاة يرجع الى المشاكل الاجتماعية فى جميع حالاته ، أو أنه نوع من التضامن الاجتماعى كما فى وقتنا) .

٧ – وينكر المعجزات النبوية سوى الوحي فيقول في ص ١٠٢ ج ١ (ولكن محمدا لم يرض أن تنسب اليه معجزة غير نزول الوحي عليه من قبل الله فكان يرد عليهم بقوله (قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا) .. (١)

٨ – وفي ص ١٣٧ ج ١ يذكر تحريم الربا فيقول (وكذلك حارب الربا كل المحاربة وذلك لان معظم القائمين به هم اليهود) وكأنه مشرع لغرض شخصي .

٩ – ويقول في ص ١٦٣ ج ١ عن دوافع الفتح (ولكنا لا نوافق بعض المستشرقين في قولهم أن العرب كانوا مدفوعين نحو الفتوح بالحماس الديني وأن الحروب التي قاموا بها تعتبر حروب دينية ، فنحن لا نظن أن العرب ـ ومعظمهم من البدو ـ كانت تسودهم الروح الدينية والرغبة في نشر الاسلام) .

١٠ – وفي ص ٢٢١ ج ١ يقول (ان العرب لم يستطيعوا فتح هذه القرى – قرى مصر – الا بعد أن أحرقوا المزارع ، وسبوا أهلها) .

١١ – وفي صفحة ١٨٠ ج ١ يقول (ولقد كان للانتصار في أجنادين وقع عظيم ، بحيث اعتقد المسلمون أن هذا النصر من الله) .

١٢ – وفي صفحة ١٨٣ ج ١ يذكر سبب عزل عمر بن الخطاب لخالد بن الوليد فيقول (وان كان من الجلي أن الرجال الاشداء يخشون الاشداء مثلهم) .

---

(١) سورة الاسراء – آية ٩٣

١٣ — ويذكر على السيدة عائشة أن سبب خروجها فى معركة الجمل الاصلاح فيقول فى صفحة ٢٦٣ ج ١ (وقد حاولت عائشة أن تثير العرب فى هذه النواحى على علىّ ، على أساس أن غايتها الاصلاح) .

وقد ذكر عائشة ضمن الحاقدين على على لقبوله الخلافة من أيدى قتلة عثمان فيقول فى ص ٢٦٢ ج ١ (ومن بينهم أزواج النبى وعلى رأسهم أم المؤمنين عائشة) . وفى هذه المرة ذكر بقية نساء الرسول ولم يذكر ذلك أحد خلافه والمذكور هو موضوع السيدة عائشة .

١٤ — وعن عثمان يقول فى صفحة ٢٥٥ ج ١ (ثم ان عثمان لم يراع المصلحة العامة بقدر رعايته لمصلحة أقربائه) .

١٥ — ويقول عن فتح المسلمين للاندلس فى صفحة ٢٠٤ ج ٢ (قيل أنهم طبخوا من قتلاهم من الاسرى فى القدور) .

٥ ٥ ٥

<u>ثالثا — الدكتور علي حسني الخربوطلي — الدولة العربية الاسلامية :</u>

١ — يقول فى صفحة ١٢٤ (فان نبأ مبايعة على وقع عليها وقوع الصاعقة ولم تستطع أن تخفى شعورها أو تكتم غيظها ، بل اعلنتها عليه حربا شعواء مدفوعة فى ذلك بأحقاد شخصية بحتة) .

ويذكر فى هامش كتابه أن تلك الاحقاد الشخصية مركزة فى نقطتين هما :

١) كرهها لفاطمة زوجة على لانجابها الحسن والحسين .

٢) حديث الافك .. وقد نقل هذا عن طه حسين فى كتابه " على وبنوه " .

ويعلق الدكتور الخربوطلى على ذلك فيقول (وكانت السيدة عائشة تسعى لتحويل الخلافة اليه ــ عبد الله بن الزبير ــ فقد حرصت عائشة على أن يصلى بالناس خلال الحرب ــ حرب الجمل ــ ونحن نعلم مدى أهمية ذلك) .

٢ ــ ويقول فى صفحة ١٢٦ آخذا برأى المستشرق كاترمير : (حيث يقول انه لم يكن بين العرب الطامعين فى الخلافة فى القرن الاول الهجرى باستثناء على رجل اجتمعت له الحقوق والمؤهلات سوى شخص واحد هو عبد الله ابن الزبير) .

٣ ــ وفى صفحة ٢٢٢ فيقول (اهتم عبد الملك بانشاء الابنية فبنى المسجد الاقصى والصخرة اثناء قتال ابن الزبير ليحول الناس عن الحج الى مكة) .

٥ ٥ ٥

رابعا ــ الدكتور أحمد شلبى ــ التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية :

١ ــ يقول عن عائشة فى صفحة ٣٣٧ ج ١ (كانت ثائرة على عثمان وكانت هى وطلحة من أشد الناس انتقادا له ، ولما حوصر عثمان تركت عائشة المدينة وذهبت الى مكة فلما قتل عثمان خرجت من مكة تقصد المدينة فلما عرفت أن البيعة تمت لعلى غضبت وقالت والله لا يكون هذا الامر أبدا ، قتل عثمان مظلوما والله لاطالبن بدمه) .

ثم يقول (هل كان حزن عائشة على عثمان هو الذى دفعها الى ذلك العمل والحقيقة لا .. فقد كانت هناك عوامل أبعد غورا نذكر أهمها :

١) حديث الافك .

٢) نفس على على أبى بكر الخلافة وامتنع عن مبايعته زمنا ، فلماذا تسرع عائشة لمبايعة على ؟ ولماذا تتركه يهنأ بهذه الخلافة ؟

٣) عدم انجابها من الرسول وانجاب فاطمة من على .

٢ ـ يقول فى صفحة ٤٤ جـ ٢ (ولم يكن معاوية يقصد الخير للمسلمين فى تعيين ابنه يزيد بقدر ما كان يقصد تهيئة أسباب السعادة لابنه) .

٥ ٥ ٥

خامسا ـ الدكتور حسن ابراهيم حسن ـ تاريخ الاسلام السياسى :

يقول فى صفحة ٢٥٧ جـ ١ عند ذكره تقليد عبد الرحمن بن عوف لعثمان الخلافة قال على بن أبى طالب لعبد الرحمن (لقد حبوته حبو دهر ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا ، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون والله ما وليت عثمان الا ليرد الامر اليك والله كل يوم هو فى شأن ومن ثم نرى أن التنافس قد ظهر عند ذلك الوقت بين عثمان وعلى) .

٥ ٥ ٥

سادسا ـ الدكتورة بنت الشاطئ ـ نساء النبي :

وتقول فى صفحة ٤٧ احين حديثها عن زواجه صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش (أفينكر على بشر رسول أن يرى مثل زينب فيعجبها ؟ وماذا يطلب من مثله ـ فى سمو خلقه وعفة ضميره ـ أكثر من أن يشيح بوجهه عن أعجبته وهو يسبح باسم الله العظيم مقلب القلوب وأى ضبط للنفس ينتظر من بشر رسول أكثر من أن يجيئه زيد فيستأذنه من جديد فى طلاقها فيأبى عليه الا أن يمسكها ويتقى الله ؟) .

٥٥

هؤلاء هم الذين لمعت اسماؤهم فى سماء التاريخ والادب وأخذ عنهم الشباب فى المعاهد والمدارس ونقلت عنهم المعرفة باعتبارهم أساتذة المدرسة الحديثة فى التاريخ الاسلامى .

ثم تبين لنا فيما بعد أننا كنا معصوبى العينين محجوبين عن الرؤية كنا نرى بعيونهم ونفكر بعقولهم وما كنا ندرى أنهم نقلوا عن المستشرقين الذين خبثت نواياهم واشتد حقدهم على الاسلام ، فأخذوا يشوهون التاريخ الاسلامى ويفترون على المسلمين افتراءات واضحة .

وحين كانت كتابات المستشرقين بلغاتهم ، كنا نشك فيما كتبوا ونأخذ الحيطة عندما نقرأ ما كتبوا ..

ولكن لما صار الكاتب عربيا ، واللسان عربيا ، والقيادة الفكرية عربية ، سلمنا واعتقدنا أن الصواب فيما كتبوا ، حتى تبين لنا أن هؤلاء الكاتبين كانوا أبواقا تذيع ما كتبه المستشرقون بغير تصرف أو نقد أو تعليق .

هنالك كان لابد لنا من كشف ما ستره هؤلاء عن عيون الشباب المتعلمين حتى يتنبهوا الى هذه المزالق ويراجعوا هذه الافكار المسمومة ليقيسوها بمقياس العدل والحق والواقع الذى كان عليه الرعيل الاول من المسلمين وسارت على نهجه الامة الاسلامية .

-٠-

تعريف بأهم المراجع

من الطبيعى أن تبدو للباحث فى بحثه أهمية بعض المصادر والمراجع التى عاش معها فى بحثه صاحبه طويلا ، ولما كان موضوع هذا البحث موضوعا اسلاميا ، والمراجع التى تمدنا بالمعلومات معظمها من المراجع والمصادر القديمة ، كان لزاما علينا أن نكتب تعريفا ببعض هذه المصادر والمراجع حتى يتمكن الباحثون فى مثل هذا الموضوع أن يرجعوا اليها لينتفعوا بها فى بحوثهم ومعلوماتهم .

فمن بحثى هذا وجدت فى بعض المراجع ما يغطى معظم بحثى ، وذلك اما لاتساع الفترة المؤرخ عنها فى بعض هذه المراجع مثل كتاب الطبرى ، وكتاب الكامل لابن الاثير ، فهذان الكتابان وغيرهما تعتبر مراجع مهمة اعتمد عليها المستشرقون فى اذاعة ونشر وتلفيق أخبار ذكروا أنهم أخذوها من هذه المراجع التى خرجوا منها بمفترياتهم ، فأصبح لزاما علينا أن نعود اليها لنحقق مدى صحة هذه الفرية ولنبين للقارىء أن هذه الكتب جمعت آراء مختلفة وروايات متعددة فمنها الصحيح ومنها المزيف الموضوع ، فلما جاء المستشرقون سقطوا على الروايات المدسوسة والآراء المكذوبة ووجدوا ضالتهم المنشودة نقلا عن المؤرخين المسلمين .

ومن أجل ذلك كان لزاما على أن أنوه بالمراجع التى وضعت الحق فى نصابه وكشفت الستار عن زيف المزيفين ، فمن هؤلاء ابن خلدون فى المقدمة التى ناقش فيها بعض القضايا التى لم يكن كسابقيه فيها فى الاكتفاء بالنقل بل نجده يبحث فى أصلها وصحة أسانيدها فان اتفقت مع الواقع ومنطق العقل ذكرها وان كانت على غير

ذلك فندها وابطلها وأظهر زيفها . كما استعنت ببعض المراجع التى تناولت بعض هذه القضايا من المؤرخين المحدثين والمشتغلين بالقضايا الاسلامية مثلا كتاب " اباطيل يجب أن تمحى من التاريخ " للدكتور ابراهيم شعوط ، وكتاب " دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مزاعم المستشرقين " للشيخ الغزالى وكتاب الاستاذ أحمد محمد جمال "مفتريات على الاسلام" ..

فأحببت أن أدعم بحثى بآراء المصنفين من المستشرقين لتكون شهادة من بعضهم على بعض فتسقط حجة المفترين .

وسأكتب كلمة مختصرة أبين بها قيمة بعض هذه المراجع ومدى افادتى منها فى بحثى لينتفع بها من أراد أن يكتب مرة أخرى فى هذا الموضوع .

أولا ــ كتاب الرسل والملوك

لابن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ وهو من كتب التاريخ الجامعة لاخبار العالم ابتداء من أول الخلق وانتهى الى سنة ٣٠٩ هـ ، رتبه مؤلفه على السنوات وذكر ابن الجوزى أنه بسط الكلام فى الوقائع بسطا وان لم يصلنا الا مختصرا ، ولم يصلنا سوى احد عشر مجلدا منه فقط . (١)

كما اهتم مؤلفه باثبات القصة أوالواقعة التاريخية عن طريق الرواية ــ العنعنة ــ وقد حاكاه ونقل عنه من جاء بعده ممن مؤلفين كابن مسكويه ، وابن الاثير .

---

(١) كشف الظنون جـ ١ ص ٢٩٧

ولعل من مميزات هذا الكتاب أن صاحبه لم يقتصر على ذكر رواية واحدة بل كان ينقل الروايات المختلفة مهما كان ناقلها فيضعها كلها أمام القارىء ، فمنها الغث ومنها السمين ، ومنها ضعيف السند والمشكوك فى روايته وليأخذ منها القارىء مايروقه اذا أراد الاستدلال على صحة وجهة نظره .

وقد اعتمد بن جرير فى رواياته حسبما جاء فى مقدمة كتابه على سيف بن عمر وابو مخنف رغم انهما غير ثقة .. فسيف بن عمر قال عنه ابن معين : ضعيف الحديث وقال أبو داود ليس بشىء وقال النسائي والدارقطنى ضعيف ، وقال بن عدى احاديثه مشهورة وعامتها منكرة ، وقال بن حبان : قالوا له : كان يضع الحديث وقال ابن حبان والحاكم ان سيف بن عمر اتهم بالزندقة وقال عنه الدار قطنى : انه متروك .(١)

أما أبو مخنف وهو لوط بن يحيى — اخبارى لا يوثق به ، تركه أبو حاتم وغيره وقال الدارقطنى : ضعيف ، وقال يحيى بن معين ليس بثقة وقال ابن عدى : شيعى . وقال أبو عبيد الاجرى سالت اباحاتم عنه فنفض يده ، وذكره العقيلى فى الضعفاء . (٢)

وقد نقله كتاب الطبرى الرسل والملوك الى الفارسية أبو على محمد البلعمى من وزراء السامانية سنة ٣٥٢ هـ ونقله غيره الى التركية وهو المتداول بين عوام الروم ، وعليه ذيل لابى محمد عبد الله بن محمد الفرغانى وعرف هذا الذيل بالصلة . (٣)

---

(١) ابن حجر العسقلانى — تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٢٩٥—٢٩٦

(٢) ابن حجر العسقلانى — لسان الميزان ج ٤ ص ٤٩٢ ، بيروت مصور عام ١٣٩٠ هـ عن طبعة ١٣٣٠ بالهند

(٣) كشف الظنون ج ١ ص ٢٩٨

أما مؤلف هذا المرجع فهو أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ،ولد سنة ٢٢٤هـ الموافق ٨٣٩ م وتوفى سنة ٣١٠هـ الموافق سنة ٩٢٣م ،وهو مؤرخ ومفسر وفقيه ولد فى أمل بطبرستان واستوطن بغداد وتوفى بها ،تنقل بين العواصم الكبرى طلبا للعلم ،حفظ القرآن صغيرا ،أقام فى العراق فعرض عليه القضاء فامتنع والمظالم فأبى[١]

قال عنه ابن الاثير " أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ " .

وكان اعتمادى على طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٩م فى بعض الموضوعات الاتية مثل :

١) زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش .

٢) موقف السيدة عائشة من الامام على بن أبى طالب .

٣) قصة العباسة وبطلان زواجها المزعوم من جعفر البرمكى .

ثانيا ــ الكامل فى التاريخ

وهذا لا ينقص أهمية عن سابقه بالنسبة لمراجع التاريخ الاسلامى ،وهو يتكون من اثنى عشر مجلدا ومجلد آخر جعل للفهارس ،والكتاب مرتب حسب السنين ابتداء مؤلفه فى الكتابة من بدء الخليقة وانتهى الى سنة ٦٢٩هـ .[٢]

فهو سائر على نهج الامام الطبرى فى كتابه ، فقد اعتمد عليه فى نقل الاخبار عنه ،الا أنه اتبع فيه منهجا جديدا فهو لم يذكر رواة القضية بل اكتفى بنقلها مجردة

---

(١) الاعلام للزركلى جـ ٦ ص٢٩٤ ، الموسعة العربية ص ١١٥٣

(٢) كشف الظنون جـ ٢ ص١٣٨٠

عن العنعنة ،وقد نقل عن الطبرى من بداية الخليقة الى سنة ٣٠٩هـ وهو حيث ما وقف الطبرى ثم دون معلوماته بعد وفاة الطبرى بصورة مفصلة حتى سنة ٦٢٩ .

وأصبح حجة فيما نقل فى كثير من الروايات بحيث لم يزد عليه أحد من مؤلفى عصره حيث أصبح الكل بعده عيال عليه .

طبع هذا الكتاب عدة مرات ،وعنى به المستشرقون فطبعوه طبعة علمية بليدن سنة ١٨٦٦م .

كما علق عليه جمال الدين محمد بن ابراهيم الوطواط المتوفى سنة ٧١٨هـ ، حواشي مفيدة ،وزيله على بن الساعى المتوفى سنة ٦٧٤هـ فى خمسة مجلدات .[١]

وترجمه الى الفارسية مولانا نجم الدين الطارمى وهو من أعيان دولة ميرزا يرشاه وقد اعتمدت على طبعة بالاوفست ببيروت سنة ١٩٦٦م .

أما مؤلفه فهو أبو الحسن على بن محمد بن الاثير الشيبانى الجزرى ،ولد ونشأ فى جزيرة بن عمر من أعمال الموصل سنة سنة ٥٥٥هـ الموافق ١١٦٠م وتوفى سنة ٦٣٠ هـ الموافق ١٢٣٤م ،رحل الى دمشق وبيت المقدس ثم عاد واستقر فى الموصل وانقطع للعلم والتأليف ،فألف كتابه الكامل وله أيضا أسد الغابة فى معرفة الصحابة ،وتحفه العجائب وطرفه الغرائب والجامع الكبير ،واختصر كتاب الانساب للسمعانى [٢] .. وقد استعنت به فى الرد على كل من (بروكلمان) و (فيليب حتى)

---

(١) المصدر السابق

(٢) الموسوعة العربية الميسرة ص٩

في بعض الموضوعات :

١) أحقية معاوية في تولية يزيد .

٢) نفي التهم التي الصقت بيزيد بن معاوية .

٣) نفي التهم التي الصقت بعبد الملك بن مروان وابنيه الوليد وهشام .

ثالثا ــ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر

وهو مكون من سبعة مجلدات ، الاول منهم يحتوي على ٥٨٨ صفحة وهو المقدمة وهي ذات موضوع خاص لاشتمالها على نصوص في أصول العمران والنظريات الفلسفية والسياسية واضاف فيها العلوم ، كما اشتملت المقدمة على أصول علم الاجتماع وطرق التربية بالنسبة للنشئ ، فانتقد فيها البدء بتعليم القرآن والاقتصار عليه لان الاطفال في هذه الحالة يقرؤون ولا يفهمون فلاتحصل لهم الملكة اللغوية .

ونعى فيها على الفلاسفة المتقدمين ، اقتصارهم على دراسة العالم العلوي والذات الالهية ، وقولهم بآراء لا يمكن لهم أن يبرهنوا عليها .

وقد ترجمت هذه المقدمة الى الفرنسية وغيرها من اللغات ، وترجمها الى الفارسية الشيخ محمد بير زادة المتوفي سنة ١١٦٢ هـ ، وشرحها الشيخ أحمد المغربي المقري سنة ١٠٤١ هـ [1] كما قام بتحقيقها السيد الدكتور عبد الواحد وافي في ثلاثة مجلدات .

---

(١) كشف الظنون جـ ١ ص ١١٢٤

ولابن خلدون منهج خاص فى مقدمته هذه بالنسبة لعلم التاريخ ، فقد جعل للبحث فى الوقائع قواعد خاصة ، فالوقائع التاريخية فى منهج ابن خلدون التاريخى ترتبط بعضها ببعض ارتباط العلة بالمعلول ، وبهذا جعل ابن خلدون علم التاريخ فرعا من فروع الفلسفة ، وجعل لمقدمته هذه موضوعا خاصا هو الحياة الاجتماعية ، وما يتصل بها من حضارة مادية وعقلية ، والتى راى انها تتطور من حال الى حال ، كحال البداوة ، وحال الاسرة الحاكمة أو القبيلة ، وحال الدولة المتحضرة المستقرة فى المدينة ، وعلى ذلك بحث ابن خلدون فى أصول العمران والملك والكسب والعلوم والصنائع المختلفة ، فكان فذا بين فلاسفة المسلمين مما جعله مؤسسا لفلسفة التاريخ . (١)

أما الاجزاء الستة الاخرى فهى فى علم التاريخ وكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ذو قيمة كبرى بين كتب التاريخ الاسلامى .

وكتب ابن خلدون عن التاريخ منذ بدء الخليقة حتى عصره ورتب كتابه حسب السنين ولم يلتزم فيه بتحقيق الروايات التاريخية كما اشترط ذلك لكتابة التاريخ فى مقدمته ، وقسم كتابه الى قسمين ، (القسم الاول) يتكلم فيه عن أحوال العرب (والقسم الثانى) عن أخبار البربر بديار المغرب ، وختم كتابه بالتعريف عن نفسه فعقد فصلا فى ٧٦ صفحة بعنوان التعريف بابن خلدون .

أما مؤلف الكتاب فهو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المولود سنة ٧٣٢هـ الموافق ١٣٣٢م ، والمتوفى سنة ٨٠٨هـ الموافق ١٤٠٦م .

---

(١) الموسوعة العربية ص ١٤

مؤرخ اجتماعى ، فيلسوف عربى مسلم ، ينتهى نسبه الى وائل بن حجر من عرب اليمن ،أقامت اسرته فى تونس ، حيث ولد ونشأ ، وتعلم بها ،وتنقل فى بلاد العرب والاندلس ثم أقام بتلمسان وشرع بها فى تأليف تاريخه ، ثم عاد الى تونس ومنها انتقل الى مصر واتصل بسلطانها برقوق ،فولاه قضاء المالكية ،حج الى مكة سنة ١٣٨٧م رافق جيش المماليك الذى انغذ لصد زحف تيمورلنك ،ثم انقطع بعد ذلك للتأليف فى مصر وأتم كتابه العبر .

وقد انتفعت به فى الرد على كل من (بروكلمان) و (حتى) فى بعض الموضوعات مثل :

١) تبرير موقف معاوية من تحويل الخلافة الى ملك.

٢) اثبات أن ما وضع من أخبار لهو الخلفاء فى كتب الادب انما مبعثه هو انهماك الكتاب انفسهم فى الملذات المحرمة فوضعوها ليبرروا لانفسهم سوء فعلهم .

٣) موقف الامام على رضى الله عنه بجانب سيدنا عثمان رضى الله عنه فى محنته .

رابعا ـ حضارة العرب

للمستشرق الفرنسى " جوستاف لوبون " فى مجلد واحد مكون من ٦٥٩ صفحة وقد قسمه مؤلفه الى ستة أبواب كل باب منها يحتوى على عدد من الفصول .

كما يشتمل على عشر لوحات وأربع خرائط و ٣٣٦ صورة فوتوغرافية من تصوير المؤلف نفسه .

يهتم الكتاب بتاريخ العرب والمسلمين ولكن المهم فيه أن هذا الكتاب أعطى

العرب والمسلمين حقهم من الانصاف ، فاعترف بعبقرية الاسلام وشموخه ،وأثره على معتنقيه ، وانصف الحضارة الاسلامية ،واشاد بفضلها على الحضارة الاوربية ،

فبحث هذا الكتاب فى جميع إحوال العرب والمسلمين من حيث الاصل والنسب والارض والوطن ، أى من حيث الجغرافيا والطبائع والنظم فى المدن والارياف فى الحضر والبدو ووضح نظمهم السياسية والاجتماعية ،ومن حيث الاتصالات بين الشعوب الاسلامية التى حصلت أثر الفتح الاسلامى ،

كما بحث فى الاسلام وكيف انتشر حتى اضحى له تلك الدولة المترامية الاطراف فاهتم الكتاب بالبحث فى احوال شعوب البلاد المفتوحة من جميع نواحيها الاجتماعية والسياسية وأثرها على العرب وأثر العرب الفاتحين فيها ،

وناقش الحضارة العربية مصادرها ومناهجها ، وأثرها على الشعوب والحضارات الاخرى ، وأشاد بشمولها وبقائها وخصص لها باب قائم بذاته وهو الباب الخامس من الكتاب ، فعرض وبحث فيه جميع فروع الحضارة فتحدث عن اللغة والفلسفة والتاريخ ، عن الرياضيات وعلم الفلك ،عن العلوم والجغرافيا ،عن الفيزياء وتطبيقاتها عن العلوم التطبيقية عند المسلمين ، عن الفنون بجميع نواحيها من عمارة ونسيج من نحت ونقوش وما الى ذلك ،

تحدث عن تجارة العرب واتصالاتهم بالشعوب الاخرى وتمدينهم للمدن الاوربية ،

ثم خصص بابا آخر وهو الباب السادس عن أسباب انحطاط حضارة العرب فى

الشرق وكيف ورث الغرب حضارة الشرق .

ثم ختم الكتاب بفصل يصف فيه حال الاسلام الحاضر .. وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات آخرها كانت سنة ١٩٦٩ م في القاهرة ، كما قام بترجمة هذه الطبعة من الفرنسية الى العربية الاستاذ عادل زعيتر ، وهذه الذى اعتمدت عليها .

أما مؤلف الكتاب فهو المستشرق الفرنسي جوستاف لوبون ، ولد سنة ١٨٤١ وتوفى سنة ١٩٣١ م ، وهو من علماء النفس والاجتماع ، ألف عددا من الكتب في علم النفس والاجتماع .. وقد أفادني في الرد على (بروكلمان) و (حتى) في بعض الموضوعات مثل

١) طبيعة الفتح الاسلامي وحسن معاملتهم لاهل البلاد المفتوحة .
٢) اثبات معرفة العرب بامور البحر ، وان عرب الشام هم سادة البحر الابيض .
٣) اصالة اللغة العربية وعمقها الحضاري .

خامسا ـ الدعوة الى الاسلام

للمستشرق الانجليزي السير توماس ارنلد ، وهو مقسم الى ثلاثة عشر بابا وعدد صفحاته ٥٢١ مع الفهارس ، ويتميز الكتاب بالبحث عن تاريخ نشر العقيدة الاسلامية كما اتصف بالانصاف للاسلام والمسلمين .

الباب الاول اختص بالتعريف عن الدين الاسلامي واساليب انتشاره .

والباب الثاني دراسة مستوفية عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم باعتبار ه داعية الى الاسلام .

وخص عشرة ابواب منه لكيفية انتشار الاسلام بين شعوب العالم ، فقسم العالم

الاسلامى الى عشر مناطق ، وخص كل منطقة من العالم بباب خاص .

أما الباب الاخير وهو الثالث عشر ، فعقده عن دعاة المسلمين واشار فيه الى وجوب وجود هيئة منظمة للدعوة الى الاسلام وبين فيه المهمة الملقاة على عاتق الافراد وعوامل نجاحهم .

وطبع فى لندن سنة ١٨٩٦ وهو أول طبعاته ، ثم ترجم الى العربية والتركية والاردية [1] . وقد ترجمه الى العربية وعلق عليه الدكتور حسن ابراهيم حسن ، والدكتور عبد المجيد عابدين ، والاستاذ اسماعيل النحراوى ، كما قام بمراجعة الترجمة الاستاذ مصطفى السقا .

وقد طبعت النسخة المترجمة ثلاث مرات فى القاهرة ، الاولى كانت سنة ١٩٤٧م والثانية ١٩٥٧ ، أما الثالثة والاخيرة والتى اعتمدت عليها فى سنة ١٩٧٠م .

أما مؤلف الكتاب فهو السير توماس ارنلد ولد سنة ١٨٦٤م وتوفى سنة ١٩٣٠م مستشرق انجليزى ، تعلم فى كمبردج وعمل استاذا للفلسفة بجامعة عليكرة بالهند كان أول استاذ فى قسم الدراسات العربية بمدرسة اللغات الشرقية بلندن ، تتسم كتاباته عن بعض قضايا التاريخ الاسلامى بالحياد والانصاف .

من أهم اثاره كتابنا الذى نحن بصدده وهو الدعوة الى الاسلام ، وكتاب الخلافة الذى طبع بأكسفورد عام ١٩٢٤م . وقد أفادنى كتابه الدعوة الى الاسلام فى الرد على بروكلمان وحتى فى بعض الموضوعات مثل :

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة ص ١٢٥

١) فى الرد على من حاول الصاق الشبه حول حقيقة النبوة ٠

٢) طبيعة الفتح الاسلامى وان الفاتحين ليس لهم أطماع فى الفتح غير نشر الدعوة الاسلامية ٠

٣) اثبات أن معظم الشعوب المفتوحة دخلت الاسلام ،رغبة فيه وهروبا من الاوضاع الغير مستقرة بالنسبة للكنيسة وللحكومات السابقة للفتح الاسلامى ٠

-٠-

الخاتمـــة

عندما كلفت بهذا الموضوع ، موضوع ((دراسة نقدية لآراء "فيليب حتي" و "كارل بروكلمان")) قرأت كتاب "تاريخ العرب المطول" لفيليب حـــتي وقرأت كتاب "تاريخ الشعوب الاسلامية" لكارل بروكلمان ، فوجدت في كلا الكتابين قضايا وموضوعات وقفت أمامها أفكر كيف صدرت هذه الافكار والقضايا من عالمين كبيرين يشار اليهما بالبنان في مجال الكتابات التاريخية .

وجدت هجوما غير كريم على المقدسات الاسلامية وأكاذيب موضوعة تمس عقيدة المسلمين كما تمس شخصية الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، واتهامات شائنـة لكبار الصحابة في صدر الاسلام ، ثم تتبعهما للروايات المزيفة ومقالات أصحاب الاهواء ليتخذ كل منهما دليلا من هذه الروايات المتهافتة على صحة وجهة نظـر كل منهما .

ثم تابعت القراءة في أمهات الكتب التاريخيــة فاتضح لي مدى ما يكتبـه كل من بروكلمان وفيليب حتي من حقد على الاسلام ورجاله .

ولقد ساعدتني المعلومات التي حصلت عليها من قراءاتي لمصادر التاريـخ الاسلامي ولما نعلمه من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، ساعدتني هـذه المعلومات على رد هذه الافتراءات بما تحتاجه كل فرية من الرد عليها سواءا مـن القرآن الكريم حين أجد التعرض والهجوم على القرآن الكريم ومن الحديث النبـوي

حين أحس بأن الهدف هو الطعن في أحاديث رسول الله ، وبالمنطق والعقل والحجة حين أحس بانحراف عن المعقول في كتابة هذين الرجلين .

ولقد اسعفني وقوى حجتي في الرد على كثير من الرميات التي وجهها كل منهما الى الاسلام ورجاله بعض المستشرقين الذين لم تجرفهم تيارات العصبية ولم تأخذهم حمى البغض للاسلام ، فكتبوا ما أعانني على الرد بآرائهم على اخوانهم في الملة والدين .

وأخذت أبحث في كتابات المحدثين ومؤلفات المعاصرين لاجد فيها مايطمئنني على صحة ردودي وسلامة موقفي أمام هذه الضلالات والافتراءات .. فوجدت في كتب القدامى تصحيحا لبعض القضايا التي اعتمد كل من فيليب حتي وكارل بروكلمان على نشرها واذاعتها .

وجدت ابن خلدون في مقدمته يصحح الآراء الفاسدة التي عنى بها خصوم الاسلام وشوهوا الحقيقة التي كان ينبغي أن يعرفوها ، وكذلك وجدت في كتاب العواصم من القواصم لابن العربي ما استطعت به أن أرد كيد هؤلاء الناس وأمثالهم في نحورهم .

وكذلك شد من أذري وأنار الطريق أمامي عدد من فضلاء الكتاب والمؤرخين المعاصرين أمثال فضيلة الاستاذ الشيخ محمد الغزالي في كتبه دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مزاعم المستشرقين ، التعصب والتسامح بين المسيحية والاسلام وكتاب مع الله .

وكذلك فضيلة الدكتور الشيخ ابراهيم شعوط في كتابه " اباطيل يجب أن تمحى من التاريخ " .

والاستاذ أحمد محمد جمال في كتابه " دفاع عن الاسلام " ..

وفي اثناء معايشتي لهذه القضايا وقع في يدي ما انتجه فريق من الكتاب المعاصرين الذين درسوا في مدارس المستشرقين فراعني ما وجدت في هذه الكتب التي تحمل اسماء اساتذة كبار وتدرس في الجامعات العربية والاسلامية ..

راعني أن ما وجدته من الانحراف في الفكر والتجني على الاسلام ، انهم تأثروا بما كتبه كل من فيليب حتي وكارل بروكلمان من قضايا ظهر فيها الحقد والمكر السيء بالاسلام والمسلمين ..

ثم ادركت أن ما اراده بروكلمان وفيليب حتي من الحط من شأن الاسلام وبلبلة افكار الشباب المسلم لاتساوي شيء بجانب ما أحدثته كتب ومؤلفات هؤلاء الاساتذة المسلمين الذين صارت لهم الهيمنة الفكرية على عقول الشباب في الجامعات والمدارس الاسلامية .

وخرجت من بحثي هذا بهذا الجهد المتواضع الذي حاولت أن أجعل منه مشاعل على الطريق لمن يريد السلامة في مسيرة التاريخ .

واعتبر ان بحثي هذا محاولة للدفاع عن الاسلام وتصحيح بعض القضايا التي تعمد خصوم الاسلام أن يضعوها بارزة أمام عيون الشباب المسلم واعتبرها احدى اللبنات الاولى التي أرجو أن يكتمل في البناء عليها بجهد الباحثين الذين أرجو

أن يرزقهم الله التوفيق والسداد بما ينتجوه من آراء وكتب تمتلىء بها عقـــول الشباب وعيونهم وتحل محل ما كتبه هؤلاء الذين نهجوا نهج اساتذتهم من المستشرقين

والله وحده المستعان والمرجو في كل نائبة أنه نعم المولى ونعم النصير ٠٠

-٠-

حسن ٥

قائمة بأسماء المصادر والمراجع

(مرتبة ترتيبا هجائيا ـ بالنسبة لشهرة المؤلف)

قائمة بأسماء المخطوطات :

١ الضباع : محمد بن أحمد
تحصيل المرام فى أخبار البيت الحرام
رقم الايداع ٦٨ بمكتبة الحرم المكى

٢ الظاهرى : أبو محمد على بن أحمد ت ٤٥٦ هـ
اسماء الصحابة والرواة
رقم العدد
رقم الايداع ٢٥٤ دار الكتب المصرية

٣ العجمى : على بن حسن
تاريخ مكة والمدينة والطائف
رقم الايداع ٦١ مكتبة الحرم المكى .

٤ محب الدين : عبد الكريم الحنفى
اعلام العلماء الاعلام ببناء المسجد الحرام
رقم الايداع ٩٣ مكتبة الحرم المكى

٥ الهيثمى : احمد بن حجر ت ٩٧٤
تطهير الجنان واللسان عن الخطورة بالتفوه بمثالب معاوية ابن ابى سفيان .
رقم الايداع ٢٥٠ مكتبة جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة .

أسماء المصادر والمراجع :

١ القرآن الكريـــــــــم

٢ ابن تيمية : احمد بن عبد الحلـــيم ت ٧٢٨هـ — الجواب الصحيح لمن بدل ديـــن المسيح . القاهرة ١٣٧٩

٣ ابن تيمية : أحمد بن عبد الحلـيم — منهـــاج السنــــة القاهرة ١٣٢١

٤ ابن الاثير : عزالدين ابوالحسن علي ابن محمد بن عبد الكريم الجـــزري الشيباني ت ٦٣٠هـ — أسد الغابــة في معرفة الصحابــة دار الشعب ــ القاهرة

٥ " " " " — الكامل في التاريـــــــخ بيروت ١٣٨٦

٦ ابن الجوزي : جمال الديـــن عبد الرحمن بن علي بن محمد بـــن علي بن جعفر . ت ٥٩٧هـ — تلقيح فهوم أهل الاثر في عيـــون التاريخ والسير القاهرة ١٩٧٥م

٧ ابن حجر العسقلاني : احمد بن علي ت ٨٥٢هـ — تهذيب التهذيـــب بيروت ١٩٦٨

٨ " " " " — لســان المـــيزان الهند ١٣٣١هـ

٩ " " " " — الاصابـــة في تمـــيز الصحابـــة دار الفكـــر ــ بيروت

١٠	ابن الخطيب: محمد محمد عبد اللطيف	حقائق ثابتة في الاسلام القاهرة ١٣٩٤
١١	ابن خلكان: ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد ت ٦٨١	وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان دار صادر - بيروت
١٢	ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون الحضرمي المغربي ت ٨٠٨هـ	كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر بيروت ١٣٩١
١٣	ابن سعد: محمد بن منيع الزهري ت ٢٣٠هـ	الطبقات الكبرى بيروت ١٣٨٠
١٤	ابن عبد الحكم: عبد الرحمن بن عبد الله - ت ٢٥٧هـ	فتح مصر ليدن ١٩٢٠
١٥	ابن عبد البر: عمر يوسف بن عبد الله ت ٤٦٣هـ	الاستيعاب دار الفكر - بيروت
١٦	ابن عبد ربه: احمد بن محمد الأندلسي - ت ٣٢٨هـ	العقد الفريد دار الشرق - بيروت
١٧	ابن عبد الوهاب: محمد ت ١٢٠٦هـ	مختصر سيرة الرسول القاهرة ١٣٧٩
١٨	ابن العربي: أبو بكر ت ٥٤٣هـ	العواصم من القواصم القاهرة ١٣٨٧
١٩	ابن قتيبة: ابو محمد بن عبد الله ابن مسلم الدينوري ت ٢٧٦هـ	الامامة والسياسة القاهرة ١٣٨٨

٢٠	ابن القيم: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ابي بكر ابن القيم الجوزيه ت ٧٥١هـ	أحكام أهل الذمة فى الاسلام دمشق ١٣٨١
٢١	ابن كثير: ابو الفداء اسماعيل ت ٧٧٤ هـ	تفسير بن كثير دار الفكر – بيروت
٢٢	" " "	البداية والنهاية بيروت ١٩٧٤
٢٣	ابن ماجه: ابوعبدالله محمد بن يزيد	سنن ابن ماجة بيروت ١٣٧٢
٢٤	ابن الوردى: زين الدين عمربن مظفر ابو الفوارس الكندى ت ٧٤٩هـ	تتمة المختصر فى اخبار البشر القاهرة ١٣٨٩
٢٥	ابن هشام: أبومحمد عبد الملك ت ٢١٣هـ	السيرة النبوية القاهرة ١٩٧٥
٢٦	ابو اسحاق: الشيرازى الشافعى	طبقات الفقهاء بيروت
٢٧	ابو حبان: محمد بن يوسف ت ٧٥٤هـ	البحر المحيط بيروت ١٣٩٨
٢٨	أبو رابيه: عبد الخالق سيد	جولة مع المستشرقين القاهره ١٣٩٦
٢٩	ابو رية: محمد	اضواء على السنة القاهرة ١٣٧٧

٣٠ أبو زهو : محمد محمد — الحديث والمحدثون — القاهرة ١٣٧٨

٣١ ابو السعود : محمد بن محمد العمادي الحنفي ت ٩٨٢ — تفسير أبو السعود — مطبعة السعادة ـ القاهرة

٣٢ ابوالفرج : علي بن الحسين الاصفهاني ت ٣٥٦هـ — الاغاني — مصر ـ بدون

٣٣ ابوالفضل : بن منظور — لسان العرب — بيروت ١٩٦٨

٣٤ ابو يوسف : يعقوب بن ابراهيم ت ١٨٢ — الخراج — القاهرة ١٣٩٢

٣٥ الباشا : حسن — دراسات في تاريخ الدولة العباسية — القاهرة ١٩٧٥

٣٦ آربري : د ٠أ٠ ج — المستشرقون البريطانيون — لندن ١٩٤٦

٣٧ ارنست — تركيا الفتاة — بيروت ١٩٦٠

٣٨ ارنولد : توماس — الدعوة الى الاسلام — القاهرة ١٩٧٠

٣٩ انطنيوس : جورج — يقظة العرب — القاهرة ١٩٦٩

٤٠	البخارى : أبو عبدالله محمد بن اسحاق ت٢٥٦هـ	صحيح البخارى	القاهرة ١٣٧٨
٤١	بروكلمان : كارل	تاريخ الشعوب	بيروت ١٩٧٤
٤٢	البستانى : بطرس	دائرة معارف البستانى	دار المعارف ـ بيروت
٤٣	البغوى : ابو محمد الحسين الفرا ت ٥١٦هـ	تفسير البغوى	دار الفكر ـ بيروت
٤٤	البغدادى : مطير حسان	الدولة العربية	القاهرة ١٩٦٧
٤٥	البلازرى : ابوالحسن أحمد بن يحيى ت ٢٧٩هـ	فتوح البلدان	القاهرة ١٩٥٩
٤٦	" " "	انساب الاشراف	القاهرة ١٩٥٩
٤٧	البهى : محمد	مقال حوليات عين شمس بكلية الاداب	القاهرة
٤٨	ترتون : أ. س. ترتون	اهل الذمة فى الاسلام	
٤٩	ترمذى : ابو عيسى محمد بن عيسى	سنن الترمذى	القاهرة ١٩٦٥

٥٠ تغرى بردى : جمال الدين أبو المحاسن ت ٨٧٤ — النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة — المؤسسة العامة للتأليف والترجمة — القاهرة

٥١ الجاحظ : ابو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ — التاج فى اخلاق الملوك — القاهرة ١٣٢٢

٥٢ جرمود : عبد الجبار — هارون الرشيد — بيروت ١٣٧٦

٥٣ جصاص : ابو بكر محمد بن الرازى ت ٣٧٠هـ — احكام القرآن — دار الفكر — بيروت

٥٤ جمال : احمد محمد — مفتريات على الاسلام — القاهرة ١٣٩٥

٥٥ جمعة : سعد — مجتمع الكراهية — دار الكتاب العربى — بيروت

٥٦ الجهشيارى : ابو عبد الله محمد ابن عبدوس ت ٣٣١هـ — الوزراء والكتاب — القاهرة ١٣٥٧

٥٧ حاجى خليفه : مصطفى عبد الله ت ١٠٦٨هـ — كشف الظنون — مكتبة المثنى — بغداد

٥٨ حتى : فيليب — تاريخ العرب المطول — القاهرة ١٩٤٩

٥٩ حتى : فيليب — خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الادنى — بيروت ١٩٧٥

٦٠ حسن : حسن ابراهيم — تاريخ الاسلام السياسي

٦١ حسن : علي ابراهيم — التاريخ الاسلامي العام
القاهرة ١٩٦٣

٦٢ حسين : طه — على هامش السيرة
الطبعة ٢ القاهرة

٦٣ الحلبي : علي بن برهان — السيرة الحلبية (سيرة الامين والمأمون)
دار الفكر — بيروت

٦٤ الحماني : احمد — مقال مجلة جوهر الاسلام

٦٥ الحموي : شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت الرومي ت ٦٢٦ — معجم البلدان
بيروت ١٩٥٧

٦٧ الخازن : علاء الدين علي بن محمد ابن ابراهيم ت ٧٤١هـ — تفسير الخازن
دار الفكر — بيروت

٦٨ الخالدي : محمد — التبشير والاستعمار
بيروت

٦٩ الخربطلي : علي حسني — الدولة العربية الاسلامية
القاهرة ١٩٦٠

٧٠ الخضرى : محمد بك — تاريخ التشريع — بيروت ١٣٨٧

٧١ " " — محاضرات في الدولة الاموية — القاهرة ١٣٦٩

٧٢ الرفاعي : احمد فريد — عصر المأمون — القاهرة ١٣٤٦

٧٣ الارزقي : ابو الوليد محمد بن عبد الله ت ٢٥٠ — أخبار مكة — القاهرة ١٣٥٢

٧٤ الزركشي : بدر الدين محمد بن عبد الله ت ٧٩٤ — البرهان في علوم القرآن — القاهرة ١٣٧٦

٧٥ الزركلي : خير الدين — الاعلام — بيروت ١٣٨٩

٧٦ زكريا : هاشم زكريا — المستشرقون والاسلام — القاهرة ١٣٨٥

٧٧ الزمخشري : ابو القاسم جار الله محمود بن عمر ت ٥٣٨ — تفسير الكشاف — دار الفكر — بيروت

٧٨ زيدان : جورجي — العرب قبل الاسلام — دار الهلال القاهرة

٧٩ سالم: عبد العزيز — تاريخ العرب قبل الاسلام — الاسكندرية ١٣٩٣

٨٠	السباعي : مصطفى	المستشرقون والاستشراق الكويت ١٣٨٧
٨١	سرور : جمال الدين	الحياة السياسية في الدولة العربية بيروت ١٩٧٣
٨٢	سيديو : ل ٠أ٠ سيديو	تاريخ العرب العام القاهرة ١٣٨٦
٨٣	السيوطي : جلال الدين ت ٩١١ هـ	الاتقان في علوم القرآن دار الفكر – بيروت
٨٤	" " " "	اعجاز القرآن دار الفكر – بيروت
٨٥	شعوط : ابراهيم علي	اباطيل يجب أن تمحى من التاريخ القاهرة ١٣٩٦
٨٦	" " " "	مقال العدد الاول من مجلة جامعة الملك عبد العزيز جدة ١٣٩٥
٨٧	الشهرستاني : أبو الفتح محمد ابن عبد الكريم ت ٥٤٨ هـ	الملل والنحل القاهرة ١٣٨٧
٨٨	الاصبهاني : ابونعيم احمد بن عبد الله ت ٤٣٠ هـ	حلية الاوليا وطبقات الاصفيا القاهرة ١٣٩٤
٨٩	الصواف : محمد محمود	المخططات الاستعمارية لمكافحة الاستعمار – الطبعة الاولى

٩٠	الطبرسي : أبو علي الفضل بن الحسن ت ٥٤٨	مجمع البيان بيروت ١٣٨٠
٩١	الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ	جامع البيان في تفسير القرآن القاهرة ١٣٧٣
٩٢	" "	تاريخ الطبري دار المعارف ـ القاهرة
٩٣	طلس : أسعد	عصر الازدهار بيروت ١٩٦٠
٩٤	الطماوي : سليمان	عمر بن الخطاب بيروت ١٩٦٩
٩٥	الطهطاوي : محمد عزت اسماعيل	التبشير والاستشراق
٩٦	" "	محمد نبي الاسلام في التوراة والانجيل والقرآن القاهرة ١٩٧٢
٩٧	العامري : عماد الدين يحيى بن أبي بكر	بهجة المحافل دار صادر ـ بيروت
٩٨	العبادي : عبد الحميد	مجلة كلية الاداب عدد مايو ١٩٥٢

١٠٠ عثمان : حسن
البحر الاحمر كطريق تجارى فى عهد البيزنطيين والعرب والماليك
القاهرة ١٣٥٨

١٠١ عرجون : صادق
خالد بن الوليد
القاهرة ١٣٧٨

١٠٢ العصامى : عبدالملك بن حسين بن عبدالملك ت ١١١١هـ
سمط النجوم العوالى
المكتبة السلفية القاهرة

١٠٣ العقاد : عباس محمود
عبقرية محمد
دار الكتاب ـ بيروت

١٠٤ العقاد : عباس محمود
ما يقال عن الاسلام
دار الكتاب ـ بيروت

١٠٥ على : جواد
المفصل فى تاريخ العرب
بيروت ١٩٦٨

١٠٦ العقيقى : نجيب
المستشرقون
القاهرة ١٩٦٤

١٠٧ على : سيد أمير
مختصر تاريخ العرب
بيروت ١٩٦٧

١٠٨ عنان : محمد عبدالله
تراجم اسلامية
القاهرة ١٣٩٠

١٠٩ غربال : محمد شفيق — الموسوعة العربية الميسرة — بيروت ١٩٦٥

١١٠ الغزالي : محمد — مع الله — القاهرة ١٩٥٩

١١١ " " — التعصب والنساخ بين المسيحية والاسلام — القاهرة ١٩٦٥

١١٢ " " — دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مزاعم المستشرقين — القاهرة ١٣٩٥

١١٣ غنيم : محمد على — لب التاريخ — القاهرة

١١٤ غباته : يوجينا — تاريخ الدولة الاسلامية وتشريعها — بيروت ١٩٦٦

١١٥ الفراء : محمد بن الحسين ت ٤٥٨ هـ — الاحكام السلطانية — القاهرة ١٣٨٦

١١٦ القارى : عبد العزيز — مجلة محاضرات الجامعة الاسلامية لموسم ٩٣/ ٩٤

١١٧ القرشي : جمال الدين محمد جار الله بن محمد نورالدين بن ابى بكر بن ظهير القرشي — الجامع اللطيف — ١٣٩٢

١١٨ القرطبي : أبوعبدالله محمد بن أحمد ت ٦٧١ — الجامع لاحكام القرآن — بيروت ١٣٨٧

١١٩ قطب : سيد — فى ظلال القرآن — بيروت ١٣٨٦

١٢٠ القلقشندي : احمد بن عبدالله ت ١٤١٨ — مآثر الانافة فى معالم الخلافة — الكويت ١٩٦٤

١٢١ الكبيسى : عبد المجيد — عصر هشام بن عبد الملك — بغداد ١٩٧٥

١٢٢ الكتبي : محمد بن شاكر ت ٧٦٤ — فوات الوفيات — بيروت ١٩٧٣

١٢٣ لوبون : جستاف — حضارة العرب — القاهرة ١٩٦٩

١٢٤ ماجد : عبد المنعم — التاريخ السياسي للدولة العربية — القاهرة ١٩٦٥

١٢٥ الماوردي : علي بن حبيب ت ٤٥٠ هـ — الاحكام السلطانية — القاهرة ١٣٨٦

١٢٦ مخائيل : بشرى زخاري — محمد رسول الله هكذا بشرت به الاناجيل — القاهرة ١٩٧٢

١٢٧ المسعودي : ابوالحسن على بن الحسين ت ٣٤٦ — مروج الذهب — بيروت ١٣٩٣

١٢٨ مسلم : الامام ابو الحسن مسلم ابن الحجاج النيسابورى ت ٢٦١ — صحيح مسلم، دار الفكر – بيروت

١٢٩ مصطفى : شاكر — دولة بنى العباس، القاهرة ١٩٧٣

١٣٠ مصطفى : عاطف — مجلة الدارة العدد الثانى والثالث من السنة الثالثة

١٣١ المقدسى : ابو عبد الله محمد بن أحمد ت ٣٨٠ — أحسن التقاسيم، بريل ١٩٠٦

١٣٢ المقدسى : مطهر بن ظاهر ت ٣٥٥ — البدء والتاريخ، القاهرة ١٩١٦

١٣٣ المقريزى : تقى الدين احمد بن على ت ٨٤٥ — المواعظ والاثار بذكر الخطط والاثار، القاهرة ١٩٥٩

١٣٤ المليبارى : محمد عبد الله — مقال مجلة المؤتمر الاول للأدباء السعوديين

١٣٥ المودودى : أبو الاعلى — تفسير سورة النور، دار الفكر – بيروت

١٣٦ النجار : عبد الوهاب — الخلفاء الراشدون، القاهرة ١٩٦٠

١٣٧ النمر : عبد المنعم — الاسلام فى الهند، القاهرة ١٣٧٨

الهيثمى : نور الدين على بن ابى بكر ت ٨٠٧ هـ — مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بيروت ١٩٦٧ م

١٣٨ هيكل : محمد حسنين — الفـــاروق عمـــر
القاهرة ١٩٦٣

١٣٩ هيكل : محمد حسنين — حيـــاة محمـــد
القاهرة ١٩٦٥

١٤٠ الواقدى : محمد بن عمـــر ت ٢٠٧ — فتـــوح الشـــام
مطبعة المشهد الحسينى ـ القاهرة

١٤١ ولهاوزن : يوليوس — الدولة العربية وسقوطها
دمشق ١٩٥٦

١٤٢ البانى : صالح المدهون — تنبيه الانام الى تاريخ الاسلام

المراجع الاجنبيـــة :

1- Draycott: G.M. Mohamet founder of Islam -London 1916

2- Smith: R.Bosuiath , Mohommedan Mahmedanism, 1889

فهرس الموضوعـات

(أ)

	الصفحـــة
* شكر وتقديــــر	أ
* المقدمـــــة	ب
* تمهيد للبحـــث	١
(القسم الاول)	
الفصل الاول : بعض اراء فيليب حتي في عصر النبـــوة :	٢٧
١) الشعب العربي يأكل العقارب والخنافـــــس	٢٨
٢) زواج النبي صلى الله عليـــه وسلم بزينب بنت جحـــش	٣٦
٣) الاسلام يسترجع قواه بعد غزوة أحد .	٤٥
٤) لم يكن للرسول معجزة غير القـــران.	٤٩
الفصل الثاني : بعض آراء فيليب حتي في عصر الراشدين :	٥٣
١) خلافة أبي بكر كانت نتيجة اتفاق مسبق بينه وبين عمـــر وابي عبيدة .	٥٣
٢) كان دستور عمر عسكريا اشتراكيا قوامه العروبة .	٥٨
٣) لم يدفع العرب المفتح سوى الفقـــر والجوع .	٦٤
٤) أهم ما يعرضه العرب على أهل البلاد المفتوحة هو الجزية	٦٨
٥) أهل البلاد المفتوحة لم يدخلوا الاسلام الاخلاصـــا من الجزية .	٧٣
٦) علي في المدينة ينافس طلحة والزبير ــ أم المؤمنين تنضم الى مقاومي علي لبغض في نفسها نتيجة حديث الافك.	٧٩
الفصل الثالث : بعض اراء فيليب حتي في عصري بني أمية وبني العباس:	٩١
١) معاوية يحمل الحسن على التنازل .	٩١
٢) معاوية يجعل الخلافة ملكا عضوضا .	٩٥
٣) عبد الملك يحاول صرف الحجاج الى بيت المقدس.	١٠٣

٤) اتهام عبد الملك وولد يه الوليد وهشام بشرب الخمور . ١٠٦
٥) لم يكن في الاسطول الاسلامي في عهد معاوية جند من العرب ـ اعراب الحجاز يجهلون أمور البحر . ١٠٨
٦) ارجاع سبب نكبة البرامكة الى زواج جعفر البرمكي من العباسة ـ الزواج الصوري . ١١٨

(القسم الثاني)

الفصل الاول : بعض آراء كارل بروكلمان في التاريخ الاسلامي : ١٢٤
١) الحجر الاسود من أقدم أوثان مكة . ١٢٤
٢) الرسول يعترف بالغرانيق العلى . ١٣٠
٣) الرسول ظن أنه مدعو للرسالة . ١٣٩
٤) لم تكن الدقة والتماسك الفكرى أقوى جوانب القرآن وعلم الرسول الفكرى انبثق من اليهودية والنصرانية . ١٤٥
٥) بعد أن قطع الرسول الرجاء في اليهود في المدينة ادخل الى العبادات الاسلامية الصيام والصلاة . ١٤٨
٦) القرآن لم يعد النساء بالتمتع بمباهج الجنة . ١٥٣

الفصل الثاني : بعض آراء كارل بروكلمان في عصر الراشدين : ١٥٧
١) الدوافع الدينية لم تكن مسئولة عن حركة الارتداد . ١٥٧
٢) خالد يقتل مالك بن نويره وهو مسلم طمعا في زوجته . ١٦٣
٣) ارستقراطية عثمان تكمل شخصيته وضعفها سبب في توليته الخلافة . ١٧١

الفصل الثالث : بعض آراء كارل بروكلمان في عصري بني أمية وبني العباس : ١٧٦
١) المغيرة بن شعبة رجل لا ذمة له ولا زمام . ١٧٦
٢) ابن عباس وبيت مال البصرة .. ابن عباس يضع الحديث من خياله . ١٧٩

(القسم الثالث)

(أ) مقارنة بين طريقة كل من المؤلفين في تصوير هذه الاراء والافتراءات وتبريرها . ١٩٢

(ج)

(ب) واجب رجال التاريخ ازاء هذه الافتراءات . ٢٠١

(ج) بعض الكتب التى تأثرت بآراء وافتراءات بعض المستشرقين . ٢٠٤

ەەە

* تعريف مبسط باهم المراجع التى اعتمد عليها البحث . ٢١٤
* الخاتمــة . ٢٢٦
* قائمة المراجع . ٢٣٠

—•—

حسن ؛